تنبيه: هذه المادة لم يراجعها الشيخ حتى الآن

شرح

كتاب التوحيد

١٤١٢هـ

لفضيلة الشيخ / حمد بن عبدالله الحمد حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} **[سورة الذاريات ٥٦/٥١] وقوله:** {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} **[سورة النحل ٣٦/١٦] الآية. وقوله:** {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} **[سورة الإسراء ٢٣/١٧] الآية. وقوله:** {وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} **[سورة النساء ٣٦/٤] الآية. وقوله:** {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} **[سورة الأنعام ١٥١/٦] الآيات.**

قال ابن مسعود ﷺ: ((من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} **[سورة الأنعام ١٥١/٦] – إلى قوله –** {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً} **[سورة الأنعام ١٥٣/٦] الآية))**(١) .

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: ((يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟)) فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: ((لا تبشرهم فيتكلوا))(٢) **أخرجاه في الصحيحين.**

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله{وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ = ٣ } [سورة الكافرون ٣/١٠٩].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

---

(١) سيأتي .

(٢)صحيح البخاري (٣ / ١٠٤٩) رقم ٢٧٠١ . صحيح مسلم (١ / ٥٨) رقم ٣٠ .

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ} [سورة البقرة ٢/٢٥٦]**الآية.**

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبِد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله:{لاَّ تَجْعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً = ٢٢ } **[سورة الإسراء ٢٢/١٧]؛ وختمها بقولــه:** {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً} [سورة الإسراء ٣٩/١٧]**، ونبهنا الله ﷻ على عظم شأن هذه المسائل بقوله:** {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} [سورة الإسراء ٣٩/١٧].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: {وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً}.

الثانية عشرة:التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة الشرح:

قال المؤلف رحمه الله : [بسم الله الرحمن الرحيم] :

افتتح بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز واقتداءً بالنبي ﷺ فإنه كان يفتتح رسائله بالبسملة كما في البخاري ومسلم من رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم .

وأما حديث : ((**كل كلام لا يُبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**))[٣] فلا يصح رواه الخطيب وغيره بإسناده ضعيف جداً .

قوله : [كتاب التوحيد] :

استغنى رحمه الله بهذه الترجمة عن خطبة الكتاب فإنه لما قال : (كتاب التوحيد) عُلم أن هذا الكتاب مشتمل على مسائل التوحيد : بيان التوحيد وبيان فضله وبيان ما يُنافيه وهو الشرك الأكبر وينافي كماله وهو الشرك الأصغر وما يتصل بهذا الباب .

والتوحيد في اللغة : جعل المتعدد واحداً . ومن ذلك : عندما يجتمع الناس في مجلس فيقول أحدهم : لو وحَّدنا الحديث ، أي : لو جعلنا هذا الحديث المتعدد حديثاً واحداً، بأن يتكلم واحد ويستمع البقية .

وأما التوحيد في الشرع فهو : إفراد الله ﷻ بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

وعليه فأنواع التوحيد ثلاثة :

١- النوع الأول : توحيد الربوبية .

٢- النوع الثاني : توحيد الأسماء والصفات .

ويسميان بتوحيد المعرفة والإثبات .

---

(٣) . الخطيب البغدادي في الجامع الأخلاق الراوي (١٢٣٢) ، والسبكي في طبقات الشافعي (١٢/١)،من طريق الحافظ الرهاوي رحمه الله .

٣- النوع الثالث : توحيد الألوهية ، وهو توحيد القصد والطلب .

إذن التوحيد نوعان :

النوع الأول : توحيد المعرفة والإثبات .

النوع الثاني : توحيد القصد والطلب .

النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات، وهو يستلزم توحيد القصد والطلب يعني يدل عليه.

فإذا أقر العبد بأن الله متفرد بصفات الكمال وأنه متفرد بالربوبية فما الذي يلزم من ذلك ؟

الجواب : يلزم من ذلك أن يعبده وحده لا شريك له ؛ لأنه هو المستحق للعبادة وحده ، ولذا قال ﷻ مستدلاً بالربوبية على الألوهية : {**اعْبُدُواْ** رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} [سورة البقرة ٢١/٢] فكما هو الرب الخالق فهو المستحق للعبادة .

وإقرار العبد بأن الله ﷻ هو المعبود وحده هذا متضمن لنوعي توحيد المعرفة والإثبات وهما :

أولاً : (**توحيد الربوبية**) : وهو إفراد الله ﷻ بأفعاله من الخلق والرَزْق والإحياء والإماتة وإنزال المطر وتصريف الكون وتدبيره إلى غير ذلك من أفعاله ﷻ .

وكان المشركون الذين بُعث إليهم النبي ﷺ مقرين بهذا النوع لا ينكرونه ، قال ﷻ : {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [سورة لقمان ٢٥/٣١] وقال ﷻ : {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ = ٣١} [سورة يونس ٣١/١٠].

وعلى ذلك فالذي يقول : أنا أقر أن الله هو الخالق وأن الله هو الرازق وأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله ﷻ لا يكون مؤمناً حتى يقر بأن الله هو المستحق للعبادة وحده .

والمشركون يقرون بتوحيد الربوبية لكن يشركون في توحيد الألوهية ولذا يقولون في تلبيتهم : (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) فكانوا يرون أن هذه الآلهة التي يعبدونها مخلوقةً لله ﷻ .

ولذا بعث الله رسوله محمداً ﷺ كما بعث رُسُلَه من قبل ليدعوا الناس إلى توحيد العبادة فكل رسول يدعو قومه لتوحيد العبادة ، قال ﷻ : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [سورة النحل ٣٦/١٦] .

ثانياً : (توحيد الأسماء والصفات) : وهو أن يؤمن العبد بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى والصفات العلى .

فيصف الله بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [سورة الشورى ١١/٤٢] .

الثاني : توحيد القصد والطلب : وهو توحيد الألوهية وهو الذي لا يقبل الله عملاً من العبد إلا به فـ {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [سورة المائدة ٧٢/٥] ولا يغفر لمن أشرك به كما قال ﷻ : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء ٤٨/٤] .

قوله : [باب قوله ﷻ : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات ٥٦/٥١] **]** :

﴿ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ : اللام هنا في قوله ﷻ : {لِيَعْبُدُونِ} للتعليل ، فالغاية والحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده لا شريك له .

والعبادة : أصلها من الذل، تقول : طريق معبد ، أي مذلل قد وطئته الأقدام ، هذا **في اللغة** .

لكن العبادة المأمور بها **شرعاً** متضمنة – مع الذل – المحبة، فلابد من المحبة كما قال ابن القيم:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... معْ ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة ... ما دار حتى دارت

فالعبادة هي ما جمعت بين الذل والمحبة ، وكمال العبادة بكمال المحبة وكمال الذل ، فمن خضع لإنسان لكنه لم يحبه فإنه لا يعد عابداً له وإذا أحبه ولم يخضع له لم يعد عابداً له ، فلابد من خضوع وذل ولابد من محبة وتعظيم للمعبود ﷻ .

وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) .

قوله : [وقوله ﷻ : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [سورة النحل ٣٦/١٦] **]** :

فكل أمة – وهي الطائفة من الناس – قد بعث الله إليها رسولاً كما قال ﷻ : {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ} [سورة فاطر ٢٤/٣٥] .

قوله : {أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ} : " أن " هنا تفسيرية .

والطاغوت : هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

(من معبود) : كالأضرحة التي ينذر لها ويذبح لها من دون الله .

(أو متبوع) : وهم من خرج عن أمر الله وشرعه من العلماء .

(أو مطاع) : وهم الملوك الخارجون عن شرع الله ﷻ .

فإن كان هذا المعبود راضياً يقال له : طاغوت ، وإن لم يكن راضياً فإن عبادته من عبادة الطاغوت ؛ لأنها تجاوز للحد لكن لا يقال : إنه طاغوت ؛ فعيسى عليه السلام عُبِد من دون الله لكنه ليس براضٍ ، والنبي ﷺ عُبِد من دون الله ، وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم ولا يقال : إنهم طواغيت ، وعبادتهم عبادة طاغوتية .

قوله : [وقوله ﷻ:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} [سورة الإسراء ٢٣/١٧] **]** :

{وَقَضَى} : هو القضاء الشرعي .

و{وَقَضَى رَبُّكَ}: يعني : أمر ، فأول ما أمَر الله به في هذه الآية الكريمة عبادتُه ﷻ .

قوله : [وقوله ﷻ : {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} [سورة الأنعام ١٥١/٦] **]** :

قوله : {قُلْ تَعَالَوْاْ}: أي هلموا .

{أتلُ}: أي أقص .

{أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً}: (شيئاً) : نكرة في سياق النهي فتفيد العموم .

{أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} : لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا ولياً صالحاً .

قوله: [وقوله ﷻ : {وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} [سورة النساء ٣٦/٤] **]** .

قوله : [قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((من أراد أن ينظر إلى وصية محمدٍ ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله ﷻ : {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} [سورة الأنعام ١٥١/٦] **إلى قوله** : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ} [سورة الأنعام ١٥٣/٦]))[٤] **]** :

(من أراد) : ولفظه في الترمذي : (**(من سره**))[٥] .

المعنى : من أراد أن ينظر إلى ما هو كالوصية التي عليها خاتم الموصِي فليقرأ هذه الآيات ؛ وذلك لأنه لم يطرأ عليها نسخ ولا تبديل .

---

(٤)البيهقي في شعب الإيمان (٦ / ٢٠٧) رقم ٧٩١٨ بلفظ : " من سره .. " . والطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٩٣) رقم ١٠٠٦٠ ولفظه : " من سره أن يقرأ صحيفة محمد صلى الله عليه وسلم .. " . والترمذي في الجامع (٣٠٧٠) ولفظه:" من سره أن ينظر إلى صحيفة محمد.." . والطبراني في المعجم الأوسط (٢ / ٤٣)رقم (١١٨٦)

(٥) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٤) رقم ٣٠٧٠. وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وهذا تشبيه ، وقد وصى النبي ﷺ بالتمسك بالكتاب والسنة كما قال ﷺ فيما صح عنه : ((**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي**))[٦] ، وهذه الآيات وما فيها من الأحكام الشرعية التي من أعظمها الأمر بتوحيد الله ﷻ لم تبدل و لم يطرأ عليها نسخ ولا تغيير ، و لم يصح عن النبي ﷺ أنه أوصى بكتاب .

قوله : [وعن معاذ بن جبل ﷺ : . . . أخرجاه في الصحيحين] :

قول معاذ ﷺ : (قلت : الله ورسوله أعلم) : فيه أن المسائل الشرعية إذا سئلت عنها فلم تعلم فإنك تقول : الله ورسوله أعلم ، فتنسب العلم إلى عالمه ، ولكن معاذ ﷺ قال ذلك تأدباً مع النبي ﷺ في حضرته .

وأما في المسائل الكونية فإنك تقول : الله أعلم ؛ لأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله ﷻ عليه .

فالمسائل الشرعية يسوغ أن يقال فيها : الله ورسوله أعلم ، هذا في حياته .

وبعد مماته الأولى أن يقال : الله أعلم .

ويدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه أن عمر ﷺ سأل من حضره من الصحابة ﷺ عن آية فقالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ﷺ لما قال الصحابة " الله أعلم " وقال : " قولوا نعلم أو لانعلم "[٧] .

والذي يظهر أن عمر ﷺ إنما غضب من قولهم "الله اعلم " خشية أن يكون ذلك استنكافاً وكبراً عن قول " لا أدري "

وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود : (يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم)

قال : ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً))[٨] : (شيئاً) : نكرة في سياق النفي فتفيد العموم ، فلا تشركوا به شيئاً لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا ولياً صالحاً .

---

(٦)سنن الدارقطني (٤ / ٢٤٥) رقم ١٤٩ . المستدرك (١ / ١٧٢) رقم ٣١٨ ، ٣١٩ وقال : " قد احتج البخاري بأحاديث عكرمة و احتج مسلم بأبي أويس و سائر رواته متفق عليهم " . سنن البيهقي الكبرى (١٠ / ١١٤) رقم ٢٠١٢٣ .

وثبت في صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :(وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله) – (٨٨٦/٢) رقم (١٢١٨) .

(٧) صحيح البخاري (٤ / ١٦٥٠) رقم ٤٢٦٤ .

(٨) تقدم .

قال : ((وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)) : هذا حق العباد على الله ، وهذا الحق حق قد أحقه وأوجبه الله على نفسه إذ ليس هناك واجب ابتداءً على الله ﷻ ، فالواجب على الله هو الذي أوجبه على نفسه ، قال ﷻ : {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [سورة الأنعام ٥٤/٦] ، {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الروم ٤٧/٣٠] .

قال بعضهم :

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعيٌ لديه

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم

قوله : (أفلا أبشر الناس) : هذا فيه استحباب بشارة الناس كما ذكره المؤلف رحمه الله في المسائل .

وهذه البشارة التي سأل معاذ رضي الله عنه النبي ﷺ أن يبشر بها الناس هي أن الله ﷻ لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ولكن هذه البشارة إن وصلت للجاهل فقد لا يحسن فهمها ويعتمد على ذلك ويترك العمل ، وإذا عَلِم بها العالم فإنه يزداد عملاً ؛ لأن العبد الصالح إذا أنعم الله عليه بالنعم شكرها بمزيد من العمل ، كما قال ﷻ عن مريم : {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ = ٤٢ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ = ٤٣} [سورة آل عمران ٤٢/٣-٤٣] وقال ﷻ : {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ = ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ = ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ = ٣} [سورة الكوثر ١٠٨/١-٣] ، فإن العبد الصالح إذا بشر بفضل الله يزداد من العمل الصالح ولا يعتمد على هذه البشارة ويترك العمل بخلاف الجاهل ولذا قال ﷺ : ((لا تبشرهم فيتكلوا))[٩] .

وقد ثبت في رواية للبخاري ومسلم : ((أن معاذاً رضي الله عنه أخبر بذلك تأثماً))[١٠] أي خروجاً عن الإثم ، لكنه قد أخبر خاصة أصحابه أي مَنْ حَضَره ، وعادة الميت أن يحضره خاصة أصحابه ، وخاصة أصحاب معاذ رضي الله عنه هم من أهل العلم والفضل الذين لا يغترون بمثل هذه البشارة فيتركون العمل .

إذن أخبر بها على الوجه الذي أخبره به ﷺ ؛ لأنه أخبر بذلك أهل العلم الذين حضروه وقد بادر بذلك خروجاً من إثم كتمان العلم .

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [سورة الأنعام ٨٢/٦]**الآية.**

---

(٩) تقدم .

(١٠)صحيح البخاري (١ / ٥٩) رقم ١٢٨ . صحيح مسلم (١ / ٦١) رقم ٣٢ .

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) [١١] **. أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: ((فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))** [١٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله)) [١٣] **رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.**

وللترمذي وحسنه عن أنس ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) [١٤].

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية (٨٢) التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: (لا إله إلا الله) وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

---

(١١)صحيح البخاري (٣ / ١٢٦٧) رقم ٣٢٥٢ . صحيح مسلم (١ / ٥٧) رقم ٢٨ .

(١٢) صحيح البخاري (١ / ١٦٤) رقم ٤١٥ وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (١ / ٤٥٤) رقم ٣٣ .

(١٣)صحيح ابن حبان (١٤ / ١٠٢) رقم ٦٢١٨ . المستدرك (١ / ٧١٠) رقم ١٩٣٦ وصححه . سنن النسائي الكبرى (٦ / ٢٠٨) رقم ١٠٦٧٠ . قال في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٨) : " رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف " . وفي مسند أحمد بن حنبل (٢ / ١٦٩) رقم ٦٥٨٣ في قصة نوح عليه السلام أنه أوصى ابنه : " آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة رجحت بهن لا إله الا الله " وإسناده صحيح.

(١٤)سنن الترمذي (٥ / ٥٤٨) رقم ٣٥٤٠ من حديث أنس رضي الله عنه . قال أبو عيسى : " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " . مسند أحمد بن حنبل (٥ / ١٤٨) رقم ٢١٣٥٣ وفي مواضع أخرى من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله.

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: أن لهن عماراً.

الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافاً للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله) أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: (على ما كان من العمل).

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

باب فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب

يجوز هنا في كلمة (باب) ونظائرها في كتب أهل العلم كما في أبواب البخاري والترمذي وغيرهما ثلاثة أوجه :

١- التنوين ٢- ترك التنوين ٣- التسكين على الوقف بلا إعراب .

فتقول : " بابٌ فضلُ التوحيد وما يكفر من الذنوب " ، وتقول : " بابُ فضلِ التوحيد وما يكفر من الذنوب " ، " بابْ فضلُ التوحيد وما يكفر من الذنوب " .

أما الثالث فهو على سبيل تعداد الأبواب ، قالوا : ولا إعراب له .

وأما بالتنوين وترك التنوين فعلى أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذا بابٌ ، والتنوين بالقطع عما بعده ، وترك التنوين بالإضافة إلى ما بعده .

و (ما) هنا مصدرية على الأظهر أي (باب فضل التوحيد وتكفيره الذنوب) ، والواو هنا من باب عطف الخاص على العام ، فإن من فضائل التوحيد أنه يُكفر الذنوب .

والتوحيد له فضائل كثيرة ، من هذه الفضائل تكفيره الذنوب .

ومن فضائل التوحيد : أنه يُحرر العبد من رق المخلوقين فلا يَعبدُ إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يتعلق قلبه بغير الله ﷻ وينقطع قلبه عن الخلق .

ومن فضائله: أن الأعمال لا تصح ولا تكمل إلا به فلا يصح العمل إلا بالتوحيد ، وكذلك فإن العمل يكمل بكماله فإذا كمل توحيدك كمل عملك الصالح .

قال المؤلف رحمه الله: **[وقوله ﷻ** :{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [سورة الأنعام ٨٢/٦] **]** :

{بِظُلْمٍ}: هنا نكرة في سياق النفي فتفيد العموم ، أي الظلم الذي هو الشرك الأكبر والظلم الذي هو الشرك الأصغر والظلم الذي هو المعاصي ، لكن النبي ﷺ فسر الظلم هنا بالشرك .

وفي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال ﷺ : ((ليس الذي تعنون ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان ١٣/٣١]))[١٥] .

{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} : فإن كان العبد قد نقَّى توحيده وهذبه وخلّصه من شوائب الشرك بنوعيه ومن البدع ومن المعاصي ، فلا يُصر على المعاصي بل يتوب إلى الله ﷻ ، فإن له الأمن التام والهداية الكاملة .

وإن كان قد سلم من الشرك الأكبر فهو مؤمن موحِّد لكنه قد يقع في شيء من الشرك الأصغر ويقع في بعض البدع والذنوب ويموت و لم يتب من ذلك فإن له أصل الأمن يعني له مطلق الأمن وله مطلق الاهتداء ، فليس له الاهتداء التام ولا الأمن التام بل له مطلق الأمن أي أنه قد يعذب بذنوبه يوم القيامة لكنه لا يخلد في نار جهنم ؛ لأن له أصل الأمن والهداية ، وهذا من فضائل التوحيد .

قوله : [عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**))[١٦] **أخرجاه]** :

(من شهد) : أي أقر واعترف بأنه لا معبود حق إلا الله ، فإن معنى (لا إله إلا الله) : لا معبود حق إلا الله ، قد علم معناها وأقر وقبل وعمل بالمقتضى ، فعلم بالمعنى ، واعتقد بقلبه ، وعمل بمقتضى ذلك ؛

---

(١٥) صحيح البخاري (٣ / ١٢٢٦) رقم ٣١٨١ وفي مواضع أخرى. صحيح مسلم (١ / ١١٤) رقم ١٢٤.

(١٦) تقدم .

وذلك لأن التوحيد له حق ، فقام بحق (لا إله الا الله) فهذا الذي قد علم بذلك وأقر به وقبل وعمل بالمقتضى فإنه يدخل في هذا الحديث .

(من) في قوله : ((وَرُوحٌ مِنْهُ)): لابتداء الغاية أي مبتدأةٌ خلقاً من الله فهو الذي خلق روحه وأنشأها كما في قوله :{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} [سورة الجاثية ١٣/٤٥]

فـــ(من) : هنا لابتداء الغاية وليست للتبعيض ، خلافاً للنصارى الذين يقولون : إنه بعضٌ من الله ، تعالى الله ﷻ عما يقولون علواً كبيراً .

والمضاف إلى الله ﷻ على قسمين :

١- أن يكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف .

٢- أن يكون من باب إضافة المخلوق إلى خالقه .

فإن كان المضاف إلى الله ﷻ لا يقوم بالله بل يقوم بغيره ؛ فهو إما أن يكون ذاتاً قائمةً بنفسها ، وإما معنى قائماً بذات أخرى فتكون الإضافة من باب إضافة المخلوق إلى خالقه .

وإن لم يكن كذلك فيكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ؛ فسمع الله وبصر الله وعين الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ؛ لأن هذه الصفات قائمة بالله وليست قائمة بغيره وليست ذاتاً قائمة بنفسها فتكون من القسم الأول .

وأما إن كان قائماً بذاته يعني منفصلاً فهو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق ، ويكون ذلك للتشريف ، كبيت الله وناقة الله ورُوح الله ، فروح الله الذي هو عيسى عليه السلام من إضافة المخلوق إلى الخالق للتشريف .

((**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**)) : وهذا فيه بيان فضل التوحيد وأنه يكفر الذنوب .

قوله : [ولهما في حديث عِتْبان : ((فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) [17]] :

فلم يقلها نفاقاً ولكن قالها يبتغي بذلك وجه الله وقد عمل بمقتضاها ؛ لأن الذي يبتغي بذلك وجه الله يعمل بمقتضى (لا إله إلا الله) فهذا يُحرَّم على النار ، فإن كان قد سلم من الشرك الأصغر والبدع وكبائر الذنوب فإن التحريم هنا تحريم على التأبيد فإنه لا يدخل في النار كما سيأتي في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، وأما من سلم من الشرك الأكبر ووقع في شيء من الشرك الأصغر والبدع والذنوب ، فإن غفر الله له دخل الجنة و لم يسبق ذلك عذاب ، وإن شاء الله أن يعذبه دخل النار ولكن لا

(17) تقدم .

يخلد في النار ، فيكون دخوله النار على التأقيت، يعني يدخل النار ثم يُحرَّم عليها بعد أن يطهره الله من الذنوب في نار جهنم والعياذ بالله.

قوله : [وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ ، قال : ((قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى لو أنّ السموات السبع وعامرهنّ غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفّةٍ مالت بهن لا إله إلا الله)) (١٨) **رواه ابن حبان والحاكم وصححه]** :

هذا الحديث من رواية دراج بن أبي السَمْح عن أبي الهيثم ، وروايته عن أبي الهيثم ضعيفة .

لكن تقدم أن ما يورده الشيخ ~ في هذا الكتاب من الأحاديث أن لها ما يشهد لها ، وهذا الحديث يشهد له ما ثبت في مسند الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح : أن نوحاً قال لابنه : ((أوصيك بلا إله إلا الله فإنه لو وضعت السموات السبع في كفه والأرضون السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهنّ لا إله إلا الله)) (١٩) .

قوله ﷺ : (**أذكرك وأدعوك به**) : من ذكر الله فقد دعاه ؛ لأن الذكر يتضمن الدعاء ، فلسان مقاله الذكر ولسان حاله الدعاء ، فهو يقول : يا رب أذكرك لتغفر لي ، ولذا فإن الصلاة دعاء عبادة ؛ لأنها متضمنة للدعاء فإن الذي يصلي يقول : يا رب أنا أصلي لتغفر لي ولترضى عني ، قال بعضهم :

إذا أثنى عليك العبد يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء

أي إذا جلس عند هذا الكريم فأثنى عليه فإن هذا الثناء يكفي هذا الكريم من أن يتعرض هذا المثني للدعاء فيعطيه حاجته دون سؤال .

قوله : (قال : قل يا موسى لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقولون هذا) : فكأنه أراد ﷺ أن يختص بشيء من الذكر .

وهذا الحديث يدل على فضل التوحيد .

قوله : [وللترمذي وحسّنه عن أنس ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة)) (٢٠) **]** :

---

(١٨) تقدم .

(١٩) تقدم .

(٢٠) تقدم .

هذا الحديث حسن .

(**بقراب الأرض**) : أي بملئ الأرض أو ما يقرب من ملئها .

(**لا تشرك بي شيئاً**) : نكرة في سياق العموم ، أي : لا تشرك بي شيئاً لا شركاً أكبر ولا شركاً أصغر ، وهذا الحديث فيه فضل التوحيد .

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة النحل ١٦/١٢٠]. {وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ = ٥٩ } [سورة المؤمنون ٢٣/٥٩].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: ((هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: ((أنت منهم)) ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: ((سبقك بها عكاشة)) (٢١).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه ﷻ على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين.

(٢١)صحيح البخاري (٥ / ٢١٥٧) رقم ٥٣٧٨ وفي مواضع أخرى. صحيح مسلم (١ / ١٩٩) رقم ٢٢٠.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: (أنت منهم) علم من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ .

الشرح :

باب من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

هذا الباب متمم للباب الذي قبله مكمل له ؛ لأنه في فضل التوحيد .

قوله : [حقق التوحيد] :

أي هذّبه ونقاه وخلّصه من شوائب الشرك ومن البدع والمعاصي ، فخلّص توحيده من الشرك الأكبر الذي ينافي التوحيد ويناقضه ومن الشرك الأصغر الذي ينافي كماله ومن المعاصي التي تُكدّر التوحيد فتنقصه وتضعفه لما لها من أثرٍ في إضعاف التوحيد وفي إنقاصه .

قوله : [وقول الله ﷻ : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة النحل ١٦/١٢٠] **]** :

{أُمَّةً}: أي إماماً ، فهو إمام يقتدى به عليه الصلاة والسلام فهو إمام الحنفاء .

{قَانِتاً لِلَّهِ}: القنوت لله هو دوام الطاعة ، أي : مديماً لطاعته .

{حَنِيفاً}: أي مائلاً عن الشرك مستقيماً على جادة التوحيد .

قوله : [وقوله ﷻ : {وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} [سورة المؤمنون ٢٣/٥٩] **]** :

هذا في أوليائه الصالحين ، ودخل في ذلك الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر .

قوله : [عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير ، فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ فقلت : أنا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ولكني لُدغت، قال : فماذا صنعت ؟ قلت : ارتقيت ، قال : فما حملك على هذا ؟ قلت : حديث حدثناه الشّعبي ، قال : وما حدّثكم ، قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب ، أنه قال : لا رُقية إلا من عين أو حمة ، قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : ((عُرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رُفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه فنظرت فإذا سوادٌ عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)) ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال : ((هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) فقام عكّاشة بن محصن ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : ((أنت منهم)) ثم قام رجلٌ آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : ((سبقك بها عكّاشة))[٢٢]] :

---

(٢٢) تقدم .

(**البارحة**) : من بَرِح إذا زال ، فإن كان قبل الزوال يقال : الليلة ، وإن كان بعد الزوال يقال : البارحة وهي الليلة السابقة ، فعلى ذلك كان هذا الحديث بعد زوال الشمس .

(**أما إني لم أكن في صلاة ، ولكني لُدغت**) : هذا فيه ما كان عليه السلف من ترك التزين بما ليس فيهم ، فقد استيقظ و لم يكن في صلاة ولكنه قد لدغ .

(**ارتقيت**) : أي سألت الرقية ، فطلبت من أحدٍ أن يرقيني .

(**قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حُمَة**) : بتخفيف الميم وضم الحاء وهي السُم .

وهو هنا موقوف على بريدة بن الحصيب ﷺ .

ورواه أحمد وابن ماجه مرفوعاً لكن إسناده ضعيف[٢٣] .

ورواه الترمذي بإسناد صحيح من حديث عمران بن الحصين مرفوعاً أن النبي ﷺ قال : ((**لا رقية إلا من عين أو حمة**))[٢٤] .

ومعنى (لا رقية) : أي لا رقية أولى وأشفى [من] رقية العين أو الحُمة .

(**قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**) : وهذا من فقه السلف رحمهم الله ، فما دام أنك انتهيت إلى سمع أي رواية ، لا إلى هوى ورأي وإنما إلى السمع فقد أحسنت وإن كان هناك ما هو أرجح مما ذهبت إليه وأصح .

(**الرهط**) : هم الجماعة من الثلاثة إلى التسعة .

(**والنبي ومعه الرجل والرجلان**) : فيه عدم الاغترار بالكثرة .

---

(٢٣) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٤٣٦) رقم ١٩٩٢٢ ، ٢٤٤٨ ، ١٩٩٤٤ ، من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه . ورواه في مواضع أخرى . سنن ابن ماجه (٢ / ١١٦١) رقم ٣٥١٣ من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعا .

(٢٤)سنن أبي داود (٢ / ٤٠٢) رقم ٣٨٨٤ . سنن الترمذي (٤ / ٣٩٤) رقم ٢٠٥٧ . مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٤٣٦) رقم ١٩٩٢٢ كلهم من حديث عمران مرفوعا ، وهو صحيح . وفي رواية لأبي داود من حديث أنس مرفوعا : " لارقية إلا من عين أو حمة أو دم يرقأ " وسنده ضعيف . قال في فتح الباري – ابن حجر (١٠ / ١٥٦) : " والتحقيق أنه عنده عن عمران وعن بريدة جميعا " .

وروى البخاري في صحيحه(٥ / ٢١٦٢) عن أنس بن مالك قال : أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيت من الأنصار أن يرقوا من الحمة والأذن " .

(**والنبي وليس معه أحد**) : فيه عدم الاغترار بالكثرة وأن عليك لزوم الحق ولا تغتر بالأكثرية من الناس ، قال ابن مسعود ﷺ : ((**الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك**))[٢٥] رواه ابن عساكر بإسناد صحيح .

فلا تحكم على الحق بكثرة اتباعه ولكن احكم على الحق بدليله .

(**السواد**) : هو الشخص عن بعد .

(**ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**) : وفي الترمذي : ((**ثم يحثي الله ثلاث حثيات**))[٢٦] فالعدد أكثر من ذلك بفضل الله ﷻ .

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح قال: ((**فاستزدته فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً**))[٢٧]

(**فلعلهم الذين صحبوا رسول الله**) : القائلون من الصحابة وعلى ذلك فمرادهم السابقون من المهاجرين والأنصار كما قال رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد ﷺ : ((**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده ...**))[٢٨] الحديث متفق عليه ، أي من أسلم قبل الفتح وهو صلح الحديبية.

(**فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً**) : هذا يدل على أنه تقرر عند الصحابة ﷺ فضيلة من لم يشرك بالله شيئاً وفضيلة التوحيد .

(**فأخبروه**) : وهذا من رد العلم إلى عالمه : {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [سورة النساء ٤/٥٩] .

(**لا يسترقون**) : أي لا يسألون الرقية فهم لا يسألون أحداً أن يرقيهم لتمام توكلهم ولذا قال : (**وعلى ربهم يتوكلون**) .

---

(٢٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١ / ١٦٣) بلفظ : " إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك " . ١٣٩.

(٢٦) سنن الترمذي (٤ / ٦٢٦) رقم ٢٤٣٧ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه . ولفظه : " وثلاث حثيات من حثياته " قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب . مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٢٦٨) رقم ٢٢٣٥٧ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، بلفظ (من حثيات ربي)وابن ماجه (٤٢٨٦)،(١٤٣٣/٢)، بلفظ" من حثيات ربي".

(٢٧) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٣٥٩) رقم ٨٦٩٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني(٩٢/٢)بلفظ(ان ربي عزوجل وعدني من أمتي سبعين الفاً لا يحاسبون مع كل ألف سبعين ألفاً)، من حديث أبي أيوب رضي الله عنه .

(٢٨) صحيح البخاري (٣ / ١٣٤٣) رقم ٣٤٧٠. صحيح مسلم (٤ / ١٩٦٧) رقم ٢٥٤٠ .

وفي رواية لمسلم : (**ولا يرقون**) لكن هذه الرواية وَهْمٌ كما قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية- ؛ وذلك لأن بين المسترقي والراقي فرقاً ؛ فإن المسترقي سائل مستعطي ، أما الراقي فإنه محسن ، ولذا قال ﷺ في الرقية : ((**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**)) (٢٩) رواه مسلم .

فالاسترقاء لّما كان فيه سؤال واستعطاء كان مكروهاً في الشرع ، فهؤلاء يتركون الأسباب المكروهة لتمام توكلهم ، فهم لا يكتفون بترك الأسباب المحرمة ، فتجد بعض الناس يضعف توكله فربما يتوظف بوظيفة يكون فيها أكل للسحت وهذا لضعف توكله ، فهؤلاء لقوة توكلهم وتمام توكلهم يتركون الأسباب المكروهة شرعاً أو طبعاً كالكي ؛ لأن الكي تكرهه الطباع لما فيه من الألم .

وهل المقصود سؤال الرقية الشرعية أم غير الشرعية ؟

من أهل العلم من قال : المراد أن يسأل الرقية غير الشرعية .

قالوا : لأن النبي ﷺ : ((**أمر عائشة رضي الله عنها أن تسترقي من العين**)) (٣٠) كما يدل عليه ما ثبت في الصحيحين .

والذي يقوى أن المراد : سؤاله الرقية الشرعية إن كان على سبيل التعلق بهذا الراقي وأما إن كان مع قوة التعلق بالله ﷻ ومع حاجته أيضاً إلى هذه الرقية فهو قد رقى نفسه وسلك الأسباب الأخرى المباحة وهو مع ذلك محتاج إلى الرقية كالذي يصاب بسحر ، فالذي يترجح أنه لا حرج في ذلك وأنه لا ينافي كمال توكله ؛ لأنه محتاج والكراهة تزول كما هو معلوم عند الحاجة ؛ ولأنه قد طرق الأسباب الأخرى فلم يتيسر له الشفاء فلا مانع من أن يسترقي مع تعلقه بالله ﷻ، هذا فيما يظهر لي أقوى .

وأما إن رُقي من غير سؤال ولا طلب فإن هذا لا حرج فيه مطلقاً ولا ينافي كمال التوكل مطلقاً .

ويدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم : أن جبريل قال:يا محمد اشتكيت ؟ قال ﷺ : ((نعم)) قال:((بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أوعين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك)) (٣١).

فالنبي ﷺ لم يسأل الرقية .

---

(٢٩) صحيح مسلم (٤ / ١٧٢٦) رقم ٢١٩٩.

(٣٠)صحيح البخاري (٥ / ٢١٦٦) رقم ٥٤٠٦ . صحيح مسلم (٤ / ١٧٢٥) رقم ٢١٩٥ .

(٣١) صحيح مسلم (٤ / ١٧١٨) رقم ٢١٨٦.

وثبت في الصحيحين : (**أن عائشة رضي الله عنها لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه كانت تنفث عليه – عليه الصلاة والسلام – وتمسح بيد نفسه ، قالت** : ((**لأنها أعظم بركة من يدي**)) [٣٢] فكانت تمسح بيده على بدنه ﷺ لبركة يده .

وعلى ذلك فإذا أصبت بمرض فأتى أحد وأراد أن يرقيك فلا تمنعه ؛ لأن السنة عدم المنع فالنبي ﷺ لم يمتنع من هذه الرقية .

لكن كونه يسأل لا يسلم في الغالب من تعلق بالراقي ، لكن إن سلم من ذلك لقوة توكله وكان مع ذلك محتاجاً فلا يكره على الصحيح ولا ينافي ذلك كمال توكله .

(**ولا يكتوون**) : النبي ﷺ قد كره الكي كما في صحيح البخاري أنه ﷺ قال : ((**الشفاء في ثلاثة : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار ، قال : وأنا أنهى عن الكي**)) [٣٣] وفي رواية :((**وأنا لا أحب الكي**)) [٣٤] .

ولكن الكي جائز ، ويدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم : ((**أن النبي ﷺ بعث إلى أُبي بن كعب طبيباً فقطع عرقاً وكواه**)) [٣٥] .

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح: ((**أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة**)) [٣٦].

وفي البخاري : ((**أنّ أنس بن مالك ﷺ اكتوى من ذات الجنب والنبي ﷺ حي**)) [٣٧] .

إذن هذه الأحاديث تدل على الجواز وحديث : ((الشفاء في ثلاثة)) يدل على الكراهية وكذلك هذا الحديث (ولا يكتوون) .

لكن الراجح أن هذه الكراهة محصورة بصورتين ؛ لأن الكي عند العرب له ثلاثة أحوال :

---

(٣٢)صحيح البخاري (٥ / ٢١٦٥) رقم ٥٤٠٣ ولفظه :" لبركتها " . صحيح مسلم (٤ / ١٧٢٣) رقم ٢١٩٢ ولفظه : " لأنها كانت أعظم بركة من يدي " .

(٣٣)صحيح البخاري (٥ / ٢١٥١) رقم ٥٣٥٦ وفي مواضع أخرى . قال في المنتقى كما في نيل الأوطار (٩ / ٧٨) : " رواه أحمد والبخاري وابن ماجه " .

(٣٤) صحيح البخاري (٥ / ٢١٥٧) رقم ٣٥٥٩ ، ٥٣٧٥ ولفظه : " وما أحب أن أكتوي " .

(٣٥) صحيح مسلم (٤ / ١٧٣٠) رقم ٢٢٠٧.

(٣٦) سنن الترمذي (٤ / ٣٩٠) رقم ٢٠٥٠ وقال : " هذا حديث حسن غريب " . و صحيح ابن حبان (١٣ / ٤٤٣) رقم ٦٠٨٠ .

(٣٧) صحيح البخاري (٥ / ٢١٦٢) رقم ٥٣٨٩.

١- الحالة الأولى : أن يكتوي اتقاء المرض ؛ فهو ليس بمريض لكن يخشى المرض فيكتوى ويفعل هذا بعض البادية ، من باب الوقاية كما ذكر ابن قتيبة وغيره فهذا مكروه ؛ لأنه أتى بسبب يؤلم النفس وتكرهه الطباع بلا حاجة داعية إليه ، وهذا يدل على ضعف توكله .

٢- الحالة الثانية : أن يكتوي مع احتمال الشفاء بالكي ويكون هناك طرق أخرى للشفاء لكنه يلجأ إلى الكي مع وجود طرق أخرى يمكن فيها العلاج ، مثل أمراض البرد إذا كانت في مبادئها يمكن أن تعالج بشيء من الأدوية ، فإن هذا أيضاً مكروه .

ومثله أيضاً إذا كان الكي – عند الأطباء العرب – نافعاً لهذا الداء لكنه يتعاطى الكي مع أنه سبب محتمل فهو ليس من الدواء المجرب عندهم ، فهذا أيضاً مكروه .

٣- الحالة الثالثة : أن يتعيّن الكي ، ويكون قد سلك الطرق الأخرى وكان الدواء بالكي مجرباً في هذا الداء وهو مصاب بهذا المرض لا يفعل ذلك وقاية ، فإن الكراهية تزول حينئذ ، وتحمل الأحاديث المتقدمة على هذه الصورة ؛ لأن الذين اكتووا من خيار المسلمين ومن خيار أصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم وكما قال العرب : (آخر الدواء الكي) .

(**ولا يتطيرون**) : سيأتي الكلام في الطيرة إن شاء الله .

(**فقال** : ((**أنت منهم**))) : وهذا فيه فضيلة عكّاشة رضي الله عنه .

(((**سبقك بها عكاشة**))) : قال بعض العلماء : إن هذا السائل منافق ، وهذا ضعيف من وجهين :

١- الأصل في الصحابة عدم النفاق .

٢- أن المنافق لا يحضر قلبه عند حديث النبي ﷺ حتى يقوم ويسأل ؛ لأنهم يقولون : ماذا قال آنفاً .

وعلى ذلك يكون معنى ((سبقك بها عكاشة)) : يعني : سبقك بالمسألة ، أي : سأل فأجيب، ولو أجبتك لقام سائل ثالث ثم رابع ... فلم ينسد الباب ولكان فيه تسلسل فامتنع ﷺ من ذلك .

إذن (سبقك) ليس بهذه الفضيلة وإنما سبقك بالمسألة .

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء ٤/٤٨]وقال الخليل عليه السلام : {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} [سورة إبراهيم ١٤/٣٥]وفي الحديث: ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر))، فسئل عنه ؟ فقال: ((الرياء)) [٣٨] ، **وعن ابن مسعود رضي الله عنه**

---

(٣٨) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٤٢٨) رقم ٢٣٦٨٠ ، ٢٣٦٨٦ .

أن رسول الله ﷺ قال: ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار))(٣٩) [رواه البخاري].

ولمسلم عن جابر ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار))(٤٠).

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة. ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر، لقوله:{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ} [سورة إبراهيم ١٤/٣٦].

العاشرة: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

باب : الخوف من الشرك

لما ذكر المؤلف رحمه الله وجوب التوحيد وفضله وتحقيقه أتبع ذلك بذكر الخوف من الشرك ، وذلك أن العبد إذا علم أن الشرك يخلد صاحبه في النار ويُحرِّم الجنة وأن الله لا يغفره ، فإنه يخافه أعظم الخوف ويفر منه ومن وسائله التي هي الشرك الأصغر أعظم الفرار .

ولا يأمن الوقوع في الشرك إلا جاهل به ، وجاهل بما يخلصه منه ، من التوحيد والعلم بالله وبما بعث الله ﷻ به رسله ، ولذا كان أنبياء الله وأولياؤه الصالحون يخافون الشرك كما استدل المؤلف هنا في هذا الباب.

---

(٣٩) صحيح البخاري (٤ / ١٦٣٦) رقم ٤٢٢٧ ، ٦٣٠٥ .

(٤٠) صحيح مسلم (١ / ٩٤) رقم ٩٣. وأوله في صحيح البخاري (١ / ٦٠) رقم ١٢٩ من حديث معاذ رضي الله عنه .

قال المؤلف رحمه الله : [وقول الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء ٤/٤٨] **]** :

فالله ﷻ لا يغفر لمن أشرك به شركاً أكبر ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، فالشرك الأكبر لا يغفره الله ، وأما سائر الذنوب كالزنا والسرقة وشرب الخمر فإن الله ﷻ يغفر لصاحبها ، والمراد هنا مغفرة الذنوب لا التوبة منها .

وأما التوبة فإن الله ﷻ يقبل التوبة من الذنوب جميعاً ، فمن تاب من الشرك الأكبر فإن الله ﷻ يقبل توبته كما قال : {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} [سورة غافر ٤٠/٣] وقال : {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} [سورة الأنفال ٨/٣٨] وقال : {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [سورة التوبة ٩/١١] .

ولكن هذه الآية – التي استدل بها المؤلف هنا – في المغفرة بلا توبة ، فمن مات على الشرك من غير توبة فإن الله لا يغفر له ويدخله النار خالداً مخلداً فيها .

وأما من مات عاصياً قد أتى باباً من أبواب الكبائر كالسرقة والزنا و لم يتب فإن الله قد يغفر له وقد لا يغفر له ، فيكون ذلك داخلاً تحت مشيئة الله ﷻ .

وهل يُغفر لمن وقع في الشرك الأصغر بلا توبة أم لا ؟

من حلف مثلاً بغير الله أو راءى أو غير ذلك من أفراد الشرك الأصغر فهل يغفر له بلا توبة فيكون ذلك كسائر الذنوب كالزنا والسرقة ، أم أنه لا يُغفر له فلا يكون تحت المشيئة بل لابد أن يعذب ويكون ذلك كالشرك الأكبر مع أنه لا يخلد في النار ؟ فالذي يقول : إن صاحب الشرك الأصغر لا يغفر له إلا بالتوبة لا يقول : إنه يخلد في النار ؛ لأنه موحد .

في هذه المسألة قولان لأهل العلم ، وقد اختلف قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة .

واستدل من قال : إنه لا يغفر لصاحبه بهذه الآيات : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} [سورة النساء ٤/٤٨] (يشرك) : فعل مضارع منصوب بأن المصدرية فيؤول بمصدر والتقدير : إن الله لا يغفر إشراكاً به ، فتكون نكرةً في سياق النفي فتفيد العموم ، فعلى هذا يعم نوعي الشرك وأن الله لا يغفر لصاحبه .

ولكن الأظهر أنه كأمثاله من أهل الذنوب وأنّ آيات الوعيد في الشرك الواردة في القرآن الغالب فيها بل سائرها في الشرك الأكبر كقوله ﷻ : {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ} [سورة المائدة

٧٢/٥] إلى غير ذلك من الآيات : {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ} [سورة الحـــج ٣١/٢٢] كل ذلك في الشرك الأكبر .

إذن الراجح : أنّ صاحب الشرك الأصغر تحت المشيئة إن شاء الله ﷻ غفر له وإن شاء عذّبه وهو باتفاق لا يُخلد في النار .

وهذا الخلاف في هذه المسألة يدعوا العبد إلى أن يخاف من الشرك الأصغر ويحذر منه .

وقوله : [وقال الخليل عليه السلام : {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} [سورة إبراهيم ٣٥/١٤] **]** :

{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ}: أي باعد بيننا وبين عبادة الأصنام .

و(**الأصنام**) : هي ما يعبد من دون الله على هيئة الصور والتماثيل .

وأما (الوثن) : فهو أعم فكل ما عبد من دون الله يسمى وثناً ، فالقبر يسمى وثناً ؛ لأنه يعبد من دون الله ، والطاغوت الذي يعبد من دون الله يسمى وثناً

وهذا إبراهيم عليه السلام وهو إمام الحنفاء الذي تبرأ مما عليه أبوه وقومه من عبادة الأصنام وهاجر إلى بلدٍ آخر من أجل التوحيد وكسّر الأصنام يقول : {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} فإذا كان إبراهيم عليه السلام يخافه على نفسه فكيف لا نخافه على أنفسنا .

ولذا قال إبراهيم التيمي ~ : ((من يأمن البلاء بعدخليل الله إبراهيم)) [٤١] رواه ابن جرير وغيره .

قوله : [وفي الحديث : ((**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**)) **فسُئل عنه ، فقال:** ((**الرياء**)) [٤٢] **رواه أحمد بإسناد جيد]** :

(**أخوف ما أخاف عليكم**) : يخاطب أصحابه رضي الله عنهم الذين هم خير أصحاب الأنبياء والذين هم أفضل الأولياء فدخولهم في هذا الخطاب دخول أولي وإن كان من سمع هذا الخطاب ممن بعدهم داخل في ذلك ، وهذا يدل أيضاً على الخوف من الشرك وسيأتي الكلام على الرياء في بابه إن شاء الله .

قوله : [وعن ابن مسعود رضي الله عنه **: أن رسول الله** ﷺ **قال :** ((**من مات وهو يدعو من دون الله نِداً دخل النار**)) [٤٣] **رواه البخاري]** :

الند : هو الشبيه والنظير ، يقال : فلان ند لفلان ، أي : شبيه ونظير له .

---

(٤١) تفسير الطبري (٧ / ٤٦٠) .

(٤٢) تقدم .

(٤٣) تقدم .

قوله : (**من مات** ..... **النار**) : هذا هو الشرك الأكبر ، والشرك الأكبر : هو أن يتخذ من دون الله نداً يصرف إليه نوعاً من أنواع العبادة .

وأما الشرك الأصغر : فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك الأكبر يعني : أسبابه ووسائله ، فما يكون وسيلةً للشرك الأكبر فهو شرك أصغر ، فبناء القباب على القبور وشد الرحال إليها ومس جدران الأضرحة وغير ذلك هذا من وسائل الشرك الأكبر فهي من الشرك الأصغر ، والحلف بغير الله وهو من الأقوال شرك أصغر هو ذريعة لتعظيم هذا المحلوف به حتى يعبد من دون الله كما سيأتي إن شاء الله في الحلف .

وفي الشرك الأكبر لا يشترط أن يصرف إليه جميع أنواع العبادة بل لو صرف إليه نوعاً من أنواع العبادة فإنّه يكون شركاً أكبر ، فالشرك : أن يتخذ شريكاً مع الله ﷻ ، والشريك قد لا يكون له من الشركة إلا سهم ويكون للشريك الآخر مئة سهم ويسمى هذا شريكاً ، فإذا جعل لغير الله ولو سهماً واحداً من أنواع العبادة فهو مشرك والعياذ بالله .

والدعاء نوعان :

١- دعاء عبادة .

٢- ودعاء مسألة .

دعاء العبادة كالصلاة ، وسميت الصلاة التي فيها بعض الأفعال كالسجود والركوع من العبادة وإن لم يكن فيه دعاء ؛ لأن لسان حال المصلي الدعاء فهو يقول : يا رب إنما صليت لتغفر لي .

الصوم يسمى دعاء ؛ لأن هذا الصائم لسان حاله يقول : إني أصوم لك لتغفر لي .

وقد يكون في بعض العبادات الفعلية دعاء قولي كالصلاة ؛ تتضمن الدعاء القولي كقوله : " رب اغفر لي " في الجلسة بين السجدتين .

وأما دعاء المسألة : فهو أن يسال الله ﷻ ما بدا له من خير الدنيا والآخرة ، فلسان مقاله الدعاء .

أما في دعاء العبادة فلسان حاله الدعاء .

إذن الدعاء نوعان : دعاء عبادة ودعاء مسألة ، فمن مات يدعو لله نداً سواء كان الدعاء دعاء عبادة أو دعاء مسالة دخل النار والعياذ بالله .

قوله : [ولمسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار))(٤٤)] :

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله

وقوله الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [سورة يوسف ١٢/١٠٨]الآية.

عن ابن عباس ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: ((إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله – وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله – فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))(٤٥) أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه)). فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: ((أين علي بن أبي طالب؟)) فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأُتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم))(٤٦). يدوكون: يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ .

الثانية: التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيهاً لله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

(٤٤) تقدم.

(٤٥) صحيح البخاري (٢ / ٥٤٤) رقم ١٤٢٥ ، وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (١ / ٥٠) رقم ١٩.

(٤٦) صحيح البخاري (٣ / ١٣٥٧) رقم ٣٤٩٨ ، و(جزء ٤ / ١٥٤٢) رقم ٣٩٧٣ . صحيح مسلم (٤ / ١٨٧٢) رقم ٢٤٠٦ .

السادسة: وهي من أهمها – إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: (أن يوحدوا الله)، معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: (لأعطين الراية) إلخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: (على رسلك).

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله: (أخبرهم بما يجب عليهم).

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يده رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

باب : الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

فمن عرف التوحيد وعرف فضله وحققه وخاف من ضده وهو الشرك فإنه لا يتم توحيده حتى يدعو الناس إلى توحيد الله ﷻ .

قوله : [وقوله تعالى : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة يوسف ١٠٨/١٢] **]** :

{قُلْ يَا}: محمد .

{هَذِهِ سَبِيلِي}: أي هذه الطريقة التي أنا عليها من الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ووجوب إخلاص العبادة له والانتهاء إلى طاعته والقيام بما فرضه ، هو سبيلي يعني هو منهجي .

{أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} أي على علم ، فلا بد أن يكون الداعية على علم ، لكن لا يشترط أن يكون عالماً بعموم مسائل العلم ، بل لا بد أن يكون عالماً بما يدعو إليه ، ومسألة التوحيد كل مسلم يعرفها ؛ لأنه لا يصح توحيده إلا بالعلم ؛ لأن من شروط لا إله إلا الله العلم المنافي للجهل ، قال ﷻ : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ} [سورة محمد ١٩/٤٧] فالعلم بالتوحيد فرض على كل مسلم ومسلمة وواجب عليه أن يدعو الناس إلى توحيد العبادة ، فكل مسلم يدعو بحسب مقدوره ، فالعالم عنده من الحجج والبراهين وإزالة الشبه ما ليس عند العامي لكن العامي عنده من فهم التوحيد ومن الفطرة ومعرفة شيء من الأدلة ما يتمكن به من دعوة الناس إلى توحيد الله .

{أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}: يصح أن تكون (أنا) مبتدأ والخبر محذوف تقديره : أنا داعٍ على بصيرة ، ويصح أن تكون تأكيداً للضمير في قوله : (أدعو) فتكون (أنا) في محل رفع ، وعلى كلا التقديرين يكون المعنى : إنّ الداعين إلى الله على بصيرةٍ هم اتباع الأنبياء فهو ﷺ يدعو إلى الله ، واتباعه يدعون إلى الله ، فإن أردت أن تكون من اتباع الأنبياء فعليك أن تكون من الدعاة إلى الله على بصيرة .

{وَسُبْحَانَ اللَّهِ} : تنـــزيه لله من أن يكون له شريك في ربوبيته أو ألوهيته ﷻ .

{وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}: فيه التبرؤ من الشرك وأهله .

قوله : [عن ابن عباس رضي الله عنه :أنّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : ((إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وفي رواية إلى أن يوحدوا الله

فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائِهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) (٤٧) **أخرجاه]** :

(لما بعث معاذاً إلى اليمن) : وكان ذلك كما في البخاري في السنة العاشرة من الهجرة النبوية .

(**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب**) : هذا فيه العلم بحال المدعو فإن الداعية ينبغي له أن يعرف حال المدعوين ؛ لأن هذا يكون أتم في دعوته وأكمل ، فإن كانوا من أهل الشبه فإنه يستعد ويتهيأ لهم بما يكون فيه جواب لشبهتهم ، وإن كانوا أهل شهوة يحتاجون إلى موعظة فإنه يعظهم ، وإن كانوا من أهل الجهل الذين يحتاجون إلى التعليم فإنه يعلمهم ، فإن الرجل قد يكون جاهلاً يحتاج إلى علم ، وقد يكون صاحب شهوة يحتاج إلى موعظة ، وقد يكون صاحب شبهة يحتاج إلى إزالة شبهة ، وإن كانوا من أهل الفِرَق فإنه يتعلم عقائد هذه الفرقة ويقرأ أجوبة أهل العلم عليها ليكون جوابه حسناً سديداً .

(**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**) : يصح في (شهادة) : الرفع على أنها اسم كان مؤخر ، والنصب على أنها خبر كان (فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادة) ويصح (فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةَ) .

وفي رواية : (إلى أن يوحدوا الله) وهي في البخاري ، فدل على أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له .

(**فإن هم أطاعوك لذلك**) : هذا فيه التدرج في الدعوة لا التدرج في التشريع ، والتدرج في التشريع خاص بأصحاب النبي ﷺ فقد كان الخمر مثلاً مباحاً ثم حُرم .

أما التدرج في الدعوة فهو أن تأتي إلى الرجل الذي يشرب الخمر وهو لا يصلي فتأمره بالصلاة أولاً ولا تنهاه عن الخمر حتى يقيم الصلاة المكتوبة ، لكن لا تقول له : إن الخمر حلال ؛ لأنه لا تدرج في الشريعة في هذه الحال .

(**فإياك وكرائم أموالهم**) : أي نفائس الأموال ، يعني : لا تأخذها في الزكاة ، فالزكاة تؤخذ من وسط المال .

قوله : [ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : ((لأعطين الراية غداً رجلاً يُحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه)) فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يُعطاها ،

---

(٤٧) تقدم .

فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يُرجى أن يعطاها ، فقال : ((أين علي بن طالب ؟)) فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأُتِي به فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال : ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم)) [٤٨] يدوكون : أي يخوضون] :

(**يحبه اللهُ ورسوله**) : فيه إثبات المحبة لله وأن الله يحب أولياءه المؤمنين .

(**يفتح الله على يديه**) : فيه أثر العقيدة ، وأن العقيدة لها أثر عظيم في الفتوح .

(**فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها**) : يدوكون ليلتهم أي يخوضون ليلتهم .

(**أيهم يعطاها**) : لا رغبة في الإمارة وإنما رغبة في الفضيلة .

(**فقيل هو يشتكي عينيه**) : من الرَمَد كما ثبت هذا في مسلم .

(**انفذ على رسلك**) : أي امض على مهلك .

(**حمر النعم**) : حمْر بتسكين الميم : جمع حمراء ، وأما حُمُر بالضم : فجمع حمار ، والنَعم بفتح النون : أي النوق الحمراء وهي أنفس أموال العرب .

وهذا الحديث فيه فضلية الدعوة إلى الله ﷻ .

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} **[سورة الإسراء ١٧/٥٧]الآية وقوله:** {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ = ٢٦ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} **[سورة الزخرف ٤٣/٢٦-٢٧]الآية. وقوله:** {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ} **[سورة التوبة ٩/٣١]الآية. وقوله:** {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} **[سورة البقرة ٢/١٦٥]الآية.**

وفي (الصحيح) عن النبي ﷺ أنه قال: ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)) [٤٩].

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

---

(٤٨) تقدم .

(٤٩) صحيح مسلم (١ / ٥٣) رقم ٢٣.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيَّنها بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء، بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لادعائهم إياهم.

ومنها قول الخليل (عليه السلام) للكفار: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ = ٢٦ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} **[سورة الزخرف ٤٣/٢٦-٢٧]فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة: هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله. فقال:** {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} **[سورة الزخرف ٤٣/٢٦-٢٧].**

ومنها: آية البقرة: في الكفار الذين قال الله فيهم: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} **[سورة البقرة ٢/١٦٧]ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!.**

ومنها قوله ﷺ : (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله) وهذا من أعظم ما يبيِّن معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

باب : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

العطف في هذه الترجمة من باب عطف المترادفين فإن تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بمعنى واحد .

قوله : [وقوله : {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً } [سورة الإسراء ١٧/٥٧] **]**

هذه الآية في تفسير التوحيد .

{أُوْلَئِكَ} : إشارة إلى المعبودين أي من يُعبد من دون الله ﷻ ، وهي في محل رفع مبتدأ .

والخبر الجملة الفعلية {يَبْتَغُونَ}، فيكون المعنى : أولئك المعبودون الذين قد عُبدوا من دون الله يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

إذن : هؤلاء المعبودون من دون الله أناس صالحون كعيسى وعزير وعلي وغيرهم من عباد الله الصالحين .

{يَدْعُونَ}: الواو في قوله : (يدعون) عائدة إلى العابدين ، فيكون المعنى : أولئك المعبودون الصالحون الذين يدعوهم هؤلاء المشركون يبتغون إلى ربهم الوسيلة .

فالواو في قوله : (يدعون) عائدة إلى العابدين ، ولذا قرأها ابن مسعود ﷺ : {أولئك الذين تدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة} فيكون المعنى : أولئك الذين تدعوهم أيها المشركون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، وقُرئت أيضاً : {أولئك الذين يُدْعَون} يعني من دون الله .

{الْوَسِيلَةَ}: هي ما يُتقرب به إلى الله من أنواع الطاعات .

قال ابن مسعود ﷺ كما ورد في الصحيحين : ((**نزلت في أناس من الإنس كانوا يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم**))[٥٠] .

إذن هذه الآية في عبادة الصالحين من دون الله ، وفي اتخاذهم شفعاء ووسائط من دون الله ، كما يكون من مشركي هذه الأمة الذين يعبدون الأضرحة من دون الله ، فيأتون إلى أضرحة الصالحين كالحسين وعبد القادر وغيرهم من الصالحين أو من يزعم أنهم صالحون وهم فسّاق فجّار كما ذكر في سيرهم ومع ذلك فقد عبدوهم من دون الله .

فعبادة الأولياء أو من يزعم أنهم أولياء من الشرك كما في هذه الآية الكريمة .

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} يحذره كل عاقل .

قوله : [وقوله : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ = ٢٦ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} [سورة الزخرف ٤٣/٢٦-٢٧] **]** :

{إِنَّنِي بَرَاءٌ}: يعني: متخلي ، قد تخليت عن عبادة هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ﷻ .

فقوله : {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} بمعنى (لا إله) ، {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} بمعنى (إلا الله) ، فهذه الآية بمعنى (لا إله إلا الله) واستثنى ﵇ الذي فطره ﷻ ؛ لأن قومه كانوا يعبدون الله أيضاً كما كان يقع من مشركي العرب كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره فكذلك قوم إبراهيم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ولذا استثنى الله ﷻ فقال : {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} أي : لكم معبودات كثيرة توجهون إليها العبادة من

(٥٠) صحيح البخاري (٤ / ١٧٤٧) رقم ٤٤٣٧. صحيح مسلم (٤ / ٢٣٢١) رقم ٣٠٣٠ .

جملة هذه المعبودات الله فأنا أتبرأ من كل هذه المعبودات لا أستثني من هذا التخلي والتبري إلا الله الذي فطرني .

إذن هذه الآية فيها معنى (لا إله إلا الله) وهي تجمع بين النفي والإثبات فـــ(لا إله) نفي و (إلا الله) إثبات فلابد أن يجمع بين النفي والإثبات ؛ لأنك إذا قلت : الرب إله ، هل نفيت الألوهية عن غيره ؟ الجواب : لا .

إذا قلت:زيدٌ حاضر في المجلس ، هنا أثبت الحضور لزيد لكن هل نفيت الحضور عن غيره ؟ الجواب : لا .

لو قلت : ليس حاضراً إلا زيدٌ ، نفهم من ذلك أنه ليس في المجلس إلا زيد .

فإذا قلت : الرب إله ، فإنك لم تنف أن يكون غيرهُ إلهاً يعبد ، فإذا قلت : (لا إله إلا الله) تكون قد حصرت الألوهية به سبحانه وتعالى .

قوله : [وقوله : {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ} [سورة التوبة ٣١/٩]

{أَحْبَارَهُمْ}: أي : العلماء ، {وَرُهْبَانَهُمْ}: أي : العبّاد .

{أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ}: هذا في شرك الطاعة وسيأتي إن شاء الله في بابه .

قوله : [وقوله : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [سورة البقرة ١٦٥/٢] **]** :

هذا في شرك المحبة وسيأتي إن شاء الله في بابه .

قوله : [وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرّم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل)) [٥١] **]** :

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه .

قال هنا : ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله)) : فضم إلى قوله :

(لا إله إلا الله) الكفر بما يعبد من دون الله ، فلابد أن يجمع بين قول : (لا إله إلا الله) وبين الكفر بالطاغوت ، ولذا قال عز وجل : {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ} [سورة البقرة ٢٥٦/٢] .

(٥١) تقدم .

وهذا الحديث من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل مجرد التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه يدعو الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله كما قال الشيخ رحمه الله .

فإن شك أو توقف في الكفر بعبادة الطاغوت ، قال : أنا أشك أن النذر لغير الله كفر ، أو أن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كفر ، هل يكون مسلماً أو كافراً ؟

الجواب : يكون كافراً ، ولا يكون مسلماً حتى يكفر بما يعبد من دون الله .

فلابد من البراءة من الشرك وأهله .

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} [سورة الزمر ٣٨/٣٩]الآية.

عن عمران بن حصين ﷺ ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ((ما هذه))؟ قال: من الواهنة. فقال: ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً)) (٥٢) **رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعاً: ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له))** (٥٣) **وفي رواية: ((من تعلق تميمة فقد أشرك))** (٥٤)**. ولابن أبي حاتم ((عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} [سورة يوسف ١٠٦/١٢]))**(٥٥) .

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

---

(٥٢) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٤٤٥) رقم ٢٠٠١٤ . سنن ابن ماجه (٢ / ١١٦٧) رقم ٣٥٣١ دون قوله : " فإنك لو مت .. الخ " . في الزوائد : إسناده حسن ، لأن مبارك هذا هو ابن فضالة. صحيح ابن حبان (١٣ / ٤٤٩) رقم ٦٠٨٥ . وفي المستدرك (٤ / ٢٤٠) رقم ٧٥٠٢ باختصار وصححه ووافقه الذهبي . كلهم من طريق الحسن عن عمران .

(٥٣) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٥٤) رقم ١٧٤٤٠ . مسند الشاميين (١ / ١٤٦) رقم ٢٣٤ . قال في مجمع الزوائد (٥ / ١٧٥) : " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات " .

(٥٤) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٥٦) رقم ١٧٤٥٨ . قال في مجمع الزوائد (٥ / ١٧٥) : " رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات " .

(٥٥) تفسير ابن أبي حاتم (٤٣ / ١٧٩) رقم ١٢٨٧٢ .

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: (لا تزيدك إلا وهناً).

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه.

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر بن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة، أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له، أي لا ترك الله له.

باب : من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

(**لرفع البلاء**) : بعد وقوعه ، كأن يصاب بعين فيعلّق خيطاً أو حلقة لرفع هذا البلاء .

(**أو دفعه**) : قبل وقوعه ، فالبلاء لم يقع فهو يتقيه بلبس حلقة أو خيط .

قال المؤلف رحمه الله : [وقوله تعالى : {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [سورة الزمر ٣٨/٣٩] **]** :

{قُلْ}: يا محمد .

{أَفَرَأَيْتُم}: أي أخبروني ، والخطاب هنا للمشركين : أفرأيتم أيها المشركون الذين تعبدون هذه الآلهة من دون الله وتقولون : إنهم شفعاء لكم ووسائط عند الله ﷻ فتقولون على الله ما لا علم لكم به .

{إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ}: أي بموت أو فقر أو نحو ذلك من الضر هل تكشف ضره ؟

الجواب : لا ؛ لأنّ المشركين يعتقدون أنها لا تنفع ولا تضر .

{أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ}: أي من غنى أو صحة فهل تمسك هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله رحمة الله أن تصلني ؟

الجواب : لا ؛ لأن المشركين لا يعتقدون أنها تنفع ولا يعتقدون أنها تضر ، وإنما يعبدونها من دون الله لاعتقادهم أنها وسائط لهم عند الله كما قال ﷻ : {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [سورة الزمر ٣٩/٣] .

قوله : [عن عمران بن حصين ﷺ أنّ النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفر ، فقال: ((ما هذه ؟)) فقال : من الواهنة ، فقال : ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً)) [٥٦] رواه أحمد بسند لا بأس به] :

قوله : (**فإنها لا تزيدك إلا وهناً**) : وهذا من باب المعاقبة بنقيض القصد فقد علق هذه التميمة ليتقوى بها من هذا الداء الذي يوهن عظامه ويضعفه فقال له النبي ﷺ : ((**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً**)) أي : ضعفاً .

لكن قد تقويه من باب الفتنة والاختبار ، فقد يجرب بعض الناس بعض الأشياء التي حرمها الله ﷻ فربما انتفع بها وهذا من باب الفتنة والاختبار .

والحديث من رواية الحسن البصري عن عمران بن حصين وقد اختلف هل سمع الحسن من عمران أم لا ، **والراجح** وهو قول ابن معين وابن أبي حاتم وأحمد أنه لم يسمع منه وعلى ذلك فالحديث وإن كان معناه صحيحاً لكن في سنده انقطاع .

قوله : [وله عن عقبة بن عامر ، مرفوعاً : ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق وَدْعةً فلا ودع الله له)) [٥٧]] :

(**ودْعة**) : بتسكين الدال ، (**فلا ودَع الله له**) : بتخفيف الدال .

(**من تعلق تميمة**) : التميمة في الأصل شيء يعلق من الخرز لاتقاء العين ، ثم أطلق على جهة العموم في كل ما يعلق لاتقاء العين أو غير العين ، وسواء كان المعلق من الخرز أو الخيوط أو غيرها فإن ذلك كله تميمة .

(**الودْعة**) : شيء يستخرج من البحر يعلق على الأولاد لاتقاء العين .

---

(٥٦) تقدم .

(٥٧) تقدم .

(**فلا ودع الله له**) : أي لا تركه الله في دعة وسكون، وهذا من باب المعاقبة بنقيض القصد.

والحديث وإن كان في سنده جهالة ؛ لأنه من حديث خالد بن عبيد المعافري و لم يوثقه سوى ابن حبان لكن الحديث الذي بعده يشهد له .

قوله : [وفي رِواية: ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) (٥٨) **رواه الإمام أحمد وهو حديث حسن]** :

الذي يعلق تميمة يكون قد وقع في الشرك ، ولكن هل هو شرك أكبر أم أصغر ؟

إن كان يعتقد أن هذه التميمة تنفع أو تضر بذاتها فهذا شرك أكبر .

ولكن عامة من يعلقها إنما يعتقد أنها سبب للشفاء وهذا شرك أصغر .

وإذا علق خيطاً يتقي به داء فإن ذلك من الشرك الأصغر إلا أن يعتقد أنها تنفع أو تضر بذاتها فإن هذا شرك أكبر .

كذلك إذا وضع على السيارة شيئاً من الخرز أو الخيوط فكذلك .

وقد يكون على الآدمي وقد يكون على الدابة وقد يكون على الدار وقد يكون في الدكان وبعضهم يضع على السيارة صورة عين ليتقي بذلك العين وهذا كله شرك أصغر .

قوله : [ولابن أبي حاتم ، عن حذيفة : ((أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله : {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} [سورة يوسف ١٢/١٠٦])) (٥٩)

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ}: رباً وخالقاً .

{إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}: به في العبادة .

وفي ذلك إنكار السلف للتمائم وهي من أعظم المنكرات .

وقد روى الحاكم في مستدركه بإسناد صحيح أن عبد الله بن مسعود ﷺ رأى في يد زوجته خيطاً من الحمرة فقطعه وقال : (لقد كان آل عبد الله أغنياء عن الشرك ؛ ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **((إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك))**) (٦٠) .

---

(٥٨) تقدم .

(٥٩) تقدم .

(٦٠) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٣٨١) رقم ٣٦١٥ . سنن ابن ماجه (٢ / ١١٦٦) رقم ٣٥٣٠ . ورواه الحاكم في المستدرك (جزء ٤ / ٢٤١) رقم ٧٥٠٤ ، ٧٥٠٥ وصححه ووافقه الذهبي . سنن أبي داود (٢ / ٤٠٢) رقم ٣٨٨٣ . صحيح ابن حبان (١٣ / ٤٥٦) رقم ٦٠٩٠ .

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ((فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت)) (٦١) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) (٦٢) [رواه أحمد وأبو داود]. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: ((من تعلق شيئاً وكل إليه)) (٦٣). [رواه أحمد والترمذي].

(التمائم): شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كـــان المعلـــق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و(الرقى): هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

و(التولة): شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه)) (٦٤).

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: ((من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة)) (٦٥) [رواه وكيع]. وله عن إبراهيم قال: ((كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن))(٦٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

---

(٦١) صحيح البخاري (٣ / ١٠٩٤) رقم ٢٨٤٣. صحيح مسلم (٣ / ١٦٧٢) رقم ٢١١٥ .

(٦٢) تقدم .

(٦٣) سنن الترمذي (٤ / ٤٠٣) رقم ٢٠٧٢. مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٣١٠) رقم ١٨٨٠٣ . سنن النسائي (٧ / ١١٢) رقم ٤٠٧٩ .

(٦٤) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٠٨) رقم ١٧٠٣٧. سنن أبي داود (١ / ٥٦) رقم ٣٦ .

(٦٥) مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٣٦) رقم ٢٣٤٧٣.

(٦٦) مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٣٦) رقم ٢٣٤٦٧.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟.

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين، من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وتراً.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

باب : ما جاء في الرقى والتمائم

قال المؤلف: [في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري : أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً : ((ألاّ يبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر – أو قلادة – إلا قُطعت))[٦٧]] :

الرقى : جمع رُقية وهي التعويذة ، أي يعوذه بلسانه قراءةً أو بكتابة شيء من التعاويذ .

وما حكم الرقي ؟

الرقى على نوعين :

النوع الأول : رقى محرمة ، وهي : ما كان فيها شرك كالاستغاثة بالولي الفلاني ، أو كانت على هيئة طلاسم (أي تكون الكتابة مجهولة لا يدرى ما فيها وما الذي تشير إليه) .

النوع الثاني : الرقية الجائزة ، وهي : ما سوى ذلك (أي ما سوى ما تقدم من كون الرقية فيها شرك أو كونها على هيئة طلاسم) .

فإذا رقى بالقرآن أو السنة أو بالأدعية المباحة فإن ذلك لا بأس به ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قيل له : (**إنا كنا نرقي في الجاهلية فما ترى في ذلك فقال ﷺ** : ((**اعرضوا عليّ رقاكم** – جمع مضاف والجمع المضاف يفيد العموم – **لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك**)))[٦٨] .

إذن أعطانا النبي ﷺ قاعدة وهي أن الرقى لا بأس بها و لم يستثنِ إلا ما كان شركاً ، وإذا كانت طلاسم فيحتمل أن يكون بها شرك بل إن ما يكتبه هؤلاء المشعوذون يُقطع أنه يرمز إلى الشرك .

---

(٦٧) تقدم .

(٦٨) صحيح مسلم (٤ / ١٧٢٧) رقم ٢٢٠٠.

فعلى ذلك إن رقى بالفاتحة أو بالمعوذات أو بآية الكرسي سواء كانت القراءة بنفث أو بدونه، أو بأن تكتب الرقية بالزعفران على إناء ويوضع عليه ماء فيشرب ، أو بأن تكتب على ورقة ثم توضع في ماء فتشرب ، كل ذلك جائز ((**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك**))(٦٩) .

فإذا رُقي من فيه مس بسورة الجن أو بأول سورة الصافات فلا بأس بذلك ، وإذا رقي من فيه عين بقراءة قوله ﷻ : {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ} [سورة الملك ٦٧/٤] . {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} [سورة النساء ٤/٥٤] أو بقراءة آيات السحر على من فيه سحر كل ذلك جائز فلا يشترط أن يكون وارداً ، فالنبي ﷺ لم يقل : (لا ترقوا إلا بما ورد) بل قال : ((**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك**)) .

إذن الأولى أن يرقى بما ورد ، فإن ضم إليه ما يكون من اجتهاد الرقاة قديماً أو حديثاً فلا حرج حيث خلا من الشرك ، كذلك التي تسمى العزائم وهي التي تكتب بالزعفران على ورق أو على جام (ما يسمى بإناء الصين) فلا حرج .

وأما التمائم فقد تقدم تعريفها .

(**قلادة من وتر أو قلادة**) : أي إما قال : (قلادة من وتر) أو قال : (قلادة) فقط والشك من الراوي .

الوتر : واحد الأوتار (أوتار القوس) كانوا يعلقونها على الإبل اتقاء العين ، هذه من التمائم، إذا عُلقت على رقبة الآدمي أو رقبة البعير أو الدار كل ذلك من التمائم .

(**إلا قطعت**) : هذا فيه إنكار الشرك ، وإنكار الشرك أعظم من إنكار المعاصي وفي كلٍ خير، فالذي ينكر الشركيات ، ينكر السحر والكهانة ويسعى في تنقية المجتمع من الشعوذة والخرافة وتطهير البلاد الإسلامية من عبادة القبور والأضرحة هذا أفضل من الذي ينكر المعاصي كالزنا والسرقة وشرب الخمر وفي كلٍ خير ، إلا أن يكون الذي قد ترك إنكار الشرك الأكبر لا يرى أنه شرك أو يخفف أمره فإن الأمر خطير.

قوله : [عن ابن مسعود ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك)) (٧٠) رواه أحمد وأبو داود ، الحديث صحيح] :

(٦٩) تقدم.

(٧٠) تقدم .

قوله : (**إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك**) :

تقدم الكلام على الرقى والتمائم .

وأما التولة : فسيأتي تعريف المؤلف لها إن شاء الله .

قوله : [عن عبدالله بن عُكيم مرفوعاً : ((**من تعلق شيئاً وُكل إليه**)) [٧١] **رواه أحمد والترمذي]** :

وهو حديث حسن لغيره .

(**من تعلق شيئاً وكل إليه**) : إذا تعلق العبد بغير الله ووضع حاجته إلى سواه فإنه يوكل إلى هذا العبد الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فيخذل ، فإن علامة الخذلان أن يكل الله العبد إلى غيره .

ومن توكل على الله ووضع حوائجه إليه وتعلق بالله ﷻ وعلم أن الأمر كله بيده ﷻ فإن الله ﷻ يكفيه أمره {مَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق ٣/٦٥] أي : هو كافيه .

والعبد يخذل إذا تعلق بغير الله ويوكل إلى هذا المتعلق به وهذا من باب المعاقبة بنقيض القصد .

فمن علق وتراً وهو ما يصنع من عصب بعض الحيوانات ، فإنه يوكل إلى هذه الأوتار التي علقها أو يوكل إلى هذا الخيط الذي علقه .

قوله : [التمائم : شيء يعلق ..... منهم ابن مسعود ﷺ] :

إذا كانت التمائم ليس فيها قرآن ، وليس فيها شيء من الأدعية والأذكار الواردة ، بل كانت وتراً مجرداً أو خيطاً مجرداً أو خرزاً أو نحو ذلك ، فهذا شرك كما تقدم وقد يكون أصغر وقد يكون أكبر على ما تقدم تقريره .

لكن إن كان المعلق فيه شيء من القرآن أو كان فيه شيء من الأدعية كأن يكتب فيه : (**أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق**) وهو الذي يسمى عند العامة بالحجاب أو يكتب على دكانه أو بيته : (**ما شاء الله ، تبارك الله**) ونحو ذلك فما حكمه ؟

هذه المسألة من المسائل التي وقع فيها التزاع بين السلف ، فمن السلف من نهى ، ومنهم من أجازه .

أما المجوزون فاستدلوا بقوله ﷻ : {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [سورة الإسراء ٨٢/١٧] قالوا : فدخل في عموم ذلك تعليق الآيات القرآنية بقصد الشفاء .

أما المانعون فاستدلوا بأدلة ، منها :

الدليل الأول : هذا الحديث : ((**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**)) .

---

(٧١) تقدم .

قالوا : هذا الحديث عام في التمائم كلها سواء كانت من القرآن أو من غيره فكل التمائم شرك .وفي هذا الدليل نظر ظاهر مخلوما يعلمه من القرآن من الشرك ٠

الدليل الثاني : قالوا : إن هذا الذي يعلق هذه التميمة من القرآن قد يدخل بها في بيت الخلاء فيكون ذريعة إلى امتهان القرآن الكريم .

قالوا أيضاً : إن القائم على إنكار المنكر إذا رأى هذا الحجاب لا يدري هل الذي فيه من القرآن أم ليس من القرآن ، فلا يتميز عنده الأمر .

كذلك أيضاً : قد لا يتميز من يكتب الآيات القرآنية ممن يكتب التعاويذ المحرمة الشركية ، فيوضع هذا الحجاب ثم يخاط فلا يدرى ما فيه ويظن الشخص أن ما فيه قرآناً ، فيبقى سنوات ثم إنه قد يفتحه فيجد شركاً وهذا يقع كثيراً .

وعلى ذلك فالقول الثاني هو **الراجح** من باب سد الذرائع ، وقاعدة سد الذرائع قاعدة شرعية دلت عليها نصوص الكتاب والسنة .

قوله : [والرقى هي التي ..... والحمة] :

وخصّ منها الدليل ما خلا من الشرك كما تقدم .

قوله : [والتولة : هي شيء ..... إلى امرأته] :

هو من باب العطف وهو من السحر ، وسيأتي إن شاء الله في الكلام على السحر ما يتعلق بسحر العطف والصرف إن شاء الله .

قوله : [وروى الأمام أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : ((يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس : أنّ من عقد لحيته ، أو تقلد وتَراً ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بريء منه)) [٧٢] **]** :

والحديث صحيح .

(**عقد لحيته**):قيل إنّ أهل الجاهلية يعقدون اللُحى تكبراً وتجبراً ،وقيل إنهم كانوا يفعلون ذلك اتقاء العين .

وعلى كلا الاحتمالين فإن ذلك محرم سواء كانوا يفعلون ذلك تكبراً أو كانوا يفعلونه اتقاء العين .

(**لحيته**) : تصح بكسر اللام ، وتصح بضمها .

(**أو تقلد وتراً**) : أي وضع قلادة من وتر ، علقها على بدنه أو على دابته أو على داره .

---

(٧٢) تقدم .

(**أو استنجى برجيع دابة أو عظم**) : لأن الاستنجاء بهما محرم ؛ لأن العظم والروث طعام الجن وطعام دوابهم ، فالعظم يكسى لهم لحماً ، وأما الروث فهو طعام دوابهم .

(**فإن محمداً بريء منه**) : لكن هل هذه هي البراءة التامة التي تكون من المشركين ؟

والجواب : لا، هي براءة من أفعالهم وليست هي البراءة التامة ، وهذا الحديث من أحاديث الوعيد.

قوله :[وعن سعيد بن جبير قال : ((من قطع تميمة من إنسان كان كعِدل رقبة)) [٧٣] **رواه وكيع]**:

وهذا من فقه السلف رحمهم الله جميعاً ؛ لأن هذا الذي يقطع التميمة من إنسان يكون قد حرره من الشرك فكان كما لو أعتق مملوكاً .

قوله : [وله عن إبراهيم قال : ((كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن)) [٧٤] **]** :

كانوا : يعني أصحاب ابن مسعود ﷺ ؛ لأن إبراهيم النخعي رحمه الله من أصحاب ابن مسعود ﷺ

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} [سورة النجم ١٩/٥٣] الآيات.

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـــ والذي نفسي بيده ـــ كما قالت بنو إسرائيل لموسى:{اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ = ١٣٨} [سورة الأعراف ١٣٨/٧] لتركبن سنن من كان قبلكم)) [٧٥]. [رواه الترمذي وصححه].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

---

(٧٣) تقدم .

(٧٤) تقدم .

(٧٥) سنن الترمذي (٤ / ٤٧٥) رقم ٢١٨٠ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٢١٨) رقم ٢١٩٤٧ ، ٢١٩٥٠

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: (الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم) فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: {اجعل لنا إلهاً} .

التاسعة: أن نفي هذا معنى (لا إله إلا الله)، مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافاً لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله (إنها السنن).

الثامنة عشرة: أن هذا عَلم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما (من ربك)؟ فواضح، وأما (من نبيك)؟ فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما (ما دينك)؟ فمن قولهم: (اجعل لنا إلهاً) إلخ.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: ونحن حدثاء عهد بكفر.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

التبرك : هو طلب البركة ، ومادة التبرك (الباء والراء والكاف) في إثبات الشيء (أي هذه المادة وأصل هذه المادة تدور على إثبات الشيء) ومن ذلك بروك البعير ، ومن ذلك البركة التي هي تجمع الماء .

والبركة في اللغة هي : النماء والزيادة .

والتبرك : طلب البركة ، يعني : طلب النماء والزيادة ، أي طلب الخير .

والبركة : هو أن يطلب الخير بملابسة شيء ما .

والتبرك لا يجوز إلا فيما ثبت شرعاً أو قدراً أن فيه بركة .

إذن التبرك الجائز نوعان :

النوع الأول : تبرك فيما ثبت في الشرع .

النوع الثاني : تبرك فيما ثبت في الكون .

مثال ما ثبت في الشرع : تقبيل الحجر الأسود ، أنت عندما تطلب الخير أي (الأجر الذي رتبه الشارع) على تقبيل الحجر الأسود هذا التبرك وارد في الشرع .

والتماس الخير في الذكر وفي الدعاء وفي قراءة القرآن ، كل ذلك ثبت في الشرع .

ومثال ما ثبت في الكون : وهو لابد أن يكون محسوساً واقعاً لا مجرد أوهام ، مثل طلب الولد بالنكاح ، فالولد من الخير طلبه بالنكاح هذا قد ثبت في القدر أن النكاح سبب للولد ، ومثل طلب الرزق بالتجارة كذلك ، أيضاً كون العُشْبة سبب للشفاء من المرض الفلاني هذا ثابت بطريق كوني قدري ، وكون ورق السدر ينفع المسحور أيضاً ثابت بالكون والقدر .

إذن لا نتبرك إلا بما ثبت بالشرع أن فيه خيراً وبركة أو فيما ثبت في القدر أنّ فيه بركة وخيراً

قال المؤلف رحمه الله **تعالى** : **[وقول الله تعالى** : {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى = ١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى = ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى = ٢١ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى = ٢٢ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى = ٢٣} [سورة النجم ٥٣/١٩-٢٣] **]** :

ذكر الله ﷻ هذا بعد أن قرر الرسالة في صدر سورة النجم وأتبع ذلك بما يدل على عظمة الله ﷻ وما يدل على قدرته الباهرة ووجوب عبادته ﷻ ، ثم أتبع ذلك بتحقير معبودات المشركين واستصغارها .

قوله ﷻ : {أَفَرَأَيْتُم}: أي : أخبروني أيها المشركون يا عبدة الأصنام والأوثان .

{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى = ١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى = ٢٠}: أي : هل تنفع أو تضّر .

(**اللات**) : رجل صالح كان يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره .

والسويق : هو طحين يوضع عليه السمن ويحمص على النار .

(**العزى**) : مؤنث الأعز ، وهي شجرة كانت تعبد من دون الله ﷻ .

(**مناة**) : صخرة كانت تعبد من دون الله ﷻ ، وسميت مناة لكثرة ما يُمنى عندها من الدماء، كما تسمى مِنى ، بـــ(مِنى) لأنها تسفك فيها الدماء .

وقرأت (مناءة) من النوء ، والنوء هو النجم كما سيأتي إن شاء الله تعالى ؛ لأنهم كانوا يستقون بالأنواء عندها .

ففي هذه الآية النهي عن التبرك بالأضرحة والأشجار والأحجار وأنّ ذلك هو عبادة المشركين، فإنهم لم يكونوا فقط يتمسحون بها بل كانوا يعبدونها من دون الله ، يذبحون لها وينذرون لها .

والأظهر أنها كانت كلها في مكة ، ومن أهل العلم من يقول : هذه في موضع كذا ، وهذه في موضع كذا ، لكن نقول : كلها في مكة وإن كانت في مواضع أخرى أيضاً فكانوا يضعون صخرة هنا وصخرة هنا كالفرع لها ولكن كلها في الأصل في مكة ؛ لأنّ الخطاب لمشركي قريش .

قوله : [عن أبي واقد الليثي ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ، ونحن حُدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها ، ويَنوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ : ((الله أكبر ، إنها السُّنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : {اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [سورة الأعراف ١٣٨/٧] **لتركبُنّ سُنن من قبلكم))** [٧٦] **رواه الترمذي وصححه]**:

(العكوف) : هو الإقامة عند الشيء ، ومنه سُمي الاعتكاف اعتكافاً ؛ لأنك تقيم في المسجد .

(**ينوطون بها أسلحتهم**) : أي يعلقون بها أسلحتهم .

(**السُنن**) : يعني الطرق والمناهج ، أي : هذا الطريق سلكه من كان قبلكم ، وضبطت (السَنن) بفتح السين ويصح بضمها (السُنن) .

---

(٧٦) تقدم .

وقال ﷺ : ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**)) قيل : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : ((**فمن**)) [٧٧] والحديث رواه أحمد وأصله في الصحيحين .

في هذا الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي واقد الليثي أنكر النبي ﷺ قصد تعليق الأسلحة على هذه الشجرة ، فهم سألوا النبي ﷺ أن يأذن لهم بشجرة يعلقون عليها أسلحتهم فأنكر النبي ﷺ هذا إنكاراً عظيماً وبين أنّ هذا من الشرك فقال ﷺ : ((**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**)) [٧٨] فكيف بالذي يعكف عند الضريح وينذر له ويطوف حول قبره ويتمسح بجدرانه ويُمرغ وجهه بعتباته والعياذ بالله ، إذا كان هذا الذي وقع من أصحاب النبي ﷺ لكونهم حدثاء عهد بكفر قد أنكره النبي ﷺ هذا الإنكار العظيم وهم سألوه و لم يفعلوا فكيف بالذي يقع عند أضرحة الأموات من دعاء غير الله ﷻ .

إذن من أتى إلى شجرة أو حجرة أو ضريح فعبده من دون الله والتمس الخير عنده وإن كان يعتقد أن النافع الضار هو الله لكنه التمس الخير عنده وصرف إليه نوعاً من أنواع العبادة مثل الذبح والنذر وغير ذلك فهذا هو الشرك .

وأما إن لم يصل الأمر إلى العبادة بل تمسح به و لم يعبده فما حكمه ؟

الجواب : هذا شرك أصغر .

وما حكم التبرك بالصالحين مثل شرب سؤرهم أو التمسح بعرقهم أو ثيابهم ؟

قال بعض المتأخرين : إن هذا مستحب كالنووي رحمه الله .

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد رحمه الله : هذا القول خطأ صريح لوجوه – وهو كما قال – منها :

١– أنّ أصحاب النبي ﷺ لم يتبركوا بأكابر أصحابه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ ، و لم يتبرك التابعون بالصحابة ولا اتباع التابعين بالتابعين ولو كان موجوداً لنقل إلينا نقلاً بيناً .

٢– أنّ قياس غير النبي ﷺ على النبي ﷺ باطل من وجوه :

---

(٧٧)مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٢٥) بلفظ : " ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة " . وفي الصحيحين والمسند بلفظ : " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)لفظه كلفظ البخاري . قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال (فمن) . وليس فيه " حذو القذة بالقذة " صحيح البخاري (٣ / ١٢٧٤) رقم ٣٢٦٩ . صحيح مسلم (٤ / ٢٠٥٤) رقم ٢٦٦٩ . مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٣٢٧) رقم ٨٣٢٢ وفي مواضع أخرى .

(٧٨) تقدم .

أولاً : أنّ غيره لا يتحقق لنا صلاحه ، فالصلاح لا يكون إلا بصلاح القلوب ، ولو تحقق صلاحه لم تؤمن له سلامة سوء الخاتمة .

ثانياً : لا تؤمن عليه الفتنة وهذا أشد من المدح ؛ فإذا كان المدح في وجهه محرم وفيه ضرر عليه ، فأولى من ذلك أن يتبرك بريقه أو نحو ذلك .

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ = ١٦٢ لاَ شَرِيكَ لَهُ} [سورة الأنعام ٦/١٦٢-١٦٣]**الآية، وقوله:** {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [سورة الكوثر ١٠٨/٢].

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: ((لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض)) [٧٩] **[رواه مسلم]**.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب)) قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: ((مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة)) [٨٠] **[رواه أحمد]**.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير {إن صلاتي ونسكي}.

الثانية: تفسير {فصل لربك وأنحر}.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثاً وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجيء إلى من يجيره من ذلك.

---

(٧٩) صحيح مسلم (٣ / ١٥٦٧) رقم ١٩٧٨.

(٨٠)كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (١ / ١٥) . مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٤٧٣) رقم ٣٣٠٣٨ . شعب الإيمان (٥ / ٤٨٥) رقم ٧٣٤٣ . حلية الأولياء (١ / ٢٠٣) كلهم موقوفا على سلمان رضي الله عنه .

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك في الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيّن، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل: (دخل النار في ذباب).

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك).

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

باب : ما جاء في الذبح لغير الله

أي : من الوعيد وأنه شرك أكبر ، والنصوص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ دالة دلالة قطعية على أن الذبح عبادة يجب إخلاصها لله بل إنها من أجل العبادات وأكبر الطاعات وصرف شيء منها إلى غير الله شرك أكبر كما تقدم تقريره .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقوله تعالى :** {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ = ١٦٢ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ = ١٦٣} [سورة الأنعام ٦/١٦٢-١٦٣]] :

النسك : هو الذبح .

{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي}: أي ما يكون من أعمال صالحة وأقوال طيبة في حال الحياة وعند الوفاة من قول كلمة التوحيد {لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

{لاَ شَرِيكَ لَهُ}: فيه أن الذبح لغير الله شرك أكبر ؛ لأنه قال : لا شريك له ، يعني : في الصلاة والنسك وفي الأعمال الصالحة التي تكون لله في حال حياة العبد وعند وفاته .

قوله : [وقوله : {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [سورة الكوثر ١٠٨/٢] **]** :

تقديم المعمول هنا (لربك) دال على الحصر ، أي : احصر النحر لله ﷻ فلا تذبح لغيره .

فدل على أن النحر مقصور على الله ﷻ ، فليس لأحد أن يتقرب بالنحر لغيره ، وعلى ذلك فالذبح للجن أو لطلعة السلطان ، يعني : عندما يدخل السلطان البلد تنحر الإبل وتنحر الأبقار وتذبح الغنم تقرباً إلى السلطان فلا يقصدون بذلك اللحم ولا إكرام السلطان وإنما يقصدون من ذلك التقرب والتزلف إليه بالذبح ، فهذا شركٌ أكبر .

المشركون في باب الذبح : منهم من تكون ذبيحته على اسم آلهته فيذكرها عند الذبح فيقول مثلاً : باسم المسيح وهذا شركٌ في الاستعانة .

ومنهم من لا يذكر اسم آلهته عند الذبح لكنه يقصد التقرب إليها ، وقد يذكر اسم الله عليها فيقول عند الذبح : (باسم الله) لكنه يقصد من الذبح غير الله كالجن أو الأموات .

ومن المشركين من يجمع بين النوعين .

فالنوع الأول شرك في الاستعانة {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة ١/٥] .

والنوع الثاني شركٌ في العبادة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} [سورة الفاتحة ١/٥] .

فإذا قال الرجل عند الذبح : (باسم الله) هذه استعانة بالله ، وإن كان يقصد التقرب إلى الله، فهذا قربان لله ﷻ . وإذا قال : هذه الذبيحة للجن أو لطلعة السلطان أو للأموات ، تلفظ بذلك أو نواه فهذا هو الذبح لغير الله .

إذن : عندنا استعانة بغير الله وعندنا ذبح لغير الله وكلاهما كفر أكبر ، لكن الشرك في العبادة أعظم من الشرك في الاستعانة ، فمن قال : (بسم الله) عند الذبح وهو ينوي أن يتقرب بها إلى الميّت أو الجن فهذا شرك في العبادة ، ومن يقول : (باسم المسيح) وهو يقصد اللحم فهذا شرك في الاستعانة ، الأول أقبح ؛ لأن الشرك في العبادة أعظم من الشرك في الاستعانة ، ولذا قدّم الله ﷻ قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} [سورة الفاتحة ١/٥] على قوله : {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة ١/٥] وقال ﷺ : ((**اللهم منك ولك**))[٨١] بعد قوله : ((**باسم الله والله أكبر**)) فقول النبي ﷺ: ((**باسم الله والله أكبر**))[٨٢] هذه استعانة بالله ، وقوله : ((**منك ولك**))[٨٣] هذا تقرب إليه ﷻ وقد قدم التوحيد على الاستعانة .

إذن : عندنا نوعان من الشرك يقع بهما المشركون عند الذبح :

---

(٨١) سيأتي .

(٨٢) صحيح مسلم (٣ / ١٥٥٦) رقم ١٩٦٦ .

(٨٣) أخرجه أبو داود رقم ٢٧٩٥ . سنن الدارمي (٢ / ١٠٣) رقم ١٩٤٦ .

النوع الأول : أن يسمي غير الله على الذبيحة ، وهذا شرك في الاستعانة .

النوع الثاني : أن يقصد التقرب إلى غير الله ، وهذا شرك في العبادة ، قال ﷻ : {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [سورة المائدة ٥/٣] أي : ما نُطق به لغير الله بأن قيل عند الذبح : باسم المسيح ، مثلاً .

والأصل أنهم كانوا يرفعون أصواتهم فيقول مثلاً : باسم المسيح ، ومن ثم سُمي إهلالاً كالإهلال بالحج بقول : (لبيك حجاً) ترفع بها صوتك . وقد لا يرفعون ، ولكن لما كان الأصل الرفع سُمي إهلالاً .

ثم قال ﷻ : {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} [سورة المائدة ٥/٣] وفي هذه الآية تفسيران الصواب أن الآية تشملهما جميعاً :

التفسير الأول : ما ذبح على النُصب أي الحجارة التي كانت تُعبد من دون الله ، يعني : يؤتى بالذبيحة على هذه الحجارة التي تُعبد من دون الله فتُذبح عليها ويراق الدم عليها تقرباً إلى هذه الآلهة .

التفسير الثاني : أي وما ذُبح لأجل النصب كما قال ﷻ : {وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} [سورة البقرة ٢/١٨٥] أي لأجل ما هداكم وكما يقال : أوَلَمَ فلان على فلانة ، أي : لأجل فلانة في نكاحه عليها {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} [سورة المائدة ٥/٣] أي : وما ذبح لأجلها .

وهذا عطف ، والأصل في العطف التغاير {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [سورة المائدة ٥/٣] ما ذُكر اسم غير الله عليه {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} [سورة المائدة ٥/٣] أي : لأجل النصب التي تعبد من دون الله ، مثلاً : رجل به سحر قال له الكاهن : اذبح بهيمة وصفها كذا وعند الذبح قال : باسم الله ، لكنه يقصد التقرب للجان ليشفى من مرضه ، نقول : هذا شرك في العبادة ؛ لأن فيه تقرباً لغير الله .

قوله :] عن علي بن طالب ﷺ قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : ((لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى مُحدثاً ، لعن الله من غيّر منار الأرض)) (٨٤) **رواه مسلم]** :

(**لعن الله من ذبح لغير الله**) : وهذا لعن بالوصف ، واللعن بالوصف جائز كما قال ﷺ : ((**لعن الله شارب الخمر**)) (٨٥) ، ((**لعن الله السارق**)) (٨٦) ، ((**لعن الله الواشمة**)) (٨٧) إلى آخر ما جاء في هذا الباب .

---

(٨٤) تقدم .

(٨٥) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٩٧) رقم ٥٧١٦ ، مسند الطيالسي (١ / ٢٦٤) رقم ١٩٥٧ . مسند أبي يعلى (٩ / ٤٣١) رقم ٥٥٨٣ .

(٨٦) صحيح البخاري (٦ / ٢٤٨٩) رقم ٦٤٠١ . صحيح مسلم (٣ / ١٣١١) رقم ١٦٨٧ .

(٨٧) صحيح البخاري (٥ / ٢٢١٨) رقم ٥٥٩٨ وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (٣ / ١٦٧٨) رقم ٢١٢٥ .

وأما اللعن على التعيين كأن يقول : لعن الله فلاناً ، فهل يجوز ؟

اختلف أهل العلم على قولين :

فمن أهل العلم من أجازه وهو قول ابن الجوزي .

ومنهم من لم يجزه وهو قول أبي بكر عبد العزيز من الحنابلة واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وهذا هو **الصواب** وأن اللعن المعين لا يجوز إلا لمن عُلم أنه من أهل النار كأبي لهب وإبليس ، وأما لعن من لا يدرى هل يُختم له بكفر أو إسلام فلا يجوز قال ﷻ : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣] لما قال الرسول ﷺ : ((**اللهم العن فلاناً وفلاناً**)) (٨٨) .

(**قال لعن الله من لعن والديه**) : كيف يلعن الرجل والديه ؟ يلعن الرجل أبا الرجل فيلعن الرجل أباه ويلعن أمه فيلعن أمه ، ولذا قال رسول الله ﷺ فيما ثبت في الصحيحين قال : ((**إن من الكبائر أن يلعن الرجل والديه**)) ، قالوا يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : ((**يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**)) (٨٩) .

(**من لعن والديه**) : أي كان سبباً للعن والديه و لم يباشر اللعن .

(**لعن الله من آوى محدثاً**) : المحدث : هو فاعل الحدث والحدث عام في المعصية وفي البدعة فمن أحدث معصية يستحق عليها عقوبة ، كالذي يؤوي قاتلاً بأن حال بينه وبين العقوبة الشرعية التي يستحقها فهو ملعون ،وكذلك من أحدث في الدين قال ﷺ : ((**إياكم ومحدثات الأمور**)) (٩٠) فمن أحدث في دين الله ما ليس منه فأقرَّ أحد و لم ينكر عليه ورفع من مترلته وهو محدث في دين الله فإن هذا الذي آواه أيضاً ملعون .

وفي رِواية (محدَثاً) بفتح الدال ، ضبطت بالفتح وضبطت بالكسر ، المحدَث بفتح الدال : البدعة نفسها (أي محدثاً في دين الله) أي دعى إلى بدعة .

---

(٨٨) صحيح البخاري (٤ / ١٤٩٣) رقم ٣٨٤٢ وفي مواضع أخرى .

(٨٩) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٢٨)رقم ٥٦٢٨ ، صحيح مسلم (١ / ٩٢) رقم ٩٠ .

(٩٠) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٢٦) رقم ١٧١٨٤ . سنن أبي داود (٢ / ٦١٠) رقم ٤٦٠٧ . سنن الترمذي (٥ / ٤٤) رقم ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث صحيح . سنن ابن ماجه (١ / ١٨) رقم ٤٦ .

قال : (**لعن الله من غير منار الأرض**) : أي غيّر العلامات التي تُعرف بها الحدود ، بحيث لا تتميز أرض فلان من أرض فلان ، وقد قال ﷺ : ((**من اقتطع شِبراً من الأرض ظلماً طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**))(٩١) متفق عليه .

قوله :] وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : ((دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب)) قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : ((مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحدٌ حتى يقرب له شيئاً ، قالوا لأحدهما : قرّب ، قال : ليس عندي شيء أُقرب ، قالوا له : قرّب ولو ذباباً ، فقرّب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر قرب ، قال : ما كنت لأُقرب لأحدٍ شيئاً دون الله ﷻ ، فضربوا عُنقه ، فدخل الجنة))(٩٢) رواه أحمد] :

قوله : (**فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار**) : لأنه ذبح لغير الله وإن كان هذا المذبوح شيئاً يسيراً كالذباب .

(**رواه أحمد**) : وهو في كتاب الزهد للإمام أحمد ، وأيضاً رواه صاحب الحلية وهو موقوف على سلمان الفارسي رضي الله عنه فهو عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، والمؤلف ~ قد تبع ابن القيم في العزو هنا **والصواب** ما تقدم وأنه منقول عن سلمان الفارسي رضي الله عنه .

فإن قيل : إن هذا الرجل الذي ذبح لغير الله مكره والله ﷻ يقول : {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [سورة النحل ١٠٦/١٦] فالجواب من وجهين أحدهما أقوى من الآخر :

الأول – وهو الأضعف – أن هذا كان في الأُمم السابقة و لم يكن الإكراه عذراً في شرعهم وإنما هو عذر لهذه الأمة خاصة فقد وضع الله سبحانه وتعالى عن هذه الأمة الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة .

وهذا جواب صحيح ولكن الأقوى منه :

الوجه الثاني : وهو أن يقال : إن هذا الرجل قد اطمأن قلبه بالإيمان والله يقول : {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [سورة النحل ١٠٦/١٦] والآخر قد انشرح صدره واطمأن بالكفر وهذا يؤخذ من قوله : (قرّب) فهو لم يفعل فقط فلم يقل (ذبح) فلو قال : ذبح لاحتمل أن هذا الذبح على جهة التقرب أو يكون ذلك مجرد موافقة في الظاهر أي ذبح في الظاهر لكن قلبه مطمئن بالإيمان ولكنه قال : قرَّب ،

---

(٩١) صحيح البخاري (٣/ ١١٦٨)رقم ٣٠٢٦ ، صحيح مسلم (٣ / ١٢٣٠) رقم ١٦١٠.

(٩٢) تقدم .

والتقريب من أفعال القلوب فدل على أن ظاهره وافق باطنه ، وقوله : (قرّب) مأخوذة من الأثر نفسه وهذا الأثر له حكم الرفع .

إذن المعذور : هو من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن إذا أُكره فانشرح صدره بالكفر ورضي به فإنه يكفر كما قال ﷻ :{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً = ١٤} [سورة الأحزاب ١٤/٣٣] فمن رفع على رأسه السيف وهو عنده إيمان فيقال له : اكفر ، فيكفر وينشرح صدره بالكفر هل نقول : إنه مكره ؟ لا ؛ لأن الإكراه ليس على عمل القلوب وإنما على عمل الجوارح وقول اللسان .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً} [سورة التوبة ١٠٨/٩]**الآية.**

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد))؟ قالوا: لا. قال: ((فهل كان فيها عيد من أعيادهم))؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) (٩٣) **[رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما].**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: {لا تـَقُم فيه أبداً} .

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

(٩٣) سنن أبي داود (٢ / ٢٥٧) رقم ٣٣١٣.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

باب : لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

مناسبة هذا الباب إلى الباب الذي قبله مناسبة ظاهرة ، فإن هذا الباب في الوسائل والباب الذي قبله في المقاصد ، فالباب الذي قبل في عبادة غير الله في الذبح لغيره وهذا كما تقدم شرك أكبر ، وأما هذا الباب فهو فيما هو وسيلة إلى الذبح لغير الله ؛ لأن الشريعة الإسلامية جاءت بسد الذرائع .

معنى الترجمة : أن يذبح الرجل ذبيحته لله كالأضحية مثلاً في مكان يذبح فيه لغير الله فيأتي إلى ضريح ميّت يأتيه المشركون يذبحون عنده الذبائح فيذبح عنده أضحيته لا ينوى بذلك التقرب إلى هذا الميت .

أو يذبحها في مكان يجتمع فيه المشركون وهذا لأعيادهم ويذبحون هم فيه هذا الموضع لغير الله وهذا لا يجوز ؛ لأن الموافقة في الظاهر تدعو إلى الموافقة في الباطن ولذا نُهي عن التشبه بالمشركين في الظاهر ؛ لأنه يدعو إلى التشبه بهم في الباطن أيضاً فهو ذريعة إلى الكفر .

كذلك قد يقتدي به بعض الجهلة أو يُسيء به الظن بعض الناس أو يدخل عليه الشيطان فيوقع في قلبه أنه تقرب إلى هذا الذي يُذبح له .

فإن قيل : الصلاة في الكنيسة أليست جائزة ؟ فالجواب : بلى ، الصلاة في الكنيسة جائزة عند أهل العلم.

فإن قيل : فما الفرق بين الصلاة في الكنيسة وبين الذبح في المكان الذي يُذبح فيه لغير الله ؟

فالجواب : أن الذبح واحد لا يختلف فصورة الذبح واحدة ، وأما صورة الصلاة فهي مختلفة فعندما يأتي إلى الكنيسة فيصلي بها صلاة المسلمين هل صلاته هي عين صلاة النصارى ؟ الجواب: هي ليست عين صلاتهم بل تختلف ، وأما الذبح فصورته واحدة .

قال المؤلف رحمه الله : [وقوله تعالى : {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً} [سورة التوبة ١٠٨/٩] **]** :

هذه الآية في مسجد الضرار الذي بني تفريقاً بين المؤمنين فلا يجتمعون في مسجد واحد يصلون فيه وهذا ذريعة لتفريق القلوب ، وكذلك أيضاً إرصاداً لمن حارب الله ورسوله ﷺ فهو مسجد بني على أساس من معصية الله والكفر به فنهى الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ أن يقوم فيه .

كذلك الأماكن التي يذبح فيها لغير الله فهي قائمةٌ على معصية الله والكفر به ، فيُنهى المؤمن أن يذبح لله فيه ، وهذا من فقه الإمام محمد وحسن قياسه .

قوله : [وعن ثابت ابن الضحاك ﷺ قال : (نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي ﷺ ، فقـــال : ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟)) قالوا : لا ، قال : ((فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟)) قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ : ((أوفِ بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم)) [٩٤] **رواه أبو داود وإسناده على شرطهما]** :

الحديث حديث صحيح .

(**ببوانة**) : الباء هنا بمعنى (في) يعني : في بوانة ، فالباء ظرفية ، وبوانة : موضع دون ميقات يلملم .

قوله : (**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد**) : لأنهم كانوا يذبحون للأوثان فيكون موضعاً يذبح فيه لغير الله .

قـــوله : (**فهل كان فيها عيد من أعيادهم**) العيد : اسم لما يعود من الاجتماع العام المعتاد سواء كان يعود كل سنة أو كل شهر أو كل أسبوع مثل الجمعة ، وسواء كان زمناً كما سبق أو مكاناً كما في قوله ﷺ : ((**لا تجعلوا قبري عيداً**)) [٩٥] .

(**عيداً**) : أي يجتمع له الناس ، ولذا فإن من أدلة تحريم المولد النبوي أنه ذريعة للاجتماع عند قبره ﷺ .

وكانوا يذبحون في أماكن أعيادهم لغير الله .

قوله : (**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**) : دل على أن الذبح لله في موضع يُذبح فيه لغير الله معصية لله .

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [سورة الإنسان ٧/٧٦] **وقوله:** {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} [سورة البقرة ٢/٢٧٠].

وفي (الصحيح) عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)) [٩٦].

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

---

(٩٤) تقدم .

(٩٥) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى .

(٩٦) صحيح البخاري (٦ / ٢٤٦٣) رقم ٦٣١٨ ، ٦٣٢٢.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

باب من الشرك النذر لغير الله

أي : من الشرك الأكبر النذر لغير الله ، كأن يقول : يا سيدي الحسين .. ياسيدي عبدالقادر إن شُفي مريضي فلك عليّ كذا وكذا من الدراهم ، هذا هو النذر لغير الله ، وكان المشركون ينذرون للأوثان لتشفع لهم عند الله ، ومن ذلك أن ينذر زيتاً لإضاءة السرج عند الأضرحة أو أن ينذر لها نفقة أو نحو ذلك فهذا كله شرك أكبر ؛ وذلك لأن النذر عبادة وتقدم لكم أن صرف العبادة إلى غير الله شرك أكبر .

ذكر الإمام رحمه الله في هذا الباب بعض الأدلة التي تدل على أن النذر عبادة فمن ذلك :

قوله رحمه الله : [وقول الله تعالى : {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [سورة الإنسان ٧/٧٦] **]** :

يمتدح الله ﷻ في هذه الآية عباده المؤمنين بأنهم يوفون بالنذر ، والله إنما يمتدح على ما يحبه ويرضاه .

والعبادة : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال .

قوله :] وقوله : {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} [سورة البقرة ٢٧٠/٢] **[** :

{فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ}: أي فيجازيهم عليه .

فقرن الله ﷻ في هذه الآية الكريمة النذر بالنفقة في سبيله ، وأخبر ﷻ أنه يعلم ذلك فيثيبكم على ما نذرتموه ، وهذا أيضاً يدل على أن النذر عبادة ، فإن الله إنما يجازي على العبادة .

قوله : [وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**))[٩٧] **والحديث رواه البخاري في صحيحه]** :

هذا الحديث يدل أيضاً على أن النذر عبادة ؛ لأنه قال : ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه**)) فدل ذلك على أن النذر عبادة وطاعة .

إذن صرف العبادة لغير الله شرك أكبر .

والنذر للمخلوقات كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله أعظم من الحلف بها ، وسيأتي إن شاء الله الكلام عن الحلف بغير الله ﷻ ؛ وذلك لأن النذر لغير الله عبادة ، أما الحلف بغير الله فإنه ليس بعبادة كما سيأتي تقريره إنما هو من وسائل العبادة ومن ذرائعها ولذا فإن الحلف بغير الله شرك أصغر .

---

(٩٧) تقدم .

إن قال – كما يقع من بعض المشركين – : نذر لروح النبي ، أو قال : نذر لروح الولي الفلاني ، فما الحكم ؟

الجواب : فيه تفصيل :

فإن كان النذر للنبي أو للولي تقرباً إليه فهذا هو الشرك الأكبر .

وأما إن كان يريد أنه نذر لله لكن ثوابه يهدى إلى الولي أو النبي فهذا بدعة وليس بكفر .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً } [سورة الجن ٧٢/٦].

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من نزل مترلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من مترله ذلك)) [٩٨] **[رواه مسلم].**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر أو جلب نفع – لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

الاستعاذة بالله عبادة وهي الالتجاء إليه والاعتصام به ﷻ والفزع إليه عند المخاوف والمصائب والشدائد والرغبة إليه ﷻ في دفع كل محذور .

وحقيقة الاستعاذة : أن تفرّ مما تخاف إلى من يعصمك منه .

---

(٩٨) صحيح مسلم (٤ / ٢٠٨٠) رقم ٢٧٠٨ .

والاستعاذة نوع من أنواع الدعاء ؛ لأنّ المستعيذ بالله كالذي يقول : اللهم أعذني ، وعلى ذلك فالاستعاذة بالله عبادة ، وصرف العبادة إلى غير الله شرك أكبر ، فمن استعاذ بغير الله فقد عبده فالاستعاذة بالله عبادة كما قال ﷻ : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [سورة الفلق ١/١١٣] وقال ﷻ : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [سورة الناس ١/١١٤] وما أمر الله به فهو عبادة كما قال ﷻ : {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [سورة الأعراف ٢٠٠/٧] فمن استعاذ بغير الله فقد عبده .

ويستثنى من ذلك من استعاذ بحي حاضرٍ قادر يسمع كلام المستعيذ به فذلك جائز لكن لا يتعلق القلب به وإنما هو سبب .

(**بحي**) : ليس بميّت ، فالاستعاذة بالأموات شرك أكبر .

(**وحاضر**) : فإذا كان غائباً لا يسمع قولك فهذا شرك أكبر .

وليس من هذا ما يقع من استعاذة بعض الرعية في الأماكن التي يكون فيها من ينقل إلى السلطان خبر هذه الاستعاذة ، أو خبر الاستغاثة به ، كما قالت المرأة : " وامعتصماه " ، فهذا الدعاء من المرأة ؛ لأنها تعلم أن في البلد من عيون المسلمين من ينقل الخبر إلى المعتصم ، فهذا ليس من الشرك وليس بمحذور .

(**قادر**) : أي بأن يكون قادراً على أن يُعيذك ، فلو قال لرجل صالح يسمعه : أعوذ بك من النار فإن هذا شرك أكبر ؛ لأنّ هذا الرجل الصالح وإن كان حاضراً حياً لكنه لا يقدر على أن يُعيذه من النار .

وكذلك نقول في الاستغاثة والدعاء : إذا استغاث بغير الله أو دعا غيره وكان هذا المستغاث به أو المدعو حياً حاضراً قادراً فإن هذا ليس من الشرك ، ولذا قال ﷻ : {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [سورة القصص ١٥/٢٨] فهذا ليس من الشرك بهذه الشروط الثلاثة .

قال المؤلف رحمه الله :] **وقول الله تعالى** : {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً = ٦} [سورة الجن ٦/٧٢] [:

كان العرب كما قال مجاهد وغيره : إذا نزلوا وادياً قالوا : (نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه) وهذه استعاذة بالجن ، والاستعاذة بالأموات أو الجن أو الأصنام أو الأحجار شرك أكبر .

ويصح في قوله ﷻ : {فَزَادُوهُمْ رَهَقاً} تفسيران :

التفسير الأول : أن يكون الضمير المرفوع (الواو) عائداً إلى الجن ، أي فزاد الجنُ الإنسَ رهقاً ، أي : خوفاً وذعراً ، وهذا من باب المعاقبة بنقيض القصد .

التفسير الثاني : أن يكون الضمير المرفوع (الواو) عائداً إلى الإنس ، أي فزاد الإنسُ الجنَ رهقاً ، أي : طغياناً وتكبراً وتجبراً ، فإن الجن لما رأوا أن الإنس يستعيذون بهم طغوا وتجبروا وتكبروا ، وكلا التفسيرين صحيح .

قوله :] وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((مَن نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق لم يضرّه شيءٌ حتى يرحل من منزله)) (٩٩) **رواه مسلم]** :

(**التامات**) : أي التي لا نقص فيها ولا عيب .

وقد ذكر القرطبي صاحب التفسير المشهور أنه كان يستعيذ بهذا الدعاء : (أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق) كلما نزل منزلاً ، قال : فنسيته مرة فلُدغت فتذكرت أني لم أقله .

فهذا الدعاء له أثر عظيم في دفع المحذور .

واستدل أهل العلم بهذا الحديث **على أنّ كلمات الله غير مخلوقة** ، وقالوا : لأنّ الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وفي هذا ردٌّ على الجهمية والمعطلة .

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ = ١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ}[سورة يونس ١٠/١٠٦-١٠٧] **الآية. وقوله:** {فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ = ١٧} [سورة العنكبوت ٢٩/١٧] **الآية. وقوله:** :{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ} [سورة الأحقاف ٤٦/٥] **الآيتان. وقوله:** {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [سورة النمل ٢٧/٦٢] .

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل)) (١٠٠).

فيه مسائل:

---

(٩٩) تقدم .

(١٠٠) قال في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩) : " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث . وقد رواه أحمد بلفظ (إنه لا يقام لي لكن يقام لله ".

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ}[سورة يونس ١٠/١٠٦-١٠٧]

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله عز وجل.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

الاستغاثة : هي طلب الغوث (أي طلب إزالة الشدة) وعلى ذلك : تكون الاستغاثة عند المخاوف والشدائد ، وأما الدعاء فهو أعم ، يكون في الرخاء والشدة ، وعلى ذلك فالعطف هنا (أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) هذا من عطف العام على الخاص .

والدعاء منه ما يكون في حال الرخاء ، ومنه ما يكون في حال الشدة ، فما يكون في حال الشدة يسمى دعاء ويسمى استغاثة ، وأما ما يكون في حال الرخاء فيسمى دعاء فقط .

قوله :] وقول الله تعالى : {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ = ١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ = ١٠٧}[سورة يونس ١٠/١٠٦-١٠٧] **[** :{وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ} : وكل من دعي من دون الله فإنه لا ينفع ولا يضر .

{فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ}: أي من المشركين ؛ لأن الظلم هو الشرك كما قال ﷻ : {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان ٣١/١٣] .

قوله :] وقوله تعالى : {فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ = ١٧} [سورة العنكبوت ٢٩/١٧] **[** :

أي : ابتغوا عند الله وحده الرزق .

قوله : [وقوله :{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ} [سورة الأحقاف ٤٦/٥] **]** :

لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، فهذا الذي دعاه هل يمكن أن يستجيب له ؟ لا يمكن أن يستجيب له إلى يوم القيامة ، وإن حصلت إجابة فإنما هي من الله من باب الفتنة ومن معاني الربوبية ؛ لأن من معاني ربوبيته ﷻ – فهو رب العالمين – أنه يكشف السوء ، فيوافق كشف السوء من الله دعاء هذا الميت فيظن هذا الداعي أن هذا بسبب دعائه لهذا الميت ، ويحصل هذا من باب الفتنة والاختبار .

قوله : [وقوله تعالى : {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [سورة النمل ٢٧/٦٢] **]** :

هذا السؤال عندما يوجه إلى كفار قريش وغيرهم فإنهم يقولون : الله وحده ، هذا الأمر متقرر عندهم وإنما يدعون الأموات لاعتقادهم أنهم وسائط وشفعاء بينهم وبين الله .

قوله : [وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : ((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)) [١٠١] **]** :

قيل : إن هذا المنافق هو عبد الله بن أبي بن سلول .

---

(١٠١) تقدم .

(قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) : هذه الاستغاثة بحي حاضر قادر ؛ لأن النبي ﷺ له الأمر بالمدينة وعلى ذلك فهي من الاستغاثة التي ليست من الشرك .

فقال رسول الله ﷺ : **(إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله)** : هذا من باب الأدب ، أي: هذا اللفظ وهذا المعنى الذي وقع في قلوبكم الأولى أن توجهوه إلى الله .

والحديث فيه ابن لهيعة ، وعلى ذلك فالحديث في إسناده ضعف .

باب

قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ = ١٩١ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ = ١٩٢} [سورة الأعراف ٧/١٩١-١٩٢] **الآية. وقوله:** {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ} [سورة فاطر ٣٥/١٣] **الآية.**

وفي الصحيح عن أنس قال: " شُجَّ النبي ﷺيوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: ((كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم))؟فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ٣/١٢٨] "[١٠٢] **وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه " سمع رسول الله ﷺيقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: ((اللهم العن فلاناً وفلاناً)) بعدما يقول: ((سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمـــــد)) فأنزل الله تعالى :** {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}**الآية** "[١٠٣] **وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت** {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}"[١٠٤] ، **وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه:** {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤] **قال: ((يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺلا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً))**[١٠٥].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

---

(١٠٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم(٤ / ١٤٩٣) كتاب (٦٧) المغازي / باب (١٩) {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون } . صحيح مسلم (٣ / ١٤١٧) رقم ١٧٩١ .

(١٠٣) تقدم أنه في البخاري .

(١٠٤) أخرجه البخاري معلقا (٤ / ١٤٩٣) رقم ٣٨٤٢ – ووصله أحمد (٩٣/٢) والترمذي (٣٠٠٧) وقال فيه : حديث حسن غريب .

(١٠٥) صحيح البخاري (٣ / ١٠١٢) رقم ٢٦٠٢ ، ٤٤٩٣ . صحيح مسلم (١ / ١٩٢) رقم ٢٠٦ .

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار. منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} .

السابعة: قوله: {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣]**فتاب عليهم فآمنوا.**

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنه المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} .

الثانية عشرة: جدّه صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: (لا أغني عنك من الله شيئاً) حتى قال: (يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً) فإذا صرح ﷺوهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺلا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ـــ تبين له التوحيد وغربة الدين.

باب قول الله تعالى : {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ = ١٩١ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ = ١٩٢} [سورة الأعراف ١٩١/٧-١٩٢]

هذا الباب والباب الذي بعده من براهين توحيد الألوهية ، أي : من الأدلة الدالة على أن المستحق للعبادة هو الله وحده .

وتوحيد الألوهية الذي هو أساس الدين وأصل الملة له من الأدلة النقلية والعقلية ما ليس لغيره من فرائض الدين وواجباته .

وهذا الباب الذي بين أيدينا في توحيد الربوبية وهو دال على توحيد الألوهية ، فإذا كان الله ﷻ هو المتفرد بالخلق والتدبير والمتصف ﷻ بالصفات العليا المتفرد بذلك ﷻ ، فهذا دليل على أنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

كما أنّ معرفة المخلوقين ومعرفة ضعفهم وعجزهم ، هذا أيضاً من البراهين الدالة على توحيد العبادة فمن عرف الخلق وما هم عليه من الضعف والعجز فإنه يوحد ربه ﷻ ويعبده ولا يشرك به شيئاً .

قوله ﷻ : {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} : هذا استفهام إنكاري للتوبيخ ، أي : كيف يعبد هؤلاء آلهة من دون الله لا تخلق شيئاً وهم يخلقون ، كما قال ﷻ : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} [سورة الحـــج ٧٣/٢٢] فهؤلاء الخلق وفيهم من عُبد من دون الله كالأنبياء أو الأولياء أو الأشجار أو الأحجار وكذلك الملائكة والجن لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له فهم لا يقدرون على أن يخلقوا شيئاً وهم يُخلقون فهم خلق لله ﷻ ، فمن كانت هذه حالَه كيف يُعبد من دون الله ﷻ وكيف تُصرف إليهم العبادة وهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً بل هم مخلوقون مربوبون لله ﷻ .

{وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً} : أي لا يستطيعون أن ينصروا عابديهم ، فهؤلاء المعبودون من دون الله من الأحجار والأشجار وغيرها لا تستطيع أن تنصر عابديها من أعدائهم .

قوله : {وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ}: كذلك هم لا ينصرون أنفسهم ومن كانت هذه حالته فكيف يُعبد من دون الله ﷻ.

قوله : [وقوله تعالى : {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ} [سورة فاطر ١٣/٣٥] **]** :

قوله : {قِطْمِيرٍ}: القطمير : هو الغشاء الذي يحيط بالنواة أي : نواة التمرة .

وأما الفتيل : فهو السلك الذي يكون في الشق في وسط النواة .

وأما النقير : فهي النقرة التي تكون وسط النواة .

فهؤلاء الذين يُعبدون من دون الله من الملائكة والجن والإنس والأحجار والأشجار وغيرها ما يملكون فتيلاً ولا يملكون قطميراً ولا يملكون نقيراً بل المالك لذلك هو الله وحده ﷻ ، فإذا كانت هذه الآلهة لا تملك شيئاً – وهذا بإقرار عابديها ، فإن من يعبد غير الله يقر أن المالك لكل شيء هو الله وحده وأن هذه الآلهة ما تملك من قطمير – فكيف تعبد من دون الله .

قوله : {مِن قِطْمِيرٍ}: (من) هنا لتنصيص العموم أي : لتأكيد العموم وتقويته ، فهم لا يملكون شيئاً ولو كان هذا الشيء يسيراً مستحقراً لا قيمة له فالمالك لكل شيء هو الله وحده لا شريك له في ملكه كما أنه لا شريك له في ألوهيته .

قوله : {إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ} [سورة فاطر ١٤/٣٥] : إن تدعوا هذه الآلهة فإنها لا تسمع ، وفي هذه الآية دليل على أن المعبودين من دون الله لا يسمعون دعاء الداعين لهم سواء كان هؤلاء المدعوون من دون الله أمواتاً أو أحياء غائبين أو كانوا أحجاراً أو أشجاراً ، ومن ذلك الأموات في أضرحتهم لا يسمعون دعاء الداعين لهم ، فإذا قال : يا سيدي فلان اشفع لي عند الله أو قال : اشف مريضي ، إلى غير ذلك فإن هذا الميت لا يسمع دعاءه وكذلك الأحجار والأشجار .

وأما ما ورد من الأدلة في سماع الموتى فإن هذا مقيّد بما جاء به الدليل يعني : أنه مستثنى ، فإن الأموات إنما يسمعون في الجملة ولا يسمعون بالجملة ، يعني : لا يسمعون كل شيء وإنما يسمعون بعض الأشياء التي جاء بها الدليل ، كما ثبت في الصحيحين أنهم يسمعون قرع نعال من شهد جنازتهم ([١٠٦]) ، وكما ورد في قصة أهل القليب قتلى بدر من المشركين كما في الصحيحين ([١٠٧])، وكما جاء في السلام على الميّت كما روى ذلك ابن عبد البر وغيره ([١٠٨]) فهذا سماع مقيّد بالدليل .

وأما أن يسمعوا دعاء الأحياء واستغاثة الأحياء واستعاذتهم وطلب الأحياء الشفاعة منهم فإن هذا قد نفاه الدليل ، قال ﷻ : {إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ} [سورة فاطر ١٤/٣٥] .

وقوله : {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} [سورة فاطر ١٤/٣٥] : يعني على فرض أن يسمعوا فإنهم لا يستجيبون ؛ لأنهم لا يملكون شيئاً .

قوله : {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} [سورة فاطر ١٤/٣٥] : إذا كان يوم القيامة فإن هؤلاء المدعوين يكفرون بشرككم ، فيُقرون أن ما أنتم عليه شرك بالله ﷻ ويكفرون بهذا الشرك ويتبرؤون منه ومن أهله : {وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [سورة فاطر ١٤/٣٥] ﷻ .

([١٠٦]) البخاري (٤٤٨/١) ، ومسلم (٢٢٠٠/٤) .

([١٠٧])البخاري –(٣٧٥٩) (١٤٦٢/٤) .ومسلم (٢٨٧٤) (٢٢٠٣/٤) .

([١٠٨]) التمهيد لابن عبدالبر (٢٣٨/٢٠) .

قوله : [وفي الصحيحين : عن أنس قال : شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد ، فقال : ((كيف يُفلح قومٌ شجّوا نبيّهم ؟ فنزلت : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣]))[٤] **رواه البخاري ومسلم معلقاً] :**

قوله : (**شُج النبي ﷺ**) الشجّ : هو الجرح في الوجه والرأس خاصة ، فإذا كان الجرح باليد فلا يسمى شجّة .

هذا الحديث الذي بعده فيه : أنّ معرفة أوصاف المخلوقين دالة على أنّ المستحق للعبادة هو الله وحده ، فهذا نبي الله الذي هو خير خلق الله وأحبُ خلق الله إليه ﷺ قد شُج وكُسرت رباعيته ﷺ ، وحصل له من البلاء ما حصل و لم يملك أن يدفع عن نفسه ضراً كما أنه لا يملك أن يجلب لها نفعاً ﷺ ، فإذا كان هذا حال خير الخلق ﷺ فكيف من دونه من خلق الله من الأنبياء والصالحين .

قوله : (**كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت :** {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣]) : فأمر الفلاح وأمر الخسارة إلى الله ﷻ وحده ، وأما أنت يا محمد فإنما أنت منذر وليس لك من الأمر شيء بل الأمر كله لله وحده .

قوله : [وفيه : عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول – إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر – : ((اللهم العن فلاناً وفلاناً))[١٠٩] بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، فأنزل الله {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣] **] :**

الحديث رواه البخاري في صحيحه .

قوله : [وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمر والحارث بن هشام فنـــزلت{لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣] **] :**

يدعو على صناديد قريش الذين آذوه في مكة فأخرجوه من أحب البقاع إليه وإلى الله ، وآذوا أصحابه وعشيرته ، ثم لمّا هاجر إلى المدينة آذوه أيضاً و لم يتركوه ودعوته ﷺ ، حتى وصل بهم الأمر أنهم شجوا النبي ﷺ وكسروا رباعيته ومع ذلك كله لمّا دعا عليهم باللعن قال الله ﷻ له : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران ١٢٨/٣] .

---

(١٠٩) البخاري (٤٤٨/١) ومسلم (٢٢٠٠/٤)
(٢) البخاري (١٤٦٢/٤) (٣٧٥٩) ومسلم (٢٢٠٣/٤) (٢٨٧٤)
(٣) التمهيد لابن عبدالبر (٢٣٨/٢٠)
(٤) تقدم.

ثم إنّ هؤلاء الثلاثة الذين ذكروا في هذه الرواية قد أسلموا وحسن إسلامهم وهي رواية مرسلة ولكن وصلها أحمد والترمذي(١١٠) .

قوله : [وفيه عن أبي هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤] **قال : ((يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً))** (١١١) **]** :

(**يا معشر قريش أو كلمة نحوها**) : الشك من الراوي .

(**اشتروا أنفسكم**) : أي بالتوحيد وطاعة الله واجتناب معصيته فأنقذوها من النار .

(**لا أغني عنكم من الله شيئاً**) : (شيئاً) : نكرة في سياق النفي فتفيد العموم فالنبي ﷺ لا يغني عن عشيرته الأقربين شيئاً ولو كان هذا الشيء يسيراً .

(**يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا**) : خصص بعد التعميم فهذا عمه العباس رضي الله عنه يقول له لا أغني عنك من الله شيئاً .

(**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنك من الله شيئاً**) : وهي بضعة منه ، فهذا رسول الله وهو خير خلق الله لا يملك لنفسه ولا لأقرب الناس إليه نفعاً ولا ضراً بل المالك لذلك هو الله وحده .

باب قول الله تعالى: :{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سورة سبأ ٣٤/٢٣]

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ــ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ــ وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ــ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما**

(١١٠)مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٩٣) رقم ٥٦٧٤ من حديث سالم عن أبيه . وفي سنن الترمذي (٥ / ٢٢٨) ولفظه : " كان يدعو على أربعة نفر " . وليس في الترمذي أسماؤهم .

(١١١) تقدم .

أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء)) (١١٢).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة ــ أو قال رعدة ــ شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل)) (١١٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: {قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: (قال كذا وكذا).

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أن يقول لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

---

(١١٢) صحيح البخاري (٤ / ١٨٠٤) رقم ٤٥٢٢ ، ٧٠٤٣ .

(١١٣) كنز العمال (٢ / ٥٠) : " ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه ق في الأسماء والصفات طب عن النواس بن سمعان ".
الأسماء والصفات للبيهقي ص / ٢٠٣ .

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مئة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمئة؟!.

التاسعة عشرة: كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي كانا خوفاً من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجداً.

باب قول الله تعالى :{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سورة سبأ ٢٣/٣٤]

أيضاً هذا الباب برهان من براهين توحيد العبادة ، فإن الملائكة العظام مع ما هم عليه من عظيم الخلق فهم في غاية الخضوع والذل والاستكانة لله ﷻ ويحصل لهم الفزع عند سماع كلام الله ﷻ .

قوله : {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ}: أي زال الفزع عن قلوبهم وهم الملائكة كما في الحديث الآتي فالملائكة إذا سمعوا كلام الله فزعوا وأصابتهم غشية وأثر بهم تأثيراً شديداً .

قوله : {قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ}: لأنه لا يقول إلا حقاً ، فهو الحق ﷻ وقوله الحق أي : عدل في الأحكام وصدق في الأخبار ، وفي الملائكة ، حملةُ العرش وفيهم جبريل وسائر ملائكة الله ﷻ .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ : **رأى جبريل في صورته وله ستمئة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم** [١١٤] . وقد صح

(١١٤) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٣٩٥) رقم ٣٧٤٨ .. وأصله في الصحيحين : ((أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمئة جناح)) .

أيضاً : ((**أنه رآه وقد سدّ الأفق**))(١١٥) . وقال كما روى في سنن أبي داود : ((**أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة عام**))(١١٦) .

فهؤلاء الملائكة العظام يحصل لهم خوف عند سماع كلام الله سبحانه وتعالى وهذا كما تقدم دليل وبرهان على أن المستحق للعبادة هو الله وحده ، فإذا كان الملائكة هذه حالهم عند سماع كلام الله سبحانه وتعالى فكيف يصرف إليهم أو إلى من دونهم شيء من العبادة .

قوله : [في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن ﷺ قال : ((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعاناً لقوله كأنه سلسلةٌ على صفوان ينفُذُهم ذلك حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : هو الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مُسترق السمع – ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصَفه سفيان بكفه فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه – فيسمع الكلمةَ فيلقيها الآخرُ إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشّهابُ قبل أن يُلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذبُ معها مئة كذبة ، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيُصدقُ بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء))(١١٧) الحديث رواه البخاري] :

(**خُضْعاناً**) : يصح فتح الخاء والضاد ، ويصح ضم الخاء وتسكين الضاد .

(**كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك**) : هذا تشبيه للأثر الذي يقع على قلوب الملائكة عند سماع كلام الله سبحانه وتعالى .

الصفوان : هو الحجر الأملس ، إذا ضرب الحجر الأملس بسلسلة من حديد فإنه يحصل صوت وأثر عظيم في هذا الحجر الأملس الصلب ، هذا الصوت الشديد يشبه الأثر الذي يقع في قلوب الملائكة عند سماع كلام الله عز وجل .

وعلى ذلك فهذا تشبيه للأثر الذي يقع في قلوب الملائكة بسلسلة على صفوان وليس تشبيهاً لكلام الله عز وجل بذلك فإن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [سورة الشورى ٤٢/١١] .

(**ينفذهم ذلك**) : أي ينفذ إلى قلوبهم ويؤثر فيها تأثيراً عظيماً .

---

(١١٥) صحيح البخاري (٣ / ١١٨١) رقم ٣٠٦٣ . و(٤ / ١٨٤١) رقم ٤٥٧٧ .

(١١٦) سنن أبي داود (٢ / ٦٤٥) رقم ٤٧٢٧ .

(١١٧) تقدم .

(**فيسمعها مسترق السمع**) : من الجن ، يسمع الكلمة التي هي من أمر الله ﷻ ؛ لأنها تنتقل من ملائكة الله في السماء حتى تصل إلى السماء الدنيا فيسمعها مسترق السمع .

(**وبدّد بين أصابعه**) : أي وفرق بين أصابعه ، فإن الجن مسترقي السمع يكونون على هذه الصفة بعضهم فوق بعض أي يرقى هذا على هذا ، وهذا على هذا حتى يصلوا إلى السماء الدنيا فيسمعوا هذه الكلمة .

(**فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها**) : أي أدركه الشهاب قبل أن يلقي هذه الكلمة إلى من تحته وربما ألقاها ثم أدركه الشهاب بعد أن ألقاها .

(**فيكذب معها مئة كذبة**) : أي يكذب الساحر أو الكاهن مع هذه الكلمة التي سُمعت من السماء مئة كذبة .

(**فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟**) : فيحكون صدقه ولا يحكون كذبه فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، وهكذا الناس كما هو معلوم فإنما يتناقلون ما هو عجيب وغريب ، فعندما ينقل الكاهن أو الساحر أو المنجم للناس خبراً ويكون صدقاً فيقع كما أخبر به الناس ، فإن الناس يتناقلونه ، وما يخبر به من أخبار كاذبة فإن الناس لا يكادون ينقلونه .

قوله : [قوله : وعن النواس بن سمعان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلّم بالوحي أخذت السماوات والأرض رَجفة – أو قال رَعدة شديدة – خوفاً من الله ﷻ ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صُعقوا وخرّوا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمرّ على الملائكة كلمّا مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ))[١١٨] **]** :

(**سَمعان**) : بفتح السين وكسرها (سِمعان) .

هذا الحديث يشهد له ما قبله لكنه من حيث السند فيه نُعيم بن حماد وفيه ضعف ، وفيه عنعنة الوليد بن مسلم ، لكن هذا الحديث يشهد له ما قبله ولذا أورده المصنفون في السنة (أي في الاعتقاد) في كتبهم كابن أبي عاصم في كتاب السنة(٢) وكابن خزيمة في التوحيد(٣) .

(١١٨) تقدم .

باب الشفاعـــة

وقول الله تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ} [سورة الأنعام ٦/٥١] **وقوله:** {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} [سورة الزمر ٣٩/٤٤] **وقوله:** {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [سورة البقرة ٢/٢٥٥] **وقوله:** {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [سورة النجم ٥٣/٢٦] **وقوله:** {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} [سورة سبأ ٣٤/٢٢-٢٣]**الآيتين.**

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} [سورة الأنبياء ٢١/٢٨]فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ((ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع))[119].

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: ((من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه))[120] **فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.**

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.(٣)

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

---

(١١٩) صحيح البخاري (٣ / ١٢١٥) رقم ٣١٦٢ وفي مواضع أخرى كثيرة . صحيح مسلم (١ / ١٨٠) رقم ١٩٣ .

(١٢٠) صحيح البخاري (١ / ٤٩) رقم ٩٩ . و (٥ / ٢٤٠٢) رقم ٦٢٠١

(٣) يراجع كلام شيخ الإسلام ـــ رحمه الله – في مجموع الفتاوى (٧ /٧٧ –٧٨).

الخامسة: صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

باب : الشفاعة

الشفاعة لغة : من الشفع وهو ضد الوتر .

وفي الاصطلاح : طلب الخير للغير ، وهي التي يعبر عنها العامة بالواسطة .

ومناسبة هذا الباب للبابين قبله : أن المشركين إذا اُحتج عليهم بالآيات في توحيد الله قالوا : إنا لا نعتقد في هؤلاء الأولياء أنهم يضرون أو ينفعون إنما هم وجهاء لهم مترلة عند الله لصلاحهم نرجو شفاعتهم فاتخذناهم شفعاء بيننا وبين الله ليقربونا إليه زلفى يرفعون إلى الله ﷻ حاجاتنا وهذا هو دين المشركين ، ولذا قال ابن كثير ~ : (وهذه هي شبهة المشركين في قديم الدهر وحديثه فبعث الله الرسل لإبطال ذلك والنهي عنه) فالمشركين ما كانوا يؤمنون بأن هناك رباً سوى الله ﷻ وإنما كانوا يتخذون تلك الآلهة شفعاء من دون الله .

قال ﷻ : {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ = ١٨} [سورة يونس ١٠/١٨] **أي إن** الله لا يعلم أنها شفيعة وما لا يعلمه الله ليس بواقع وليس بكائن ولو كان واقعاً لعلمه الذي بكل شيء عليم ﷻ : {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة يونس ١٠/١٨] فسمى اتخاذ الشفعاء شركاً .

وقال ﷻ : {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ = ٢ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [سورة الزمر ٣٩/٢-٣] .

وقال : {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [سورة الزمر ٣٩/٣] .

(**زلفى**) : مصدر مؤكد من غير لفظ الفعل ، أي : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله تقريباً أي بالشفاعة .

والاستثناء هنا مفرغ من أعم الأحوال ، والمعنى : ما نعبدهم لشيء من الأشياء إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [سورة الزمر ٣/٣٩] :

(**لا يهدي من هو كاذب**) : لأن اعتقادهم كذب على الله ؛ لأنهم اعتقدوا أن الله عز وجل أذن باتخاذ الشفعاء وهذا كذب على الله سبحانه وتعالى .

(**كفار**) : هذه مبالغة في الكفر ، أي أن كفرهم قد بلغ مبلغاً عظيماً .

وقال سبحانه وتعالى : {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} [سورة الزمر ٤٤/٣٩] .

إذن هؤلاء المشركون في قديم الزمن وحديثه قد اتخذوا من دون الله شفعاء فتنقصوا الله سبحانه وتعالى وشبهوه بخلقه وذلك أنهم ظنوا أن الله سبحانه وتعالى كملوك الدنيا الضعفاء الفقراء المحتاجين ، فإن ملوك الدنيا فقراء محتاجون إلى الوزراء وإلى الوجهاء ليكملوا لهم ملكهم ولتنفذ أوامرهم فلا يكمل ملكهم إلا بهؤلاء الوزراء والوجهاء ، ثم إنّ الناس من سائر الرعية إذا أرادوا شيئاً فإنهم يرفعون حاجاتهم إلى هؤلاء الوجهاء ، ثم الوجهاء يرفعون الحاجات إلى الملوك ويكون سؤال هذا الوجيه لهذا المحتاج أعظم من سؤاله هو ، فإذا دخل هذا المحتاج إلى ملك من ملوك الدنيا فإن دخوله عليه وسؤاله له ليس كسؤال هؤلاء الوجهاء والوزراء ، فشبه هؤلاء المشركون الله عز وجل بملوك الدنيا واتخذوا من دونه شفعاء .

ولذا قال عز وجل : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ = ٢٢ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سورة سبأ ٣٤/٢٢-٢٣] فهؤلاء الذين تدعونهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

قال عز وجل : {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ} فلا يشاركون الله سبحانه وتعالى في أرضه ولا في سمائه ولا في خلقه سبحانه وتعالى .

ثم نفى سبحانه وتعالى أن يكون له معين لله سبحانه وتعالى على خلقه فقال : {وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ} وما بقي إلا الشفاعة فنفاها بقوله : {وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} فالذي يملك الشفاعة هو الله وحده ، وليس أحد من الخلق يشفع إلا بشرطين :

١- **الشرط الأول** : أن يأذن الله له بالشفاعة .

٢- **الشرط الثاني** : أن يرضى عن المشفوع له بأن يكون من الموحدين ، قال عز وجل : {وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سورة سبأ ٢٣/٣٤] .

وقال : {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [سورة البقرة ٢/٢٥٥] وقال : {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} [سورة الأنبياء ٢١/٢٨] وقال : {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [سورة النجم ٥٣/٢٦] .

ولا يُعطى أحد من الخلق الشفاعة إلا مقيدة ، يعني : لا يقال لأحد من الخلق لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً : اشفع لمن تشاء فهذه تسمى شفاعة مطلقة ، قال ﷻ : {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [سورة النجم ٥٣/٢٦] .

ثم إنّ الله قد أعطى هذه الشفاعة ، لهذا الشافع كرامة له وإلا فإن المحمود على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى .

وسؤال الأموات الشفاعة داخل في هذا الباب ، فإذا أتى إلى الميت فقال : يا فلان اشفع لي عند الله ، يا فلان كن لي شفيعاً عند الله ، هذا من الشرك الأكبر من وجهين :

١- **الوجه الأول** : أن هذا سؤال وطلب فهو دعاء ودعاء الأموات كما تقدم تقريره شرك أكبر .

لكن لو قال لحي : اشفع لي عند الله ، فهذا لا يدخل في هذا الباب ، والدعاء يخرج عن الشرك إذا كان لحي حاضر قادر كما تقدم .

٢- **الوجه الثاني** : أن الشرك لازم لاتخاذ الشفعاء ، أي أن اتخاذ الشفعاء يلزم منه الشرك شاء المشرك أم أبى ، فإن الذين يأتون إلى الأولياء ، إلى أضرحتهم ، فيسألونهم الشفاعة تتعلق قلوبهم بهم ويتوجهون إليهم ويرغبون إليهم ويرهبون منهم شاؤوا ذلك أم أبوه ، كما أن المشرك متنقص لله سبحانه وتعالى .

والنبي ﷺ لم يرشد أمته – وهو الذي لم يترك خيراً إلا دلهم عليه – لم يرشدهم إلى أن يسألوه الشفاعة ، وإنما دلهم على الأسباب التي ينالون بها شفاعته وأعظمها التوحيد ، ولذا قال ﷺ فيما ثبت في صحيح مسلم في ذكر شفاعته ﷺ : ((**فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً**))[١٢١] .

وقال ﷺ لما سأله أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال ﷺ : ((**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**))[١٢٢] رواه البخاري .

ومن أسباب ذلك أيضاً : الدعاء بعد النداء ، ففي البخاري أن النبي ﷺ قال : ((**من سمع النداء فقال : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي**))[١٢٣] .

---

(١٢١) صحيح مسلم (١ / ١٨٩) رقم ١٩٩ .

(١٢٢) تقدم .

قوله : [وقول الله تعالى : {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [سورة الأنعام ٦/٥١] **]** :

{وَلِـــي }: ناصر ينصرهم .

{وَلاَ شَفِيعٌ} يشفع لهم ، وهذا فيه نفي أن يكون لأحد من الشفاعة من شيء ، بل الله ﷻ مالك الشفاعة جميعاً ، وإنما يهبها لمن يشاء بالشرطين المتقدمين .

قوله : [وقوله تعالى : {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} [سورة الزمر ٣٩/٤٤] **]** :

فهو مالكها وحده ﷻ .

قوله : [وقوله تعالى : {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [سورة البقرة ٢/٢٥٥] **]** :

هذا استفهام استنكاري .

والجواب : لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه .

قوله : [وقوله تعالى : {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [سورة النجم ٥٣/٢٦] **]** :

هذه الآية فيها ذكر شرطي الشفاعة : الإذن للشافع والرضا عن المشفوع له .

قوله : [وقوله تعالى : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ = ٢٢ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سورة سبأ ٣٤/٢٢-٢٣] :

تقدم شرح هذه الآية .

قوله : [قال أبو العباس : نفى الله عمّا سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مِلكٌ أو قسطٌ منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال : {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} [سورة الأنبياء ٢١/٢٨] **]** :

أبو العباس : هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(**فنفى أن يكون لغيره ملك**) : يؤخذ من قوله ﷻ : {لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} [سورة سبأ ٣٤/٢٢] .

---

(١٢٣) صحيح البخاري (١ / ٢٢٢) رقم ٥٨٩. و (٤ / ١٧٤٩) رقم ٤٤٤٢ .

(**أو قسط منه**) : يؤخذ من قوله ﷻ : {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ} [سورة سبأ ٢٢/٣٤] .

(**أو يكون عوناً لله**) : يؤخذ من قوله ﷻ : {وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ} [سورة سبأ ٢٢/٣٤] .

قوله : [فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون : هي مُنتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ : أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، ثم يقال له : ((ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعط ، واشفع تُشفع))[(١٢٤)]] :

إذن عندنا :

١- شفاعة منفية : وهي الشفاعة التي يعتقدها المشركون .

٢- وعندنا شفاعة مثبته : وهي التي يتوفر فيها الإذن للشافع والرضا عن المشفوع له .

والشفاعة المثبتة على قسمين أيضاً :

١- القسم الأول : الشفاعة الخاصة .

٢- والقسم الثاني الشفاعة العامة .

أما الشفاعة الخاصة فهي الخاصة بالنبي ﷺ وهي على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الشفاعة لأهل الموقف أن يفصل بينهم وهي المقام العظيم الذي يختص به ﷺ يوم القيامة ، قال ﷺ : ((**وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته**))[(١٢٥)] .

النوع الثاني : شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها ، فلا يدخل أهل الجنة إلا بشفاعته ﷺ .

النوع الثالث : الشفاعة لأبي طالب عمّه أن يُخفف عنه من العذاب .

أما **القسم الثاني** : فهي الشفاعة العامة ، يعني : لا تختص به ﷺ بل هي له ولغيره من الأنبياء والأولياء والملائكة وهي على ثلاثة أنواع أيضاً :

النوع الأول : الشفاعة لمن استحق أن يدخل النار من أهل الكبائر ألا يدخلها .

النوع الثاني : الشفاعة لمن دخل النار من أهل الكبائر أن يخرج منها .

النوع الثالث : الشفاعة في رفعة درجة بعض أهل الجنة ؛ لأن أهل الجنة يشفع بعضهم لبعض فيرفع الله ﷻ درجة من يشاء بالشفاعة ولكل نوع أدلته .

---

(١٢٤) تقدم .

(١٢٥) تقدم .

قوله : [قال أبو هريرة ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : ((من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه))[١٢٦]] :

والحديث رواه البخاري .

قوله : [فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته : أن الله ﷻ هو الذي يتفضّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليُكرمه وينال المقام المحمود] :

إذن هي كرامة من الله لهذا الشافع ولذا فإن المتفضل على الحقيقة هو الله ﷻ .

(**وحقيقته**) : أي الأمر ، وفي نسخة أخرى (وحقيقتها) : أي الشفاعة .

قوله : [فالشفاعة التي نفاها القرآن : ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص] :

تقدم شرح هذا .

باب قول الله تعالى : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [سورة القصص ٢٨/٥٦] **الآية.**

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: ((يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله)) فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) فأنزل الله عز وجل{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ} [سورة التوبة ٩/١١٣] **وأنزل في أبي طالب** {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [سورة القصص ٢٨/٥٦]"[١٢٧] .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}.

الثانية: تفسير قوله: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ}**الآية.**

---

(١٢٦) تقدم .

(١٢٧) صحيح البخاري (١ / ٤٥٧) (١٢٩٤) ، و(٣ / ١٤٠٩) (٣٦٧١) ، وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (١ / ٥٤) (٢٤).

الثالثة: وهي المسألة الكبرى – تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: (قل: لا إله إلا الله) بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل: (قل لا إله إلا الله). فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جدّه صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم، اقتصروا عليها.

باب قول الله تعالى : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [سورة القصص ٥٦/٢٨]

هذا الباب من أدلة التوحيد وبيان أن المالك للشفاعة هو الله ﷻ وحده ، فهو كالمتمم للأبواب التي قبله ، فالنبي ﷺ الذي هو أعظم الخلق جاهاً وأقربهم إلى الله وسيلة ﷺ وأفضل الخلق على الإطلاق لا يملك هداية القلوب ﷺ حتى لأحب الناس إليه ، فالنبي ﷺ مع حرصه على هداية عمّه أبي طالب وهو الذي رباه صغيراً ونصره كبيراً ، ومع ما له ﷺ من المنزلة فإنه لم يملك هداية قلب أبي طالب .

فليس له من الهداية إلا هداية البيان والإرشاد ، فيدعو الناس إلى الحق ويبين لهم الحجة ﷺ لكنه لا يملك هداية القلوب ، ولذا قال ﷻ : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [سورة القصص ٥٦/٢٨] .

كما أنه لا يملك أن يشفع لعمه أبي طالب بلا إذن الله ﷻ مع عظيم جاهه ومنزلته ، ولذا قال ﷻ : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى} [سورة التوبة ١١٣/٩] فنُهي أن يستغفر له وكذا الشفاعة ، ونُهي أن يستغفر لأمه ﷺ ، فقد جاء في مسلم أن النبي ﷺ قال : ((**استأذنت**

ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)) [١٢٨] فدل هذا على أنه لا يملك الشفاعة المطلقة بل هي شفاعة مقيدة بالإذن للشافع والرضـا عن المشفوع له .

قوله : [قال تعالى : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [سورة القصص ٥٦/٢٨] **]** :

تقدم أن الهداية نوعان :

١- هداية بيان وإرشاد .

٢- هداية توفيق .

فهداية البيان والإرشاد لا تختص بالله ﷻ ، قال ﷻ : {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [سورة فصلت ١٧/٤١] وهذه هداية البيان والإرشاد .

وقال : {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [سورة الشورى ٥٢/٤٢] وهذه هداية البيان والإرشاد .

وقال : {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [سورة الرعد ٧/١٣] .

وقال ﷺ : ((**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**)) [١٢٩] متفق عليه .

وأما النوع الثاني وهو هداية القلوب ، أي أن تلهم القلوب قبول الحق والإذعان له والعمل به، فهذا ليس إلا لله وحده : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [سورة القصص ٥٦/٢٨] .

قوله : [وفي الصحيح عن ابن المسيّب عن أبيه ، قال : لّما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسولُ الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أُميّه وأبو جهل ، فقال له : ((يا عمِّ ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله)) فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا ، فكان آخرُ ما قال : هو على مِلةِ عبدالمطلب وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال النبي ﷺ : ((لاستغفرنّ لك ما لم أُنه عنــك)) فأنزل الله ﷻ : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [سورة التوبة ١١٣/٩] **وأنزل في أبي طالب** {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [سورة القصص ٥٦/٢٨] " [١٣٠] **]** :

والحديث متفق عليه .

فإن قيل : إن أبا طالب قد حضرته الوفاة ومعلوم شرعاً أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ؟

---

(١٢٨) صحيح مسلم (٢ / ٦٧١) (٩٧٦).

(١٢٩) تقدم .

(١٣٠) تقدم .

والجواب : أن يقال : إن هذا خاص بأبي طالب ولذا كان له خصوصية في باب الشفاعة ، فيشفع له النبي ﷺ فيخفف عنه العذاب كما ثبت هذا في الصحيح[١٣١] .

ويصح أن يكون المعنى من قوله : (**لّما حضرت أبا طالب الوفاة**) أي حضرته علامات الوفاة و لم يغرغر بعد ، والجواب الأول هو **الأظهر** .

(**فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب**) : وهذا فيه ضرر صديق السوء ، فقد حال بينه وبين التوبة بهذه المقالة .

(**فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب**) : استقبح الراوي أن يقول : أنا على ملة عبد المطلب ، فقال : هو ، أي أبو طالب على ملة عبد المطلب .

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ} [سورة النساء ٤/١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} [سورة نوح ٧١/٢٣] **قال: ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت))** [١٣٢].

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)) [١٣٣] **[أخرجاه].**

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) [١٣٤].

---

(١٣١) أخرج البخاري (١٤٠٨/٣) (٣٦٧٠):(أن العباس رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟قال : (هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار) وأخرجه مسلم (١٩٤/١) (٢٠٩)٠

(١٣٢) صحيح البخاري (٤ / ١٨٧٣) رقم ٤٦٣٦ ٠

(١٣٣) صحيح البخاري (٣ / ١٢٧١) رقم ٣٢٦١ ٠ ولم يخرجه مسلم ٠

(١٣٤) مسند أحمد بن حنبل (١/ ٢١٥) رقم ١٨١٥ وفي مواضع أخرى ٠ سنن النسائي (٥/ ٢٦٨) رقم ٣٠٧٥ ٠ سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٠٨) رقم ٣٠٢٩ ٠

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((هلك المتنطعون)) (١٣٥) قالها ثلاثاً.

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

---

(١٣٥) صحيح مسلم (٤ / ٢٠٥٥) رقم ٢٦٧٠.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب : ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

الغلو في اللغة : من غلا يغلو إذا جاوز الحد .

وهو : الإفراط في التعظيم بالأقوال والأفعال والاعتقادات .

يقابل الإفراط التفريط ، كما أن الغلو يقابل الجفاء أو الإجحاف .

مثال ذلك : عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قد غلا وأفرط فيه النصارى فقالوا : إنه ثالث ثلاثة أو هو الله أو ابن الله ، وفرّط وجفى وأجحف في حقه اليهود فقالوا : إنه ابن بغي .

قوله : [وقول الله ﷻ : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ} [سورة النساء ٤/١٧١] **]** :

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}: وهم اليهود والنصارى .

{لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ}: أي لا تغلوا بأي نوع من أنواع الغلو ، فاليهود غلو في عزير والنصارى غلو في عيسى بن مريم .

فالغلو الذي نهى الله عنه أهل الكتاب هو الغلو في الدين ، وهذه الأمة تتبع طريقة من قبلها من الأمم ، قال ﷺ : ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**))[١٣٦].

قوله : [وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله ﷻ : {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} [سورة نوح ٧١/٢٣] **قال : ((هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت))[١٣٧]]** :

---

(١٣٦) تقدم .

(١٣٧) تقدم .

(**وفي الصحيح**) : في صحيح البخاري .

(**أوحى الشيطان**) : الوحي : هو الإلقاء في خفاء ، أي وسوس الشيطان في قلوبهم أن يصنعوا تماثيل لهؤلاء الصالحين ثم ينصبوها في مجالسهم التي يجتمعون فيها ، حتى إذا رأوهم نشطوا في العبادة ، فلم يكن غرضهم عبادة هذه التماثيل لهؤلاء الصالحين وإنما كان غرضهم أن تقوى هممهم على العبادة ، فإذا كلّوا وملّوا قويت عزائمهم إذا رأوا هذه التماثيل التي تذكرهم بأولئك الصالحين من قوم نوح عليه الصلاة والسلام .

(**وسموها بأسمائهم**) : هذا يغوث وهذا ودّ وهذا سواع وهذا يعوق .

(**ففعلوا ولم تعبد**) : لأنهم كان عندهم علم فلم يعبدوا هذه الأوثان ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن عبادتها شرك .

(**حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم**) : في رواية البخاري (وتنسَّخ العلم) أي ذهب وزال شيئاً فشيئاً كما يزول الظل .

إذن هؤلاء القوم إنما وقعوا في الذريعة إلى الشرك الأكبر ، ثم إن من بعدهم أوحى الشيطان إليهم أن قومكم كانوا يعبدون هذه التماثيل ، والعلم قد نُسي وزال فعبدوا هذه التماثيل من دون الله ﷻ .

وهذا يدعو إلى الخوف من الشرك والحذر من ذرائعه وأسبابه ؛ وذلك لأن الناس مع مرور الزمن وطول الأمد ينسون العلم ويقل العلم ، فكثير من البلاد التي فيها شرك كان فيها من العلماء من ينهون عن الشرك وكان العامة عندهم من العلم بالتوحيد ما يمنعهم من الشرك ، لكن العلم نسي شيئاُ فشيئاً وقعوا أولاً في ذرائع الشرك حتى طال الزمن فوقعوا في الشرك الأكبر .

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه كما ورد في البخاري : ((**أنّ هذه الأوثان صارت بعد في العرب**)) فانظر في فتنة الشيطان كيف أن هذه الأوثان بأسمائها التي كانت تعبد في قوم نوح صارت بعد ذلك في العرب .

قوله : [وقال ابن القيم : قال غيرُ واحد من السلف : لمّا ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد ، فعبدوهم] .

قوله : [وعن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبدٌ فقولوا : عبد الله ورسوله)) [(١٣٨)] **أخرجاه]** :

(١٣٨) تقدم أنه في البخاري فقط .

(**لا تطروني**) الإطراء : هو الغلو في المديح ، فيُنـــزل الممدوح فوق مترلته .

والحديث رواه البخاري فقط .

قوله : [وقال : قال رسول الله ﷺ : ((إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) (١٣٩) **]** :

والحديث رواه الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح .

قوله : [ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((هلك المتنطعون)) (١٤٠) **قالها ثلاثاً]**:

(**التنطع**) : هو التكلف والتعمق في الشيء .

ومن ذلك أن يبتدع في دين الله ما لم يشرعه الله أو أن يزيد على المشروع فإن ذلك من التلكف والتعمق ، فهذا لم يكفه ما جاء به النبي ﷺ الذي لم يترك خيراً إلا دل الأمة عليه ولا شراً إلا حذّرها منه .

والتنطع له صور كثيرة : فمنها الغلو في الصالحين .

ومنها تحريم ما أحله الله من المطاعم والمناكح والملابس والمشارب والمساكن وظن أنّ ذلك من الزهد هذا أيضاً من التلكف والتنطع في الدين .

ومنها قول ما لم يقله السلف في باب الأسماء والصفات .

إلى غير ذلك من الصور الكثيرة .

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)) (١٤١) **فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.**

ولهما عنها قالت: " لما نُزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال ــ وهو كذلك ــ : ((لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً "(١٤٢) **[أخرجاه].**

---

(١٣٩) تقدم .

(١٤٠) تقدم .

(١٤١) صحيح البخاري (١ / ١٦٥) (٤١٧) وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (١ / ٣٧٥) (٥٢٨) .

(١٤٢) صحيح البخاري (١ / ١٦٨) (٤٢٥) ، و (١ / ٤٦٨) (١٣٢٤). صحيح مسلم (١ / ٣٧٧) (٥٣١) ، (٥٢٩) .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)) (١٤٣).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ــ وهو في السياق ــ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) (١٤٤). ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد)) (١٤٥) [رواه أبو حاتم في صحيحه].

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك. كيف بيّن لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده صلى الله عليه وسلم تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً.

---

(١٤٣) صحيح مسلم (١ / ٣٧٧) (٥٣٢) .

(١٤٤) صحيح البخاري (١ / ١٢٨) (٣٢٨) . صحيح مسلم (١ / ٣٧١) (٥٢٣).

(١٤٥) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٤٥٤) (٤٣٤٢). صحيح ابن حبان (٦ / ٩٤) (٢٣٢٥) . صحيح ابن خزيمة (٢ / ٦) (٧٨٩) .

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

باب : ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

هذا من باب سد الذرائع الموصلة إلى عبادة الصالحين ، فإن السنة قد أتت بالتحذير من عبادة الله عند قبور الصالحين والتغليظ في ذلك فكيف بعبادة الصالحين أنفسهم .

قال المؤلف رحمه الله : **[في الصحيح عن عائشة أنّ أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : ((أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور أولئكِ شرارُ الخلق عند الله))[١٤٦] فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل] :**

الحديث متفق عليه .

فهؤلاء قد بنوا الكنائس على قبور أنبيائهم ، فعبدوا الله ﷻ عند قبور الأنبياء ، وجاء في هذا التغليظ العظيم بقوله : ((**أولئك شرار الخلق عند الله**)) والرجل الصالح يدخل فيه النبي ويدخل فيه الولي .

إذن هذا الحديث في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبد هذا الرجل الصالح كما يفعل في المشاهد والأضرحة التي تعبد من دون الله ﷻ .

---

(١٤٦) تقدم .

وقد ذكر بعض أهل العلم أن في البلاد الإسلامية نحواً من عشرين ألف ضريح تعبد من دون الله ﷻ ، وفي بلد واحد منها نحو ثمانية الآف ضريح تعبد من دون الله ، ينذر لها ويستغاث بها وتدعا من دون الله ﷻ والعياذ بالله .

قوله : [ولهما عنها قالت : لمّا نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرحُ خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) [147] **يُحذِّر ما صنعوا ، ولولا ذلك أُبرز قبره ، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً ، أخرجاه]** :

(**ولهما عنها**) : أي عن عائشة رضي الله عنها .

(**طفق**) : جعل .

(**الخميصة**) : الكساء ذو الأعلام .

(**وإذا اغتم بها كشفها**) : إذن كان في شدة ﷺ وروحه تنتزع وهو يحتضر فقال وهو كذلك ، فما ظنك بهذا الأمر الذي يحذّر منه رسول الله ﷺ في هذه الحال أيظن أنه يحذر ﷺ عن أمر لا أهمية له به ، بل الذي يحذر منه أعظم ما ينبغي أن يحذر وأعظم ما يخشى على الأمة أن تفتتن به ، فهو في هذه الحال يقول ﷺ : ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) .

فهو أعظم من أمر الخلافة ، فقد ترك الأمة ﷺ و لم ينص عند احتضاره على خليفة ، وإنما كانت هناك إشارات كثيرة قريبة من النصوص قبل احتضاره ﷺ على خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

(**يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**) : ما كان أحد يجرؤ بعد وفاة النبي ﷺ في عصر الخلفاء الراشدين أن يبني على قبره مسجداً ، لكن يخشى أن يأتي أحد على حين غفلة من الناس إلى قبره ﷺ فيتعبد عنده ، يعني يذهب إلى القبر ويعكف عنده ويدعو الله ويصلي ويعتقد أن في هذا المكان بركة فليس المقصود هنا (أن يتخذ مسجداً) أن يبنى عليه مسجد وإنما المقصود أن يتخذ موضعاً للعبادة ومن ثم دفن ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها ، فلمّا كان عصر الوليد بن عبدالملك رحمه الله أراد أن يوسع المسجد وأن يدخل الحجرات، فأنكر ذلك عليه أئمة السلف في عصره ، لكنه أدخل الحجرات في مسجده ﷺ ، وجعل بين القبر وبين من يكون خلف القبر أي من الناحية الشمالية ثلاثة جدران : الجدار الأول جدار حجرةِ عائشة رضي الله عنها ، ثم الجدار الثاني جدار مُسنم زاويته إلى ناحية الشمال ، ثم بعد

---

(١٤٧) تقدم .

ذلك جدار ثالث فلا يتمكن أحد من استقبال القبر وبينه هذه الثلاثة جدران التي من بينها هذا الجدار المسنم فهذه كلها عوازل ، ولذا قال ابن القيم رحمه الله :

فأجاب رب العالميــــن وأحاطـــــــه بثلاثة

حتى غدت أرجاؤه في عزة وحماية وصيـــــان

ثم إن هذا القبر لم يوسع لا في التوسعة القديمة ولا في التوسعة المعاصرة من الناحية الشرقية فيكون كالتابع للمسجد وعلى ذلك فإذا قال قائل : إنكم تنكرون بناء القبور على المساجد وهذا المسجد النبوي فيه قبر النبي ﷺ ؟

فنقول له أولاً : إن النصوص صريحة في النهي عن ذلك .

ثانياً : إن ذلك لم يكن في عصر النبي ﷺ ولا في عصر خلفائه بل كان قبره ﷺ في حجرة عائشة ، ثم لّما وسع لحاجة المسلمين للتوسعة أدخلت الحجرات والتي منها حجرة عائشة رضي الله عنها التي فيها القبر ولا يمكن أن ينبش قبره ﷺ ، فكان القبر متصلاً بالمسجد في جهته الشرقية لكنه ليس من المسجد و لم يوسع من الجهة التي هو فيها ﷺ فكان قبره خارجاً عن المسجد .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**))(١٤٨) فأجاب الله كما تقدم في كلام ابن القيم دعاءه ﷺ وأحاطه بهذه الجدران الثلاثة .

قوله : [ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول : ((إنّي أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت مُتخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً ألا وإنّ من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك))(١٤٩)] :

(**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**) : لأن الخلة هي التي تتخلل القلب فلا يبقى في قلب المحب موضع إلا ودخلته هذه المحبة .

(١٤٨) الموطأ – رواية يحيى الليثي (١ / ١٧٢) رقم ٤١٤ مرسلا . مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٢٤٦) رقم ٧٣٥٢ . مسند أبي يعلى (١٢ / ٣٣) رقم ٦٦٨١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. مصنف عبد الرزاق (١ / ٤٠٦) رقم ١٥٨٧ . وسيأتي .
(١٤٩) تقدم .

(**فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**) : وهذا فيه أن النبي ﷺ خليل الله ، فقول بعض الناس : إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله ، هذا خطأ بل إن محمداً خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله عليهما أفضل الصلاة والسلام .

(**ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**) : وهذا فيه إشارة لخلافة أبي بكر رضي الله عنه و لم يصرح ﷺ بذلك

وصرح في المنع من بناء المساجد على القبور الذي هو ذريعة إلى الشرك فقال ﷺ : ((**ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**))[١٥٠] .

قوله : [فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن – وهو السِّياق – من فعله والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبُن مسجد وهو معنى قولها : خشي أن يتخذ مسجداً فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجداً بل كل موضع يُصلى فيه يسمى مسجداً كما قال ﷺ : ((جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً))[١٥١]] :

(**والصلاة عندها من ذلك**) : أي عند القبور ولو لم يبنِ مسجداً وإنما صلى عند هذه القبور فإن هذا من هذا الباب وهذا النقل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

قوله : [ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : ((إنّ مِن شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد))[١٥٢] رواه أبو حاتم في صحيحه] :

هذا الحديث رواه أبو حاتم أي ابن حبان في صحيحه وهو حديث كما قال الإمام رحمه الله إسناده جيد.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في (الموطأ): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[١٥٣] ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} [سورة النجم ١٩/٥٣] **قال: ((كان يلت لهم السويق**

(١٥٠) تقدم .
(١٥١) تقدم .
(١٥٢) تقدم .
(١٥٣) تقدم .

فمات فعكفوا على قبره))[١٥٤]**،وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس:((كان يلت السويق للحاج))**[١٥٥]**.**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج))[١٥٦]**. [رواه أهل السنن].**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها – معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زَوَّارَات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

باب : ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

هذا هو الباب الثالث في التحذير من عبادة قبور الصالحين ومن تعظيمها والغلو فيها الذي هو ذريعة إلى عبادتها من دون الله ﷻ ، فهذا التنويع في الأبواب من الإمام رحمه الله تعالى فيه زيادة بيان وإيضاح لهذه المسألة الشائعة المنتشرة الخطيرة .

قال المؤلف رحمه الله : **[روى الإمام مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))**[١٥٧] **] :**

---

(١٥٤) تفسير الطبري (١١ / ٥١٩) .

(١٥٥) المصدر السابق .

(١٥٦) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢٢٩) رقم ٢٠٣٠ وفي مواضع أخرى . سنن أبي داود (٢ / ٢٣٨) رقم ٣٢٣٦ . سنن الترمذي (٢ / ١٣٦) رقم ٣٢٠ وقال : " حديث حسن " . سنن النسائي (٤ / ٩٤) رقم ٢٠٤٣ . صحيح ابن حبان (٧ / ٤٥٢) رقم ٣١٧٩ .

(١٥٧) تقدم .

رواه الإمام مالك في موطئه مرسلاً وهو في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

والوثن : اسم جامع لكل ما يعبد من دون الله عز وجل لا فرق في ذلك بين الأبنية أو الأشجار أو الأحجار أو الصالحين أو الطالحين فكل ما عبد من دون الله تعلى فهو وثن .

وأما الأصنام : فهي ما كان على هيئة التماثيل والوثن أعم من الصنم .

فاتخاذ الأضرحة والأموات شفعاء من دون الله عز وجل اتخاذ للأوثان .

(**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) : فيه جمع بين الشرك وذريعته ، فالشرك في اتخاذ القبر وثناً يعبد ، وأما الذريعة فهي بناء المساجد على قبور الأنبياء .

قوله : [ولابن جرير عن سفيان عن منصور عن مجاهد {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} [سورة النجم ١٩/٥٣] **قال : ((كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره))** [١٥٨] **وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : ((كان يلت السويق للحاج))** [١٥٩] **]** :

هذا في اللات فإنه كان رجلاً صالحاً وكان يلت السويق للحاج كما تقدم شرحه فعكفوا على قبره ، وهذا موافق للترجمة فإنهم لما مات عكفوا على قبر هذا الرجل الصالح واتخذوه وثناً يعبد من دون الله سبحانه وتعالى .

قوله : [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)) [١٦٠] **رواه أهل السنن]** :

والحديث حسن ، حسنه الترمذي وصححه ابن حبان .

وفي الحديث : المنع من زيارة النساء للقبور .

وفيه : المنع – وهو الموافق للترجمة هنا – من اتخاذ المساجد والسرج على القبور ، أما اتخاذ المساجد فتقدم ، وأما اتخاذ السرج الذي جاء في هذا الحديث فهو أن تعلق السرج على القبور تعظيماً لها وفيها ذريعة لاتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله عز وجل والعياذ بالله فاتخاذ السرج على القبور ذريعة إلى الشرك ؛ لأن ذلك من الغلو في الصالحين الذي هو ذريعة إلى الشرك .

---

(١٥٨) تقدم .

(١٥٩) تقدم .

(١٦٠) تقدم .

قوله : [فيه مسائل : ٣- أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه] :

استعاذته ﷺ دالة على أنه يخاف وقوع هذا الأمر من أمته من اتخاذ قبره وثناً يعبد ، فلو لم يخف وقوع ذلك وكان ﷺ قد أمن على أمته أن تتخذ قبره وثناً يعبد لم يستعذ من ذلك ﷺ .

قوله : [٦- وهي من أهمها : معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان] :

فصفة عبادتها أنها من الغلو في الصالحين ، فإن هذا الرجل كان يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ، وإذا كانت النفوس تتعلق بالأحجار والأشجار فتعبدها من دون الله ﷻ وتفتن بها كما وقع هذا من المشركين فكيف بالصالحين فإن الفتنة فيهم أعظم .

والناس في الصالحين : أهل وسطية وأهل جفاء أو غلو .

فأما أهل الوسطية : فهم الذين يعرفون للصالحين من هذه الأمة من علمائها وزهادها وعبادها ودعاتها حقَّهم من التبجيل والنصرة .

وأما أهل الجفاء وأهل الغلو فهم الذين ليس عندهم وسطية : فأهل الجفاء لا يعرفون لأهل الصلاح حقهم بل يبخسونهم حقهم ، وهذا ليس من إجلال الله ﷻ فإن من إجلال الله ﷻ إكرام حامل القران وأهل العلم ومعرفة حق أهل الصلاح والخير ، وأما أهل الغلو فهم الذين يرفعون الصالحين فوق مترلتهم .

قوله : [٩- لعنه زوارات القبور] :

في هذا الحديث عن ابن عباس " لعن زائرات " ، وكذلك في حديث أبي هريرة في الترمذي " لعن زائرات "، وفي حديث حسان في المسند والترمذي " لعن زوارات " [١٦١] و زوارات بمعنى زائرات .

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم} **[سورة التوبة ١٢٨/٩] الآية.**

---

(١٦١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٥٦٩٥) (٤٤٢/٣) من حديث حسان بن ثابت رضي الله عنه . وأخرجه أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٤٣٠) (٣٣٧/٢) .وأخرجه الترمذي برقم (١٠٥٦) (٣٧١/٣) وابن ماجه برقم (١٥٧٤) (٥٠٢/١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)) [١٦٢] **رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.**

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم)) [١٦٣]**. [رواه في المختارة].**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب : ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

فهو يحمي ﷺ التوحيد من أن يشوبه ما يفسده مما ينقصه وينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع أو ينافي أصله مما هو من الشرك الأكبر .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقول الله ﷻ :** {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ}[سورة التوبة ١٢٨/٩]**]** :

(١٦٢) سنن أبي داود (١ / ٦٢٢) رقم ٢٠٤٢ . مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٣٦٧) رقم ٨٧٩٠ .

(١٦٣) الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي (٤٢٨) .

يصح أن يكون الخطاب هنا للعرب ، أي : لقد جاءكم أيها العرب رسول منكم عربي مثلكم يتكلم بلغتكم فتفهمون كلامه ، ويصح – وهو وجه آخر– : لقد جاءكم أيها الناس عرباً وعجماً رسول منكم أي من جنسكم بشر منكم بحيث إنكم تأنسون به فلم يكن ملكاً ولا جنياً وإنما كان بشراً مثلكم وهذا من نعمة الله ﷻ .

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [سورة التوبة ١٢٨/٩] : ما مصدريه أي يشق عليه ويثقل عليه عنَتُكم ، فما فيه عنت ومشقة على هذه الأمة فإنه يشق عليه فهو حريص على التيسير على هذه الأمة وألا يكون عليهم في الدين من حرج .

{حَرِيصٌ عَلَيْكُم} [سورة التوبة ١٢٨/٩] : عليه الصلاة والسلام ما ترك خيراً إلا ودل الأمة عليه ولا شراً إلا و قد حذرهم منه .

قوله : [عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً،ولا تجعلوا قبري عيداً،وصلوا عليَّ،فإن صلاتكم تبلُغني حيث كنتم)) [(١٦٤)] **رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات]**:

(**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**) : أي لا تجعلوها كالقبور في ترك التعبد فيها من صلاة ونحوها ، وهذا يدل على أن القبور ليست مواضع للعبادة .

(**ولا تجعلوا قبري عيداً**) : أي مكاناً تعودون إليه في أوقات معلومة من السنة فيكون العيد هنا مكانياً ، كما يقع هذا من المتصوفة الذين يأتون إلى المدينة في أيام مولده ﷺ ولو مُكِّنوا لأظهروا الاحتفال بذلك .

(**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) : فلا يحتاج الأمر إلى شد الرحال فإن صلاتكم على النبي ﷺ تبلغه حيث كنتم فلا تأتوا في أيام معلومة من السنة ولا تشدوا الرحل إلى قبره ﷺ للصلاة عليه فإن من خصائصه ﷺ أن صلاتكم تبلغه حيث كنتم .

قوله : [وعن علي بن الحسين ﷺ : أنه رأى رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، وقال : ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : ((لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم)) [(١٦٥)] **رواه في المختارة]** :

رواه الضياء المقدسي في المختارة وهو حديث حسن .

---

(١٦٤) تقدم .

(١٦٥) تقدم .

ففيه النهي عن قصد القبور والمشاهد للدعاء والصلاة وأن هذا من ذرائع الشرك ، ومن ذلك الوقوف عند قبره ﷺ للدعاء فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه بدعة وأنه لم ينقل عن الصحابة ﷺ .

وذكر الإمام أحمد رحمه الله أنه إذا أراد أن يدعو فيجعل الحجرة النبوية عن يساره لئلا يستدبر الحجرة ولا يستقبلُها ويستقبل القبلة ويدعو ، وأيضاً لم يصح عن أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا كلما دخلوا المسجد يسلمون على النبي ﷺ وإنما كانوا إذا قدموا من سفر أتوا إلى قبره ﷺ فسلموا عليه كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه (١٦٦) .

قوله:[فيه مسائل : ٤- نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال] :

لكن كما هو معلوم وهو مراد الشيخ أن زيارة قبره من أفضل الأعمال بلا شد رحل ، ويخلط كثير من الناس بين فضيلة زيارة القبور التي منها زيارة قبره ﷺ وبين شد الرحل إلى زيارة قبره ، ولذا كره الإمام مالك رحمه الله تعالى أن يقول الرجل : أسافر لزيارة قبر النبي ﷺ وإنما يقول : أسافر لأصلي في المسجد النبوي .

فإذا ذهب للصلاة فيه فإنه يزور قبر النبي ﷺ من هناك ولا يكون القصد من شد الرحل زيارة قبره ﷺ .

قوله : [٩- كونه ﷺ في البرزخ تُعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه] :

خص الشيخ رحمه الله ما يعرض عليه من أعمال أمته بالصلاة والسلام عليه ، فالأعمال التي تعرض على النبي ﷺ هي أعمالهم في الصلاة والسلام عليه هذا هو الذي جاء به الدليل .

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [سورة النساء ٥١/٤] **وقوله تعالى** : {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [سورة المائدة ٦٠/٥] **وقوله تعالى** : {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً} [سورة الكهف ٢١/١٨].

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن))؟ (١٦٧) أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن

(١٦٦) الموطأ (٤٤٨/٣) ، مصنف عبدالرزاق (٥٧٦/٣) ، مصنف ابن أبي شيبة (٢٨/٣) ، السنن الكبرى للبيهقي (٢٤٥/٥) .

(١٦٧) ليس فيهما لفظة " القذة بالقذة " كما تقدم.

الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضًا)) (١٦٨)، ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: ((وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)) (١٦٩).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟: هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

الخامسة: قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة – أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب خروج من يدّعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح. وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

---

(١٦٨) صحيح مسلم (٤ / ٢٢١٥) رقم ٢٨٨٩ .

(١٦٩) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٢٧٨) رقم ٢٢٤٤٨ . سنن أبي داود (٢ / ٤٩٩) رقم ٤٢٥٢ . سنن ابن ماجه (٢ / ١٣٠٤) رقم ٣٩٥٢ . ورواه في حلية الأولياء (٢ / ٢٨٩) . المستدرك (٤ / ٤٩٦) رقم ٨٣٩٠ وصححه ووافقه الذهبي .

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطي الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون من العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب : ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

هذا الباب فيه فوائد منها : الخوف من الشرك ، فإذا علم العبد أن هذه الأمة المنتسبة إلى النبي ﷺ سيكون فيها من يعبد الأوثان فإنه يخاف ذلك على نفسه .

وفيه أيضاً : إبطال لدين القُبوريين الذين يقولون : إن هذه الأمة لا تعبد الأوثان .

ويقولون : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في جزيرة العرب ، وعلى ذلك فالتوسل بالأموات والاستعانة بهم وسؤالهم الحاجات وكشف الكربات ليس بشرك لوقوعه في جزيرة العرب التي قد يئس الشيطان منها ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : ((**إن الشيطان قد يئسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم**)) [١٧٠] قالوا : فهذا الحديث يدل على أن جزيرة العرب لا تكون فيها عبادة للشيطان ، قالوا : والشرع لا يفرق بين المتماثلات فالذي يوجد في البلاد الإسلامية هو نظير ما في جزيرة العرب فإذا كان الذي في جزيرة العرب ليس عبادة للشيطان فكذلك الذي خارج جزيرة العرب .

قالوا والذي يقول : (لا إله إلا الله) : لا يخرج من الإسلام وإن أتى بناقض من نواقض الإسلام كأن يستغيث بالأموات فما دام أنه يقول : لا إله إلا الله ، فإن أتى بهذا الناقض وهو الاستغاثة بالأموات يقولون : هذا لا يكفر . ولا يعدونه ناقضاً بل يسمونه توسلاً .

---

(١٧٠) صحيح مسلم (٤ / ٢١٦٦) رقم ٢٨١٢ .

والجواب عن هذا الاستدلال بهذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه أن يقال : إن الشيطان قد يئس والشيطان لا يعلم الغيب فالشيطان لما رأى دخول أهل الجزيرة العربية في الإسلام أفواجاً ، وأن النبوة والخلافة والعلم فيهم ، وفيهم السيف والسنان ، فكانت تخرج الرايات في سبيل الله لإقامة شريعته وإعلاء كلمته في مشارق الأرض ومغاربها ، يئس الشيطان أن يعبده أهل الجزيرة العربية ثم إن هذا اليأس مؤقت بأهل تلك الفترة وأهل ذلك الزمن .

وقد دلت الأدلة الصحيحة على أن جزيرة العرب ستكون فيها عبادة الأوثان ، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ((**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخَلَصَة**)) [(١٧١)] أي على عبادة ذي الخلصة وذو الخلصة : صنم كانت تعبده دوس ، ودوس منازلهم بين الطائف واليمن فهي في الجزيرة العربية ، وتأتي أدلة أخرى دالة على هذا إن شاء الله تعالى .

قال المؤلف رحمه الله : [**وقول الله ﷻ** : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [سورة النساء ٤/٥١]] :

الجبت في اللغة : الذي لا خير فيه ، فيدخل فيه الساحر والطاغوت والشيطان والأصنام فيعم هذه الأفراد التي ذكرها السلف في تفسير الجبت فمنهم من قال : الجبت الأصنام ، ومنهم من قال: الجبت الساحر ، ومنهم من قال : الجبت الشيطان ، وهذا من تفسير الشيء ببعض أفراده .

وكما قال ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير الجبت والطاغوت : " هما اسمان لكل معظم بعبادة أو خضوع أو طاعة " .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الطاغوت : " ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع " .

وعلى ذلك فالعطف بين الجبت والطاغوت من باب تعاطف الأوصاف فهي جبت ؛ لأنها لا خير فيها فلا ينال عابدها منها خيراً ولا نفعاً ، وهي طاغوت ؛ لأن فيها تجاوزاً للحد فالذي يعبدها قد تجاوز حده ، فالتغاير هنا تغاير أوصاف لا أعيان فالصنم جبت والصنم طاغوت ، والساحر جبت وهو طاغوت .

قوله : [وقوله ﷻ : {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [سورة المائدة ٥/٦٠] **وقوله ﷻ** : {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً} [سورة الكهف ١٨/٢١]] :

(١٧١) صحيح البخاري (٦ / ٢٦٠٤) رقم ٦٦٩٩. صحيح مسلم (٤ / ٢٢٣٠) رقم ٢٩٠٦ .

قال الذين غلبوا على أمر أهل الكهف – الذين ابتلاهم الله ﷻ بما ابتلاهم به وأجرى على أيديهم من الكرامة ما أجرى – والذين غلبوا على أمرهم أي على أمر أهل الكهف هم أهل السلطة قالوا : {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً} [سورة الكهف ٢١/١٨] .

هذه الآيات الثلاث فيها أن عبادة الجبت والطاغوت وأن اتخاذ المساجد على القبور من فعل الأمم السابقة وهذه الأمة تتبع من قبلها من الأمم .

قوله : [وعن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذَّةِ بالقذَّةِ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : ((فمن؟)) [١٧٢] **أخرجاه] :**

(**القُذَّة**) : ريشة السهم ، فالسهم له ريشتان متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى ، فكذلك نحن أي بعض هذه الأمة والأمم السابقة .

(**فمن**) : أي من القوم إلا هم وبهذا يتم الاستدلال ، فالآيات المتقدمة فيها أن الأمم السابقة من اليهود والنصارى كانت فيهم عبادة الطاغوت والجبت كما في قوله ﷻ : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [سورة النساء ٥١/٤] وقوله ﷻ: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ منــهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [سورة المائدة ٦٠/٥] وقد وقعوا بالذرائع الموصلة إلى الشرك كبناء المساجد على القبور كما في قوله ﷻ : {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً} [سورة الكهف ٢١/١٨] وقد قال ﷺ : ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم**)) [١٧٣] فعلم من هذا الحديث أن ما كانوا عليه من عبادة الطاغوت والذرائع الموصلة إلى ذلك ستكون فينا ولابد .

قوله : [ولمسلم عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وأن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وأني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا

---

(١٧٢) تقدم .

(١٧٣) تقدم .

أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً)) [١٧٤] **]** :

(**إن الله زوى لي الأرض**) : طوى لي الأرض فرأيت بعيدها قريباً .

(**فرأيت مشارقها ومغاربها**) : فيه اتساع الأمة وأن الفتوحات تكون في المشرق والمغرب .

(**أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**) : الأحمر الذهب وهو كنز الروم والأبيض أي الفضة وهو كنز الفرس وفيه البشارة بفتح الروم وفارس .

(**بسنة**) : أي جدب .

(**بعامة**) : صفة للسنة ، والباء زائدة .

(**بيضتهم**) : أي حوزتهم فلا يبقى لهذه الأمة أثر .

(**أن لا أهلكهم بسنة بعامة**) : لا أهلكهم بجدب عام يستأصلهم .

(**من بأقطارها**) : أي من في الأرض لو اجتمعوا عليهم من أجل أن يستبيحوا بيضتهم فإن الله ﷻ يحفظهم .

(**حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**) : فإذا أهلك بعضهم بعضاً وسبا بعضهم بعضاً فقد يسلط الله عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم كما حصل هذا من التتار وقد لا يكون ذلك فضلاً منه ﷻ .

قوله:[ورواه البرقاني في صحيحه وزاد:((وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان،وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي،ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)) [١٧٥] **]** :

والحديث في أبي داود وابن ماجه وهو حديث صحيح .

---

(١٧٤) تقدم .

(١٧٥) تقدم .

(**الأئمة المضلين**) : أمراء السوء وعلماء السوء وكذلك من عباد الجهل والضلالة أدعياء الزهد والتعبد ، وقد روى الدارمي بإسناد صحيح أن عمر ﷺ أنه قال لزياد بن حدير : " أتدري ما يهدم الإسلام ؟ " قال : قلت : لا ، قال : " زلة العالِم ، وجدال المنافق بالقرآن ، والأئمة المضلون "[١٧٦] .

" **زلة العالم** " : العالم قد يزل فيغفر خطؤه حيث يكون زل وهو يريد الصواب لكن كم يضل بهذه الزلة من شخص؟ ، مثلاً يفتي بعض العلماء بما يخالف الشرع المترل زلة منه فيقتدي فئام من الناس به فيضلون والعياذ بالله .

" **وجدال المنافق بالقرآن** " : وكذلك المنافق الذي يجادل بالقرآن كمن يخرج في بعض القنوات الفضائية ويتكلم بما يناقض الإسلام ، ويستدل بآيات من القرآن يلوي عنقها ويفسرها ويتأولها بما هو تحريف عن الحقيقة .

" **والأئمة المضلون** " : الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، فهؤلاء هم الذين يهدمون الإسلام نسأل الله العافية .

(**إذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**) : فإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة وكان الأمر كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فلما وقع السيف في عهد عثمان ﷺ لم يرفع عن هذه الأمة فلا يزال القتل فيها .

(**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**) : قد يكون هذا اللحوق بهم بالشرك بالله وقد يكون بالهجرة إلى دارهم والرضا بما هم عليه من الشرك وعدم البراءة منهم .

(**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**) : أي أعداد كثيرة ، وتقدم أن الوثن أعم من الصنم وأنه كل ما يعبد من دون الله ﷻ .

(**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**) : قال الإمام أحمد وغيره : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ، أي هم أهل الحديث .

والمراد بأهل الحديث : المتمسكون بالسنة علماء وعامة قال ﷺ : ((**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**))[١٧٧]

---

(١٧٦) سنن الدارمي (١ / ٨٢) رقم ٢١٤ .

(١٧٧) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٢٦) رقم ١٧١٨٤ من حديث العرباض رضي الله عنه . سنن أبي داود (٢ / ٦١٠) رقم ٤٦٠٧ . سنن الترمذي (٥ / ٤٤) رقم ٢٦٧٦ وقال : " حديث صحيح " . سنن ابن ماجه (١ / ١٦) رقم ٤٣ .

فالمتمسكون بالسنة قولاً وعملاً واعتقاداً ومنهاجاً من العلماء والعامة الذين يتبعون العلماء المتمسكين بالسنة هم أهل الحديث وهم أهل السنة والجماعة .

وهم الطائفة المنصورة {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [سورة الصافات ١٧٣/٣٧] فهم منصورون بالسيف تارات ، وأما في الحجج والبراهين ففي كل زمن ، فالسيف قد يكون لهم وقد يكون عليهم لكن العاقبة لهم ؛ لأن الأيام دول ، وأما الحجة والبرهان فلا يزالون منتصرين وظاهرين ؛لأن معهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وهم الطائفة الناجية أيضاً ؛ لأنهم موعودون بالنجاة من النار كما في قوله ﷺ : ((**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة**))[١٧٨] رواه أبو داود وغيره .

قوله : [فيه مسائل ٤- وهي أهمها : ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت ؟ هل هو اعتقاد قلب ؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟] :

والجواب : هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها حباً للدنيا وطلباً للرياسة فيها فقد أوتوا نصيباً من الكتاب فلا يعتقدون في قلوبهم الإيمان بالجبت والطاغوت لكنهم يوافقون أصحابه مع بغضها ومعرفة بطلانها لكنهم طلباً للدنيا يقرون أصحابها على عبادتها وأما اعتقاد القلب فلا .

قوله : [٥- قولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين] :

يقول هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ؟ إن : هؤلاء المشركين أهدى من الذين أمنوا سبيلاً مع علمهم أن النبي ﷺ ومن معه على الحق ، وهؤلاء الكفار على الباطل .

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ} [سورة البقرة ١٠٢/٢]

وقوله: وقوله : {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [سورة النساء ٥١/٤] . **قال عمر**: ((**الجبت : السحر ، والطاغوت: الشيطان**))[١٧٩] . **وقال جابر**: ((**الطواغيت: كهان كان يتزل عليهم الشيطان في كل حي واحد**))[١٨٠] .

---

(١٧٨) سنن أبي داود (٢ / ٦٠٨) رقم ٤٥٩٧ . سنن الترمذي (٥ / ٢٦) رقم ٢٦٤١ . قال أبو عيسى : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه .

(١٧٩) ذكره البخاري (٤ / ١٦٧٣) معلقا بصيغة الجزم / باب (٨٩) { وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط } . ورواه سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٢٠٨) رقم ٢٥٣٤ . تفسير الطبري (٤ / ١٣٣). تفسير ابن أبي حاتم – (١٩ / ١٧١) رقم ٥٤٨٨ ، ٥٤٨٢ .

(١٨٠) تفسير الطبري (٣ / ١٥) رقم . وذكره البخاري معلقا في الباب السابق .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) (١٨١).

وعن جندب مرفوعاً: ((حد الساحر ضربه بالسيف)) (١٨٢) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي (صحيح البخاري) عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: ((أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر)) (١٨٣).

وصح عن حفصة رضي الله عنها: ((أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت)) (١٨٤)، وكذلك صح عن جندب(١٨٥) . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

---

(١٨١) البخاري (٣ / ١٠١٧) رقم ٢٦١٥ ، ٦٤٦٥ . صحيح مسلم (١ / ٩٢) رقم ٨٩ .

(١٨٢) سنن الترمذي (٤ / ٦٠) رقم وقال : " والصحيح عن جندب موقوف ". المستدرك (٤ / ٤٠١) رقم ٨٠٧٣ وصححه وقال الذهبي : " صحيح غريب " . سنن الدارقطني (٣ / ١١٤) رقم ١١٢ .

(١٨٣)البخاري (١٦٥٧) (١/١٩٠) وليس فيه قتل السحرة ،مسند أحمد بن حنبل (١ / ١٩٠) رقم ١٦٥٧ . مسند الشافعي (١ / ٣٨٣) رقم ١٧٦١ . سنن أبي داود (٢ / ١٨٤) رقم ٣٠٤٣ .

(١٨٤) مسند الشافعي (١ / ٣٨٣) رقم ١٧٦١ . سنن البيهقي الكبرى (٨ / ١٣٦) رقم ١٦٢٧٦. المعجم الكبير (٢٣ / ١٨٧) رقم ٣٠٣ . مصنف عبد الرزاق (١٠ / ١٨٠) رقم ١٨٧٤٧ . الموطأ – رواية يحيى الليثي (٢ / ٨٧١) رقم ١٥٦٢ .

(١٨٥) سنن الدارقطني (٣ / ١١٤) رقم ١١٣ . مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٥٦١) رقم ٢٨٩٧٧ . سنن البيهقي الكبرى (٨ / ١٣٦) رقم ١٦٢٧٨ .

باب : ما جاء في السحر

السحر في اللغة : هو ما لطف وخفي سببه .

وأما السحر العرفي الاصطلاحي : فهو عقد ورقى وعزائم تؤثر في القلوب والأبدان فتقتل وتمرض وتفرق بين الزوجين .

أي يعقد الساحر وينفث في تلك العقد ويتمتم ويستعين بالشياطين فيؤثر على القلوب والأبدان بإذن الله.

ومن السحر : ما هو حقيقة ، ومنه : ما هو خيال .

أما الحقيقة فهذا ظاهر خلافاً للمعتزلة قال ﷻ : {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} [سورة البقرة ٢/١٠٢] .

وأما الخيال فهو ما يسمى عند العامة بالقُمرة ، والمراد به : أن يسحر الأعين ، كما قال ﷻ : {سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ = ١١٦} [سورة الأعراف ٧/١١٦] فإذا فعل ما هو خارج عن المقدور كأن يسير على حبل أو أن يدخل في نار أو أن يُدخل سيفاً في جوفه ونحو ذلك فهذا كله من السحر .

والسحر العرفي كله كفر أكبر يخرج صاحبه من الإسلام قال ﷻ : {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [سورة البقرة ٢/١٠٢] فدلت هذه الآية على أن تعلم السحر وأن العمل به كفر أكبر ، ولذا قال ﷻ بعد : {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ} [سورة البقرة ٢/١٠٢] فهذا السحر العرفي كله كفر أكبر يخرج صاحبه من الإسلام ؛ لأنه لا يتم إلا باستخدام الشياطين والاستعانة بهم ، والشياطين لا يخدمون إلا من أشرك .

لكن هناك نوع يذكره الفقهاء وهو السحر بالأدوية والتداخين فهذا النوع ليس هو السحر العرفي ، ويراد به : استخدام طبائع المواد التي تؤخذ من علم الفيزياء فيستخدم طبائع هذه المواد فيما هو خفي على من هو جاهل بها فالجاهل بها يسمي هذا سحراً ، كالذي لا يعرف الكهرباء فإنه يرى أن هذا من السحر ، حتى إذا ما ظهر للناس زال خفاؤه كما يقع هذا في الأجهزة التي تنقل الصوت والصورة ونحو ذلك ، هذا في الأصل كان خفياً فيجتمع هو والسحر بالمعنى اللغوي؛ لأنه قد خفي ولطف سببه فلا يُعلم ، وقد يخفى ارتباط السبب بالمسبب والعلة بالمعلول ، لكن لما تقدم العلم زال هذا الخفاء وأصبح الأثر ظاهراً ليس خفياً .

وهذا النوع إن استخدمه في الطرق التي تضر الناس فهذا يعزر كما سيأتي لكن هذا ليس بكفر، وأما السحر العرفي الذي يكون على الطريقة المتقدمة فهذا كله كفر ، ولا يكون إلا باستخدام الشياطين ، وهذا هو مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد وأن السحر متضمن للشرك فلا يكون السحر إلا بالشرك .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقول الله ﷻ** : {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ} [سورة البقرة ١٠٢/٢] وقوله : {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [سورة النساء ٥١/٤] **قال عمر ﷺ : " الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان "**[١٨٦] **وقال جابر ﷺ : " الطواغيت كُهان كان يترل عليهم الشيطان في كل حي واحد "**[١٨٧] **]** :

أثر عمر ﷺ وأثر جابر ﷺ رواهما ابن أبي حاتم ، وتقدم شرح الطاغوت والجبت في الباب السابق .

قوله : [وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))[١٨٨] **]** :

والحديث متفق عليه .

(**الموبقات**) : أي المهلكات التي تهلك صاحبها ، والموبقات المذكورة في هذا الحديث منها ما هو شرك أي كفر أكبر ، ومنها ما هو دون ذلك من كبائر الذنوب .

قوله : [وعن جُندَب مرفوعاً : ((حد الساحر ضربةٌ بالسيف))[١٨٩] **رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف]** :

(**ضربةٌ**) : ضبطت أيضاً بالهاء " ضربهُ " ، والحديث الصواب أنه موقوف على جندب الخير الأزدي .

قوله : [وفي صحيح البخاري عن بجَالة بن عَبَدة قال : كتب عمر بن الخطاب ﷺ : " أن اقتلوا كل ساحر وساحرةٍ "[١٩٠] **قال : فقتلنا ثلاث سواحِرِ]**

رواه أبو داود وغيره وأصله في البخاري ، وأما ذكر قتل السواحر فإنه في سنن أبي داود .

---

(١٨٦) تقدم .

(١٨٧) تقدم .

(١٨٨) تقدم .

(١٨٩) تقدم .

(١٩٠) تقدم .

قوله : [وصح عن حفصة رضي الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت ، وكذا صح عن جندب[١٩١]] :

رواه مالك بلاغاً ووصله البيهقي بإسناد صحيح .

قوله : [قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ] :

أي قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : في قتل الساحر آثار عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ ، وهذه الآثار لا يُعلم لها مخالف وقد اشتهرت فكان إجماعاً سكوتياً ، على أن قول الصحابي الذي لا يعلم له مخالف حجة ، فقول الصحابي إذا اشتهر و لم يعلم له مخالف فهو إجماع فإن لم يشتهر فهو حجة .

فهذه الآثار دالة على قتل السحرة وقد تقدم في الأدلة ما يدل على أن الساحر كافر ، وعلى ذلك فيقتل ردةً لا حداً ؛ لأنه كافر بالله ﷻ .

وأما إن كان السحر بالأدوية ونحوها التي تقدم التنبيه عليها ، فإنه لا يكفر ولا يقتل ، وإنما يعزر تعزيراً بليغاً ، لكن إن رأى الإمام المصلحة في قتله فإن له ذلك ؛ لأن للإمام التعزير بالقتل على الصحيح ، لكن إن كان قد جنى على أحدٍ باستخدامه طبائع المواد فإنه يحكم عليه بما تقتضيه جنايته .

وظاهر هذه الآثار أن الساحر يقتل ولا يستتاب ، وهذا هو مذهب مالك وأحمد وهو أصح القولين ، فتوبته لا تقبل في الظاهر ، وأما فيما بينه وبين ربه فإن الله ﷻ يقبل التوبة ، والصحابة لم يستتيبوا السحرة بل قتلوا بلا استتابة كما هو ظاهر الآثار السابقة .

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت))[١٩٢] ، قال عوف: ((العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان))[١٩٣] إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد))[١٩٤] [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

---

(١٩١) تقدم .

(١٩٢) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٦٠) رقم ٢٠٦٢٣ وقبله .

(١٩٣) مسند أحمد (٥/ ٦٠) رقمه ٢٠٦٢٣ .

(١٩٤) مسند أحمد بن حنبل (١/ ٣١١) رقم ٢٨٤١ . سنن أبي داود (٢ / ٤٠٨) رقم ٣٩٠٥. سنن ابن ماجه (٢ / ١٢٢٨) رقم ٣٧٢٦ .

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه)) (١٩٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا هل أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمة، القالة بين الناس)) (١٩٦) **[رواه مسلم]. ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من البيان لسحراً))** (١٩٧).

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

باب : بيان شيء من أنواع السحر

ولم يذكر رحمه الله تعالى الحكم ؛ لأنها تتفاوت فيه ؛ فمنها ما هو كفر ، ومنها ما هو دون ذلك ، وقد أتى بهذا الباب ؛ لأنه من المناسب بعد ذكر السحر العرفي أن يذكر السحر اللغوي للتحذير مما هو محرم منه.

قال المؤلف رحمه الله : **[قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيان بن العلاء ، حدثنا قَطن بن قَبيصة عن أبيه أن سمع النبي ﷺ قال : ((إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت))** (١٩٨) **قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطرق : الخط يخط بالأرض ، والجِبت : قال الحسن : رنة الشيطان إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسندُ منه] :**

(١٩٥) سنن النسائي (٧ / ١١٢) رقم ٤٠٧٩. المعجم الأوسط (٢ / ١٢٧) رقم ١٤٦٩ .

(١٩٦) مسلم (٤ / ٢٠١٢) رقم ٢٦٠٦ .

(١٩٧) البخاري (٥ / ١٩٧٦) رقم ٤٨٥١ . مسلم (٢ / ٥٩٤) رقم ٨٦٩ .

(١٩٨) تقدم .

(**العيافة**) : هي التشاؤم أي الطِّيرة .

(**والطرق**) : الخط يخط بالأرض ؛ فيستدل الكاهن بهذه الخطوط على المغيبات يعني يحكي الأمور الغيبية بناءً على ما يخطه .

(**رنة الشيطان**) : من الرنين ؛ يعني : صوته أي وحيه ، فالجبت : هو وحي الشيطان .

قوله : [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السِّحر زاد ما زاد))(١٩٩) رواه أبو داود وإسناده صحيح] :

(**اقتبس**) : أي استفاد وأخذ وتعلم .

(**شعبة**) : أي قطعة .

والتنجيم وهو : الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

فمن اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، والجامع بين التنجيم والسحر أن كليهما قد خفي سببه ، فما هي العلاقة بين موت فلان وخروج النجم الفلاني ، وما هي العلاقة بين الحوادث التي تقع في الأرض كالزلازل مثلاً ، وبين طلوع النجم الفلاني هذا سبب خفي ، وهذا هو الجامع بينهما ، وعلى ذلك فالتنجيم سحر لغوي .

قوله : [وللنسائي من حديث أبي هريرة : ((من عقد عقدة ، ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وُكِل إليه))(٢٠٠)] :

الحديث فيه ضعف ؛ لأنه من حديث عباد بن ميسرة وفيه لين ، وفي الحديث أيضاً انقطاع بين الحسن وأبي هريرة ﷺ ففيه علتان ، لكن الحديث يشهد له القرآن قال ﷻ : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ = ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ = ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ = ٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ = ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ = ٥} [سورة الفلق ١١٣/١-٥] فمعنى الحديث صحيح أي يشهد القرآن لمعناه لكنه من جهة الرواية إسناده ضعيف .

---

(١٩٩) تقدم .

(٢٠٠) تقدم .

قوله : [وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : ((**ألا هل أُنبِّئُكم ما العَضْه؟ هي النميمة القالة بين الناس**)) [٢٠١] **رواه مسلم]** :

(**العَضْه**) : بفتح العين وتسكين الضاد هي النميمة ، قال يحيى بن أبي كثير : " يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة " ؛ وذلك لأنه يفرق بين المتحابين وبين الرجل وزوجته بسبب نقل الكلام الذي يفسد بين الناس ، ولذا فإن النميمة فيها شبه بالسحر ؛ لأنها تؤثر كالسحر ، ولكنها ليست كفراً وإنما هي من كبائر الذنوب .

قوله: [ولهما عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن من البيان لسحراً**))[٢٠٢]**]**:

(**ولهما**) : أي للبخاري ومسلم .

والظاهر أن هذا الحديث على جهة الذم ، فعلى ذلك يكون المراد بالبيان هنا هو الذي يكون فيه قلب للحقائق وفيه إبطال للحق وإحقاق للباطل فهذا هو البيان الذي هو من السحر اللغوي ؛ لأنه يؤثر كالسحر كما قال بعضهم :

في زخرف القول تزيين والحق قد يعتريه سوءُ تعبير

فبعض الناس يكون عنده من الفصاحة والبيان والبلاغة ما يجعل بها الحق في أنظار الناس باطلاً ويجعل الباطل حقاً هذا مذموم وهذا أثره كأثر الساحر الذي قد يجعل المحبوب مبغضاً ويجعل المبغض محبوباً .

لكن الذي يستثمر بيانه وفصاحته في تزيين الحق للناس فهذا محمود ، والمذموم أن يزين الباطل ويزخرفه حتى يكون حقاً في نظر الناس كما يقع هذا من المبتدعة والقبوريين الذين يزينون باطلهم بالبيان والفصاحة والبلاغة والخطب الرنانة الممتلئة بألفاظ البديع ، حتى إن من يسمعه من العامة الذين ليس عندهم اطلاع على حقائق الأمور ليغترون بهذا الكلام الباطل ، لذا ينبغي التحذير من تلكم الكتب التي فيها تزيين للباطل وترغيب بالشرك والبدع وهي ممتلئة بالشبه والضلالة ، فهؤلاء ليس عندهم حجج ولا أدلة ولذا فسلاحهم البيان والفصاحة .

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**)) [٢٠٣].

---

(٢٠١) تقدم .

(٢٠٢) تقدم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))[٢٠٤] رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة : ((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))[٢٠٥]. ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً[٢٠٦].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: ((ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))[٢٠٧] رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى.." [٢٠٨]إلى آخره.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس –في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم –: ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق))[٢٠٩].

فيه مسائل:

---

(٢٠٣) مسلم (٤ / ١٧٥١) رقم ٢٢٣٠ وليس فيه " فصدقه " . وهو في مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٦٨) رقم ٦٦٨٩ دون قوله " فسأله " .

(٢٠٤) سنن أبي داود (٢ / ٤٠٨) رقم ٣٩٠٤ ٠

(٢٠٥) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٤٢٩) رقم ٩٥٣٢ . المستدرك (١ / ٤٩) رقم ١٥ وصححه . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠ / ٢١٧) : " أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد وله شاهد " . وهذا اللفظ غير موجود في النسخ المطبوعة من السنن الأربعة .

(٢٠٦)مسند أبي يعلى (٩ / ٢٨٠) رقم ٥٤٠٨. قال في فتح الباري (١٠ / ٢١٧) : " بسند جيد " .

(٢٠٧) رواه البزار (٣٠٤٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠١/٥):(رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقه) قال المنذري (رواه البزار بإسناد جيد)

(٢٠٨) المعجم الأوسط (٤ / ٣٠١) رقم ٤٢٦٢ .والبزار (٣٠٤٣) ٠

(٢٠٩) مصنف عبد الرزاق (١١ / ٢٦) رقم ١٩٨٠٥. شعب الإيمان (٤ / ٣٠٦) رقم ٥١٩٦ . سنن البيهقي الكبرى (٨ / ١٣٩) رقم ١٦٢٩١ .

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكهن له.

الرابعة: ذكر من تُطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

باب : ما جاء في الكهان ونحوهم

الكهان : جمع كاهن ، اسم فاعل من : تكهن يتكهن كِهانةً وكَهانة .

وهو في اللغة : القاضي بالغيب عن طريق رِئِيِّه من الجن ، وهو الذي يتكلم في المغيبات عن طريق رئيه من الجن إما باستراق السمع وإما بما يطلع عليه الجني مما يخفى على بعض الناس .

فعلى ذلك الجان له طريقان في علم الغيب :

الطريق الأول:ما يسترقونه من السماء كما ثبت هذا في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ([٢١٠]).

والطريق الثاني : ما يرونه مما يكون غائباً عن الكاهن أو من يسأل الكاهن ، فالجان يطلعون على أن فلاناً قد سحر فلاناً أو أن فلاناً قد سرق مال فلان ونحو ذلك فهذا أمر مشاهد بالنسبة إليهم غائب عن الكاهن .

والكاهن له رِئِيٌّ من الجن يخبره عن المغيبات .

والكاهن كافر من وجهين :

الأول : ادعاء علم الغيب قال ﷻ : {قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ} [سورة النمل ٢٧/٦٥] .

الثاني : أنه يتقرب إلى الجن بما هو شرك بالله ﷻ .

قال المؤلف رحمه الله : **[روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما)) ([٢١١])]** :

([٢١٠]) البخاري (٤ / ١٨٠٤) رقم ٤٥٢٢ ، ٧٠٤٣ .

(٢١١) تقدم .

رواه الإمام مسلم والإمام أحمد واللفظ لأحمد ، وليس في مسلم : " فصدقه " ، وعلى ذلك فعزو الإمام هنا على طريقة أهل الحديث في العزو إلى من عنده أصل الحديث إذا اتحد الطريق وإن كانت هناك زيادة في الألفاظ ، ويفعل هذا البيهقي في سننه وغيره ، فعليه قوله هنا : رواه مسلم، أي : أصل هذا الحديث في مسلم .

(**لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**) : يدل على أنه لم يكفر ؛ لأنه لو كان كافراً لم تقبل له صلاة مطلقاً ، وهل يعيد هذه الصلوات ؟ لا يعيدها اتفاقاً ، كما قال النووي رحمه الله تعالى ؛ لأنه قد صلى .

لكن هل هي مجزئة أم لا ؟

قال النووي رحمه الله تعالى : هي مجزئة ؛ لأنه لم يؤمر بالإعادة فدل على أنها مجزئة .

والصواب كما قال صاحب " تيسير العزيز الحميد " : أن عدم الإعادة لا يستلزم الإجزاء فقد صلى في الظاهر ، لكن لا يعيد وإن كانت هذه الصلاة لا يثاب عليها ؛ لأن ظاهر قوله ﷺ : (لم تقبل) أنه لا يثاب عليها .

قوله : [وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) [٢١٢] **رواه أبو داود .**

وللأربعة والحاكم وقال : حديث صحيح على شرطهما ، عن أبي هريرة : ((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ)) [٢١٣] **ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثلُه موقوفاً] :**

الحديث الأول رواه أبو داود وهو عند أهل السنن وقد ضعفه البخاري للانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة رضي الله عنه ولكن الحديث الذي بعده دال عليه لكن له تتمة ضعيفة : **((ومن أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أُنزل على محمد))** وفيه : **((من أتى حائضاً فقد كفر بما أُنزل على محمد))** [٢١٤] .

وأما الحديث الذي بعده : ((من أتى عرافاً ...)) فهو في الحاكم ومسند أحمد وهو حديث صحيح صححه العراقي والذهبي وغيرهما .

قال المؤلف في أثر ابن مسعود رضي الله عنه : " بسند جيد " وكذا قال الحافظ ابن حجر .

---

(٢١٢) تقدم .

(٢١٣) تقدم .

(٢١٤) تقدم .

وهذه الأحاديث فيها : مسألة حكم إتيان الكهان وقد قال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم لما سأله معاوية السلمي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله إن منا رجالاً يأتون الكهان ، فقال ﷺ : ((**فلا تأهم**)) ، قال : فإن منا رجالاً يخطون ، فقال ﷺ : ((**كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك**)) [(٢١٥)] أي : ما يقع من الصواب عند من يخط فلموافقته خط ذلك النبي ، فهذا تعليل للصواب الذي يكون عند من يخط على الرمل ويتكلم في الأمور المغيبة ، وهذا يدل على أن هذا الخط من الحدس والتخمين ؛ لأن موافقة خط النبي غير متيقنة ، وعلى ذلك فإذا خط فقد يوافق خط النبي وقد لا يوافق فيكون فيه حدس وظن ويكون من ادعاء الغيب كالكهانة .

والخط في الرمال وقراءة الكف وقراءة الفنجان وغيرها هذه كلها من أبواب الكهانة .

وسؤال الكهان له ثلاث صور :

الأولى : أن يسأله ولا يصدقه وإنما يسأله اختباراً لحاله وامتحاناً له للاطلاع على باطن أمره ، فهذا لا حرج فيه ، وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد كما في الصحيحين [٢١٦].

الثانية : أن يسألهم ويصدقهم ويعتقد أن الكهان أو الجن يعلمون الغيب ، فهذا كفر أكبر وفيه قول النبي ﷺ : ((**من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أُنزل على محمد**)) [(٢١٧)] والذي أُنزل على محمد هنا هو قول الله ﷻ : {قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ} [سورة النمل ٦٥/٢٧] .

الثالثة : أن يسألهم ويصدقهم بكل ما يخبرون به سواءً كان السؤال للجن كالراقي يسأل الجان إذا نطق أو للكهنة ولكنه يقول : إن الذي يعلم الغيب هو الله ﷻ ويقول : أما الجان فإنهم يخبرون بهذه المغيبات عن استراق للسمع وما يطلعون عليه مما يشاهدونه ولا نشاهده ، والكهنة يخبرهم الجن ، وهذا هو الذي فيه الخلاف بين العلماء وفيه قولان لأهل العلم وهما روايتان عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى وعنه التوقف وترك الحديث بلا تفسير للزجر:

القول الأول : أنه لا يكفر لقوله ﷺ : ((**من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**)) [(٢١٨)] .

---

(٢١٥) صحيح مسلم (١ / ٣٨١) رقم ٥٣٧ .

(٢١٦) البخاري (١١١٢/٣) برقم (٢٨٩٠) و مسلم (٢٢٤٠/٤)برقم (٢٩٢٤).

(٣) تـــقدم

(٢١٨) تقدم .

والقول الثاني : أنه يكفر واختار هذه الرواية صاحب تيسير العزيز الحميد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وقال : إنه يكفر إن صدقه بكل حال لحديث : ((**فصدقه فقد كفر بما أُنزل على محمد**)).

والذي **يظهر** لي القول الأول لما فيه من الجمع بين الحديثين فنقول : إن سأل الكهنة أو العرافين من الذين يذكرون الضوال – أي الأشياء الضائعة – فصدقه فلا يخلو من حالين :

الأولى : أن يصدقه ويعتقد أنه يعلم الغيب فهو كافر .

والثانية : أن يصدقه ولا يعتقد أنه يعلم الغيب فليس بكافر وفي هذا شبهة وهي أن الجن يسترقون السمع ؛ ولأن الأصل البقاء على الإسلام ، وعلى ذلك **فالراجح** أننا لا نكفره ولكن نقول : إنه قد أتى باباً من أبواب الكبائر وفيه قول النبي ﷺ : ((**لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**))[٢١٩] .

قال المؤلف رحمه الله : **[وعن عمران بن حُصين مرفوعاً : ((ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له ، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أَنزل على محمد ﷺ))**[٢٢٠] **رواه البزار بإسناد جيد ، ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله ((ومن أتى)) إلى آخره .**

قال البغوي : العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالَّة ونحو ذلك] :

العراف : هو الذي يدعي معرفة الأمور من خلال مقدمات يستدل بها على مكان المسروق ومكان الشيء الضائع ونحو ذلك هذا يسمى بالعراف .

وأما الكاهن فهو الذي يتكلم بالأمور الغيبية عن طريق رِئيِّه من الجن فهو الذي يستخدم الجن، وأما العراف فعنده مقدمات يستدل بها على الأمور الغيبية وكلاهما كافر لادعائه علم الغيب .

قوله : [وقيل : هو الكاهن ، والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل : الذي يخبر عما في الضمير ، وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق] :

وقيل : إن العراف هو الكاهن .

---

(٢١٩) تقدم .

(٢٢٠) تقدم .

وقد قدم أبو العباس كلامه هذا في الفتاوى بـــ" قيل " ولكن الظاهر من سياق الكلام أنه ارتضى هذا القول ، فالعراف على هذا القول أعم فيدخل فيه الكاهن وقارئ الكف ومن يتكلم في الضوال ومن يخط بالرمل وهؤلاء يدخلون في العراف فيشتركون في أصل المعنى وهو أن الكل يدعي علم الغيب فبينهم عموم معنوي .

قوله : [وقال ابن عباس في قوم يكتبون " أبا جاد " وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق(٢٢١)] :

(**أبا جاد**) : أي الحروف الأبجدية أبجد هوز ... إلخ هذه الحروف الأبجدية التي تكتب بها الفقرات ، ولكن هؤلاء يكتبونها على غير الطريقة المعتادة في الكتابة وإنما يكتبونها بطريقة معروفة عندهم يستدلون بها على الأمور الغيبية فيستخدمون هذه الحروف الأبجدية للاستدلال على المغيبات . وهذا الأثر رواه عبد الرازق في مصنفه بإسناد صحيح .

باب ما جاء في النشرة

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال: ((هي من عمل الشيطان)) (٢٢٢) رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي "البخاري" عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: ((لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه)) (٢٢٣). أ.هـــ.

وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر(٢).

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما:حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني:النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز (٢٢٤).

---

(٢٢١) تقدم .

(٢٢٢) مسند أحمد بن حنبل (٣ / ٢٩٤) رقم ١٤١٦٧ . سنن أبي داود (٢ / ٣٩٩) رقم ٣٨٦٨ .

(٢٢٣) البخاري (٥ / ٢١٧٥) .

(٢) قال في تيسير العزيز الحميد : ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد بدون إسناد ،

فيه مسألتان:

الأولى:النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الأشكال.

باب : ما جاء في النُشْرة

النشرة : من النشر وهو التفريق ، والمراد بها حل السحر عن المسحور فإنه إذا حل عنه قام نشيطاً منتشراً لا شيء فيه ومن ثم سميت نُشرة ؛ لأنه ينتشر بعدها لزوال الداء عنه .

قال المؤلف رحمه الله : **[عن جابر : أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة فقال : ((هي من عمل الشيطان))** [٢٢٥] **رواه أحمد بسند جيد وأبو داود ، وقال : سُئل أحمد عنها ؟ فقال : ابن مسعود يكره هذا كله]** :

(**أل**) : في النشرة هنا " أل " العهدية أي النشرة المعهودة عند أهل الجاهلية ، وما هي النشرة المعهودة عندهم ؟ هي : حل السحر بسحر مثله فإذا سُحر ذهب إلى الساحر فسأله أن يحل السحر عنه وأن ينشر عنه .

(**وقال : سُئل أحمد** ...) : القائل أبو داود رحمه الله – صاحب السنن

قوله : [وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيُحَلُّ عنه أو ينشر؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه [٢٢٦]**، انتهى]** :

(**طب**) : أي سحر .

(**يُؤخَّذ**) : بفتح الواو مهموزة وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة ، أي : يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها ، والأخذة ــ بضم الهمزة ــ الكلام الذي يقوله الساحر .

(**يُنْشر**) : ويصح " يَنَشَّر " .

قوله : [وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر[٢٢٧] .

---

(٢٢٤) يراجع كلام ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٣٩٦/٤) وزارد بعد قوله : (فهذا جائز) عبارة (بل مستحب) .

(٢٢٥) تقدم .

(٢٢٦) تقدم .

(٢٢٧) تقدم .

قال ابن القيم : النُشرةُ : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور ، والثاني : النشرة بالرقيه والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز] :

هذا الكلام لابن القيم رحمه الله تعالى كلام جيد فصل فيه هذه المسألة .

فبيِّن ما يجوز من النشرة وما لا يجوز وجمع بين أقوال السلف في هذه المسألة .

فالنوع الأول : هو الذي فيه استعانة بالشياطين ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ؛ لأن حل السحر كابتدائه فكما أن ابتداءه فيه استعانة بالشياطين وتقرب إليهم فكذلك رفعه فيه استعانة بالشياطين .

والنوع الثاني : وهو ما يكون بالرقى الشرعية والأدعية والأدوية المباحة فلا بأس بذلك .

ومن ذلك ما روي عن وهب بن منبه رحمه الله من أنه تؤخذ سبع ورقات خضراء من السدر فيقرأ فيها آية الكرسي وذوات (قل) : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [سورة الإخلاص ١/١١٢] و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [سورة الفلق ١/١١٣] و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [سورة الناس ١/١١٤] ، ثم تدق بين حجرين وتوضع في ماء فيحسو من الماء ثلاث حسوات ثم يغتسل منه [٢٢٨]، وأن هذا نافع فيمن يُؤخَّذ عن امرأته إلى غير ذلك من الطرق المباحة .

والمشهور في المذهب عند المتأخرين : أنه يجوز حل السحر بسحر للضرورة .

وقد ذكر الموفق أن الإمام أحمد رحمه الله : توقف في هذا وأن كلامه فيه ميل إلى الجواز لما في ذلك من الضرورة ، ولكن هذا القول ضعيف من أوجه :

الوجه الأول : أن حفظ الدين أعظم من حفظ البدن فالذهاب إلى السحرة للعلاج فيه حفظ للبدن على ما يظنه هذا الذاهب وفيه إفساد للأديان ، وحفظ الدين أعلى مرتبةً وأولى من حفظ الأبدان كما هو معلوم ؛ لأن الضرورات خمس منها حفظ الدين وهو أعلاها مرتبة ومنها حفظ النفس وهو دون حفظ الدين في المرتبة .

الوجه الثاني : أنه من المعلوم أن الضرورة هي التي يكون معها القطع بزوال الاضطرار فإن كان من داء فإنه يزول قطعاً ، مثال ذلك : رجل غص فشرب خمراً ليزول عنه الغصص فهذا ضرورة ، ورجل في مفازة من الأرض وليس عنده طعام فخشي على نفسه الموت فأكل الميتة يزيل عنه المجاعة قطعاً .

(٢٢٨) مصنف عبد الرزاق (١١/ ١٣) .وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١ /١٩٩). وغيره.

لكن هل الذهاب إلى السحرة يزيل الداء ؟ لننظر أحوال من يأتون هؤلاء السحرة : الأكثر منهم لا يستفيدون شيئاً بل تؤكل أموالهم بالباطل ولا يرجعون بطائل ولا فائدة ، لكن الذين يذهبون إلى الرقاة بالرقية الشرعية الذي يستفيد منهم أكثر من الذي لا يستفيد والذي لا يستفيد غالباً يكون فيه موانع .

الوجه الثالث : أن الله لم يجعل شفاء هذه الأمة فيما حرم عليها كما نص على ذلك النبي ﷺ فكيف يظن أن في الذهاب إلى السحرة شفاء والنبي ﷺ يقول : ((**إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها**))(٢٢٩) .

الوجه الرابع : أن في ذهاب الناس إلى السحرة للتداوي إقراراً لهم وسكوتاً على هذا المنكر العظيم الذي هو من أعظم المنكرات ؛ لأنه كفر بالله عز وجل .

فهذه الأوجه الأربعة تدل على أن الذهاب إلى السحرة لحل السحر لا يجوز ، وعلى ذلك من ابتلي بسحر فإنه يؤمر بالذهاب إلى الراقين ويكثر من الدعاء والاستغفار فإن شفي فذاك وإلا فإنه يقال له : إن هذا ابتلاء من الله كسائر الأمراض المستعصية كالسرطان وغيره فعليك أن تصبر وتحتسب الأجر والثواب عند الله عز وجل ولا تسلك هذه المسالك التي حرمها الله عز وجل .

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} [سورة الأعراف ١٣١/٧].

وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [سورة يـــس ١٩/٣٦] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر))(٢٣٠) أخرجاه. زاد مسلم: ((ولا نوء، ولا غول))(٢٣١).

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل)) قالوا: وما الفأل؟ قال: ((الكلمة الطيبة))(٢٣٢).

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك))(٢٣٣).

---

(٢٢٩) مسند أبي يعلى (١٢ / ٤٠٢) رقم ٨٢٦٠ . صحيح ابن حبان (٤ / ٢٣٣) رقم ١٣٩١ بلفظ : " إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام " . المستدرك (٤ / ٤٥٥) رقم ٨٢٦٠ . المعجم الكبير (٩ / ٣٤٥) رقم ٩٧١٧ .

(٢٣٠) البخاري (٥ / ٢١٥٨) رقم ٥٣٨٠ وفي مواضع أخرى . مسلم (٤ / ١٧٤٢) رقم ٢٢٢٠ .

(٢٣١) مسلم (٤ / ١٧٤٤) رقم ٢٢٢٢ ، ٢٢٢٠ .

(٢٣٢) البخاري (٥ / ٢١٧٨) رقم ٥٤٤٠. مسلم (٤ / ١٧٤٦) رقم ٢٢٢٤ .

(٢٣٣) سنن أبي داود (٢ / ٤١٢) رقم ٣٩١٩ . و البيهقي (٨ / ١٣٩) ~ ٠٠٠٠٠٠٠٠ (٢٩٤) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل))[٢٣٤] رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: ((من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك)) قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: ((أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك))[٢٣٥].

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: ((إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك))[٢٣٦].

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهُ}**مع قوله:** {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}.

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقوله من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

باب ما جاء في التطير

التطير: هو التشاؤم بمرئي كالطير أو مسموع ككلمة خاسر أو زمان كشهر صفر أو مكان كبقعة معينة يتشاءم بها .

---

(٢٣٤) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٣٨٩) رقم ٣٦٨٧ . سنن أبي داود (٢ / ٤٠٩) رقم ٣٩١٠. سنن الترمذي (٤ / ١٦٠) رقم ١٦١٤ وقال : " وهذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل وروى سليمان بن حرب يقول هذا الحديث وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل قال سليمان هذا عندي قول عبد الله بن مسعود وما منا " . سنن ابن ماجه (٢ / ١١٧٠) رقم ٣٥٣٨ . صحيح ابن حبان (١٣ / ٤٩١) رقم ٦١٢٢ .

(٢٣٥) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٢٢٠) رقم ٧٠٤٥ . مسند البزار (٦ / ٣٠٠) رقم ٢٣١٦ .

(٢٣٦) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢١٣) رقم ١٨٢٤ .

وهو مشتق من الطير ؛ لأن أكثر تشاؤم أهل الجاهلية بالطير بالسانح والبارح والنطيح والقعيد فكانوا يتشاءمون بهذه الطيور بحركاتها واتجاهاتها .

ومناسبته لكتاب التوحيد : أنه من الشرك الأصغر ؛ وذلك لأن المتطير قد تعلق بغير الله وضعف توكله به وفتح على نفسه باباً من أبواب الخوف ؛ لأن نفسه تترعج ويقلق إذا حصل ما يتشاءم به ويدخل عليه الخوف ويتسلط عليه الشيطان وهو كما تقدم من فعل أهل الجاهلية .

وكانوا يتشاءمون بالأنبياء قال تعالى : {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} [سورة الأعراف ١٣١/٧] {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهُ} [سورة الأعراف ١٣١/٧] ، أي : ما يصيبهم من الشر وما ينالهم من الأقدار والمصائب من عند الله أي من قبل الله ﷻ ، بسبب كفرهم ومعاصيهم .

وقيل وهو وجه آخر فالآية تحتمل التفسيرين : إنما شؤمهم الحقيقي يوم القيامة ، أي الشر الحقيقي الذي يلحقهم يوم القيامة والآية تفسر بالمعنيين جميعاً .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقوله** : {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [سورة يـــس ١٩/٣٦]

{قَالُواْ}: أي قال الأنبياء كما في سورة يس .

{طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}: أي شؤمكم ملازم لكم فهو معكم بسبب معاصيكم وكفركم فلسنا لكم بشؤم .

قوله : [عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) [٢٣٧] **أخرجاه]** :

في هذا الحديث المتفق عليه ينفي النبي ﷺ العدوى .

والعدوى : هي انتقال المرض من المريض إلى السليم .

والمنفي منها ما كان يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله ﷻ ، وأن المريض يعدي بطبعه فلا يضيفون ذلك إلى قدر الله ﷻ فيقولون أعدى فلان فلاناً ، أي بذاته فهو المؤثر لا أنه سبب من الأسباب وهذا ينافي ما يجب الإيمان به من القضاء والقدر .

وأما الأدلة الأخرى ففيها أن العدوى سبب من الأسباب :

فقد قال ﷺ كما في مسلم : ((**لا يُورد مُمرض على مُصح**)) [٢٣٨] .

---

(٢٣٧) تقدم .

(٢٣٨) البخاري (٥ / ٢١٧٧) رقم ٥٤٣٧ . مسلم (٤ / ١٧٤٣) رقم٢٢٢١ .

وقال كما في البخاري : ((**فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد**))[٢٣٩] .

وقال له ﷺ أعرابي : يا رسول الله : فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ، فقال ﷺ ((**فمن أعدى الأول**))[٢٤٠] .

فهذه الأدلة تدل على أن المنفي هو ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أنها مؤثرة بطبعها وبذاتها لا أنها سبب من الأسباب .

فإذا آمن العبد أن العدوى سبب من الأسباب التي يجريها الله ﷻ في هذا الكون وأنها بقضاء الله وقدره ليست خارجة عن فعل الله وعن قضائه وقدره ، فإن هذا ليس بمنهي عنه ، بل هذا جائز .

فإن قيل : هل يجوز للعبد أن يقارب ويباشر شيئاً من ذلك توكلاً عليه واعتماداً عليه ؟

فالجواب : أنه قد يقال بجواز هذا ، إذا كان فيه مصلحة عامة أو خاصة وإلا فلا ، لما فيه من تعريض النفس للهلكة ، لكن إن كان فيه مصلحة عامة أو خاصة فقد قال بعض أهل العلم بجوازه كصاحب تيسير العزيز الحميد وطائفة من أهل العلم ، قالوا : إذا قوي توكل العبد وقويت نفسه وقوي إيمانه بالقضاء والقدر فباشر شيئاً من ذلك اعتماداً على الله ورجاءً ألا يصيبه الضرر فهذا جائز لاسيما إن كان فيه مصلحة عامة أو خاصة .

مصلحة عامة : كما لو كان سبباً في إسلام جماعة من الناس أو في فتح حصن أو غير ذلك .

والمصلحة الخاصة : كما لو كان مريضاً وليس هناك من يطببه أو يُمرِّضه فيقرب منه بعض الناس محتسباً ثوابه عند الله لحاجة هذا المريض .

وفي سنن الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال لمجذوم وقد وضع يده في الإناء ، قال : ((**كُل بسم الله ، ثقة بالله ، وتوكلاً عليه**))[٢٤١] وإسناده ضعيف ، وقد صح موقوفاً على عمر رضي الله عنه كما في مصنف عبدالرزاق بسند صحيح[٢٤٢] .

---

(٢٣٩) رواه البخاري مسندا في صحيحه(٥ / ٢١٥٨) (٩٧٢). (٥٣٨٠)

(٢٤٠) البخاري (٥ / ٢١٦١) رقم ٥٣٨٧ وفي مواضع أخرى . مسلم (٤ / ١٧٤٢) رقم ٢٢٢٠ .

(٢٤١) سنن الترمذي (٤ / ٢٦٦) رقم ١٨١٧ . صحيح ابن حبان (١٣ / ٤٨٨) رقم ٦١٢٠ . المستدرك (٤ / ١٥٢) ٧١٩٦ وصححه ووافقه الذهبي . وهو في سنن أبي داود وابن ماجه دون قوله " بسم الله "

(٢٤٢) مصنف عبد الرزاق (١١ / ٢٠٥) رقم ٢٠٣٣٣.

وكذلك ورد عن ابنه عبد الله وسلمان رضي الله عنهم كما في ابن أبي شيبة[٢٤٣] ، وورد عن خالد بن الوليد كما في " فضائل الصحابة " للإمام أحمد ، وقد ذكر هذه القصة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما امتنعت بعض الحصون عن الفتح حتى يشرب خالد رضي الله عنه السم ، فشربه رضي الله عنه فلم يضره[٢٤٤] ، فهنا فيه مصلحة عامة .

(**ولا طيرة**) : النفي هنا أبلغ من النهي ؛ لأنه نفي لأثرها وفيه بطلانها ونفي تأثيرها فيكون هذا أعظم وأبلغ من النهي .

(**ولا هامة**) : وهي طير يتشاءم به أهل الجاهلية ، فإذا نزل على الدار تشاءموا بنزوله .

(**ولا صفر**) : الصفر من أهل العلم من قال : هو داء يصيب البطن يعتقد أهل الجاهلية أنه يصيب البطن سواء بطن الآدمي أو بطن الماشية وأنه يؤثر بذاته .

ومن أهل العلم من قال وهو **أصح** : أنه الشهر المعروف وأن هذا من التشاؤم بالأزمان ، فكان أهل الجاهلية يتشاءمون بهذا الشهر وهذا هو الأشبه كما قال ابن رجب رحمه الله تعالى .

ومن أهل العلم من قال : إنه شهر صفر لكنه ليس من باب التشاؤم وإنما من باب النسيء وأن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون تحريم بعض الأشهر الحرم ، أي يؤخرون تحريم شهر محرم إلى صفر ، فيؤخرون تحريم القتال إلى شهر صفر .

والأظهر ما تقدم وأنه من باب التشاؤم كما يدل عليه السياق ، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون ببعض الأشهر كصفر هنا ، ويتشاءمون ببعض الأعمال في بعض الشهور كالنكاح في شهر شوال

قوله : [زاد مسلم : ((ولا نوء ، ولا غول))[٢٤٥]] :

(**نوء**) : واحد الأنواء وهي منازل القمر وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في باب التنجيم .

(**ولا غُول**) الغول : هي من الجن تتصور وتتشكل لاسيما إذا استوحش الإنسان ، فإنها تتشكل وتتصور له لاسيما في الطرق ، فتضله عن الطريق .

فنفى النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون مؤثرة ضارة بذاتها لكنها سبب من الأسباب .

---

(٢٤٣) مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ١٤١) رقم ٢٤٥٣٣ :" أن سلمان كان يصنع الطعام من كسبه فيدعو المجذومين فيأكل معهم " . ورقم ٢٤٥٣٤ عن رجل أنه رأى بن عمر يأكل مع مجذوم فجعل يضع يده موضع يد المجذوم .

(٢٤٤) فضائل الصحابة لعبد الله بن لإمام أحمد بن حنبل (جزء ٢ / ٨١٥) رقم ١٤٧٨.

(٢٤٥) تقدم .

ويدل على إثباتها وأن المراد نفي تأثيرها ما رواه عبد الرزاق في مصنفه أن عمر ﷺ ذكرت عنده الغيلان فقال ﷺ : ((**إنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له ، ولكن فيهم سحرة من سحرتكم فإذا رأيتم من ذلك شيئا فأذنوا**) (**٢٤٦**) .

قوله : (إنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له ، ولكن فيهم سحرة من سحرتكم) : يدل هذا على أنه مجرد تصور ، ولا يمكن أن يبقوا على هذه الصورة ، فإذا تصور الجان على صورة إنسان فإنه لا يمكن أن يبقى على هذه الصورة بحيث يعيش بين البشر على هذه الصورة وإنما يكون هذا على مدة يسيرة ، أي يتصور أمامه ثم تزول هذه الصورة ، فلا تبقى زمناً فيكون كالسحر ، ولذا قال : ((ولكن فيهم سحرة من سحرتكم)) فيكون هذا من سحر التخييل

وفيه أن من رأى شيئاً من ذلك فإنه يؤذن ، أي يبادر هذه الصورة التي تظهر أمامه بالأذان .

وفيه أنه ليس شيء يتغير عن خلقته ، ولذا فإن السحرة الذين يحولون بعض الأوراق إلى نقود لا تبقى إلا زمناً يسيراً جداً ؛ لأنها لو بقيت لترتب على ذلك فساد معايش الناس .

قوله : [ولهما عن أنس قال ... ((الكلمة الطيبة)) [٢٤٧]] :

الفأل كما قال ﷺ الكلمة الطيبة .

والفأل فيه بشارة وفيه ملائمة للنفس ، فإذا تفاءل الإنسان أي توقع الخير وكان عنده رجاء ولو كان بما ليس سبباً للرجاء ، فإن النفس تنشرح لذلك وتقوى .

مثال ذلك : رجل يريد أن يسافر للتجارة وبينما هو يجهز أغراض سفره سمع جاره ينادي ابنه، يقول : يا رابح أو يقول : يا رباح ، أو يقول : يا راشد ، فوقعت هذه الكلمة في أذنه ، فانشرح صدره وقويت نفسه لهذا السفر .

وقد روى الإمام الترمذي والحديث صحيح أن النبي ﷺ : ((**كان إذا أراد حاجة يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد**)) [٢٤٨] هذا الفأل فيه توقع للخير وفيه بشارة للنفس وفيه ملائمة للفطرة؛ لأن النفس ميالة بطبعها إلى ما يلائمها فهذا هو الفأل وهذا جائز لا حرج فيه .

---

(٢٤٦) مصنف عبد الرزاق (٥ / ١٦٢) رقم ٩٢٤٩.

(٢٤٧) تقدم .

(٢٤٨) سنن الترمذي (٤ / ١٦١) رقم ١٦١٦وقال : "هذا حديث حسن غريب صحيح " .

لكن إن كان هذا الفأل هو الذي يمضيه ، فلولا هذا الفأل لم يمضِ وقد تناسى التوكل على الله فهذا من الطيرة المحرمة ، فلو كان لم يمضِ إلا لسماعه كلمة " يا نجيح " ، " يا راشد " ولولا هذه الكلمة لم يمضِ فإن هذا لا يجوز وهذا من الطيرة المحرمة .

مسألة : ثبت في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال : ((**الشؤم في ثلاث المرأة والدابة والدار**)) (٢٤٩) .

وقال في رواية لهما : ((**إن كان الشؤم ففي ثلاث**)) (٢٥٠) ثم ذكرها ﷺ .

ورواية التعليق بالشرط ((**إن كان الشؤم**)) لا تنافي رواية الجزم ((**الشؤم في ثلاث**)) فهذه الثلاث قد يكون فيها شؤم ، فإن غاية ما يدل عليه هذا الحديث: أن هناك أعياناً يكون في مقاربتها وملابستها شؤم وشر ، فبعض الأعيان فيها شؤم لمن باشرها ، وبعض الأعيان مباركة لا يلحق من قاربها شر من قبلها ، لكن قد يلحقه شر من جهة أخرى ، كالأب يرزق الولد فيرى الخير من وجهه ، أو يرزق الولد ويرى الشر من وجهه .

فهذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ وهي الدار والدابة والمرأة قد يكون من أعيانها ما فيه شؤم لمن قاربها ولابسها كفلانة أو هذه الدابة المعينة أو هذه الدار أو هذه البقعة من الأرض ،

ومعلوم أن الإنسان بفطرته يستثقل أن يأتيه الشر في شيء فيبقى معه ولا يزال يقاربه مع أنه قد لحقه الشر في مقارنته وإن لم يلحقه منه .

فلو اشترى رجل سيارة فحصلت له مصائب وحوادث متكررة فيحصل في نفسه تشاؤم ويستثقل بقاءها معه .

ولو سكن داراً فمات بعض أولاده وخسر في تجارته أو فصل من وظيفته فإنه يتشاءم ويستثقل البقاء في هذا البيت ، ورجل آخر يقول : أنا لما تزوجت هذه المرأة حصل لي شيء كثير من الأذى .

فهذا يثقل ويشق عليه إمساكها مع كراهيته لها .

ولذا فالنبي ﷺ كما في سنن أبي داود لما قال له رجل : يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا وكثير فيها أموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقلَّ فيها عددنا وقلَّت فيها أموالنا ، فقال رسول الله ﷺ : ((**ذروها ذَمِيمَةً**)) (٢٥١) .

---

(٢٤٩) البخاري (٣ / ١٠٤٩) رقم ٢٧٠٣ وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (٤ / ١٧٤٦) رقم ٢٢٢٥ .

(٢٥٠) البخاري (٣ / ١٠٥٠) رقم ٢٧٠٤ . مسلم (٢٢٢٦)

(٢٥١) سنن أبي داود (٢ / ٤١٣) رقم ٣٩٢٤ . الأدب المفرد (١ / ٣١٦) رقم ٩١٨ قال ابن حجر في الفتح (٦ / ٦٢) : " وله شاهد من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد أحد كبار التابعين " .

فهذا الحديث يدل على أنه لا مانع من مثل هذا التشاؤم ؛ لأنه يثقل على العبد أن يبقى ملابساً مقارباً ساكناً لما يلحقه الشر فيه .

لكن ليس المراد أن الرجل إذا وجد شيئاً من المصائب قد لحقته أنه يتشاءم بسكن أو زوج أو دابة ، لكن إن لم يقع في نفسه إلا هذا وكره ملابسته ومقاربته فإنه لا ينهى عن مفارقته .

هذا هو معنى الحديث كما قرر ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم .

قوله : [ولأبي داود بسند صحيح ... إلا بك)) [٢٥٢] **]** :

(**عن عقبة بن عامر**) : الصواب عن عروة بن عامر .

(**فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم ....**) : هذا يقوله من رأى شيئاً يكرهه ليدفع عن نفسه ما يقع فيها ؛ لأن النفس قد يقع فيها شيء من التشاؤم ، فيدفع ذلك بما ورد في هذا الحديث .

وهذا الحديث كما قال الإمام سنده صحيح وكذا قال أبو داود .

ولكن عروة بن عامر مختلف في صحبته ، فأثبت صحبته غير واحد من الحفاظ كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، وشك بعضهم ، قال الحافظ رحمه الله : (وروايته عن بعض الصحابة لا تدل على أنه تابعي) لكن الحديث مستقيم لا نكارة فيه ، والقول بأنه صحابي هو ظاهر كلام أبي داود وابن السني .

قوله : [وله من حديث ابن مسعود ... قول ابن مسعود] :

(**الطيرة شرك ، الطيرة شرك**) : لأنها تدل على ضعف التوكل ؛ ولأنها تملأ القلب خوفاً وقلقاً ؛ ولأنها كذلك من فعل أهل الجاهلية .

(**وما منا إلا**) : أي وما منا إلا من يقع في قلبه شيء من ذلك : (**ولكن الله يذهبه بالتوكل**) .

وقد قال ﷺ كما في الصحيحين : ((**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**)) [٢٥٣] .

فما يقع في القلب من التشاؤم إذا لم يعمل صاحبه بمقتضاه فيصده أو يمضيه فإنه لا حرج عليه فيه فقد تجاوز الله عن هذه الأمة : (**ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**) .

---

(٢٥٢) تقدم .

(٢٥٣) البخاري (٥ / ٢٠٢٠) رقم ٤٩٦٨ ، ٦٢٨٧ . مسلم (١ / ١١٦) رقم ١٢٧ .

وهذه الجملة : (**وما منا إلا**) مدرجة من كلام ابن مسعود رضي الله عنه وليست من قول النبي ﷺ كما قرر هذا غير واحد من الحفاظ ، كالبخاري والترمذي وابن القيم .

قوله : [ولأحمد من حديث ابن عمر ... غيرك)) (٢٥٤) **]** :

(**اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك**) فما يأتي العبد من شر فهو بقدر الله عز وجل ، وإن كان الشر ليس إلى الله ، أي لا ينسب إلى الله سبحانه وتعالى بأن يكون من أفعال الله ما هو شر ، لكنه من مفعولاته ، فهو بالنسبة إلى الله خير محض وأما بالنسبة إلى من وقع عليه الأمر فهو شر .

مثال ذلك : عندما ما يقتل السلطان الزنديق هل هو شر أم خير ؟

هو بالنسبة إلى فعل السلطان خير لما فيه من المصالح وبالنسبة إلى هذا المقتول شر .

فالشر في مفعولاته سبحانه وتعالى لا في أفعاله كما هو مقرر في باب القضاء والقدر .

والحديث من حديث ابن لهيعة وقد روى عنه هذا الحديث أحد العبادلة وهو عبدالله ابن وهب فعلى ذلك الحديث لا بأس به عند طائفة من أهل الحديث .

قوله: [وله من حديث الفضل بن العباس : ((إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)) (٢٥٥) **]**:

(له) : لأحمد .

(**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**) : هذا هو ضابط الطيرة ما أمضاك أو ردك .

مثال : خرج رجل لسفر فرأى في الطريق حادث سيارة فرجع تشاؤماً فهذه طيرة .

وقال المصنف رحمه الله في غير هذا الكتاب :هذا الحديث فيه انقطاع، وهو كما قال ، فإن الحديث فيه انقطاع بين الراوي له وهو مسلمة الجهني وبين الفضل بن عباس رضي الله عنه فعلى ذلك نقول الحديث إسناده ضعيف منقطع لكنه معناه صحيح دلت عليه الأدلة المتقدمة .

والفأل إذا كان هو الذي يمضي فهو ضعفٌ في التوكل وتعلق بغير الله سبحانه وتعالى كما تقدم .

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: ((خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)) (٢٥٦) **. أ.هـــ.**

---

(٢٥٤) تقدم .

(٢٥٥) تقدم .

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر)) [٢٥٧] رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

باب : ما جاء في التنجيم

التنجيم على ثلاثة أنواع :

الأول : وهو كفر بالإجماع أن يعتقد أن النجوم فاعلة مختارة وأن الحوادث منفعلة عنها ناتجة عنها وهذا هو ما كان عليه الصابئة قوم إبراهيم عليه السلام ولذا كانوا يسجدون للشمس والقمر والنجوم ولها عندهم تسابيح ذكروها في كتبهم ويضعون لهذه النجوم هياكل أي تماثيل يعبدونها من دون الله عز وجل وهذا كفر أكبر بالإجماع قال عز وجل : {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ} [سورة الصافات ٣٧/٨٨] ليوهمهم أنه اعتمد على النجوم وهذا من باب التورية وفي المعاريض مندوحة عن الكذب .

الثاني : وهو الاستدلال بمسير النجوم على الحوادث الأرضية ، فيستدل بمسير النجوم بطلوعها وغيابها واجتماعها وافتراقها وغير ذلك يستدل بهذا على علم الغيب .

فالمنجم يتكلم في الغيب عن طريق النجوم ، والكاهن يقضي بالغيب عن طريق الجن .

والاستدلال بمسير الكواكب على الحوادث الأرضية يسمى علم التأثير فيقول : إذا سافر في نجم كذا ربح ، وإذا سافر في نجم كذا خسر ، وإذا خرج النجم الفلاني مات عظيم أو ولد عظيم ونحو ذلك .

---

(٢٥٦) البخاري (٣ / ١١٦٨)

(٢٥٧) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٣٩٩) رقم ١٩٥٨٧. صحيح ابن حبان (١٢ / ١٦٥) رقم ٥٣٤٦ . المستدرك (٤ / ١٦٣) رقم ٧٢٣٤ وصححه ووافقه الذهبي .

ومن ذلك ما يذكر في المجلات والجرائد من الكلام في الأبراج ، وهذا الموضوع اختلف فيه المتأخرون ، وينبغي ــ كما قال صاحب تيسير العزيزالحميد ــ القطع بكفر فاعله ؛ وذلك لأنه ادعاء للغيب الذي استأثر الله بعلمه بما لا يدل عليه .

والذي يقرأ هذه البروج فله حكم الذهاب إلى الكهان ، وقد تقدم تفصيل ذلك وأنه قد يكون كفراً أكبر ، وقد يكون كفراً أصغر على ما تقدم تقريره ، فإن كان الذي يسأل المنجمين يعتقد أنهم يعلمون الغيب فهذا كفر أكبر وإن كان لا يعتقد أنهم يعلمون الغيب فهو كفر أصغر .

وأما المنجمون أنفسهم فهم كفار كما تقدم في الكهان ؛ لأنهم يدعون علم الغيب .

وأما القسم الثالث : وهو ما يسمى بعلم التسيير فهذا النوع جائز عند الجمهور كما ذكر ذلك ابن رجب رحمه الله تعالى وقد أجازه أحمد وإسحاق كما ذكر ذلك المؤلف رحمه الله .

وعلم التسيير لا يعتقد به أن النجوم فاعلة مختارة ، ولا أنها طريق للكلام بالغيب ، لكن يستدل بها على الأوقات أو الجهات ، كجهة القبلة أو وقت الزرع بناءً على جريان العادة فقد جرت العادة على أنه إذا طلع النجم الفلاني دخل الشتاء فهي سنَّة كونية ، وإذا طلع النجم الفلاني دخل الصيف وإذا طلع النجم الفلاني فهو وقت البذر ، وإذا طلع النجم كذا فهو وقت الغرس .

قال المؤلف رحمه الله : **[قال البخاري في صحيحه قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به** (٢٥٨)**، انتهى .**

وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق] :

(**علامات**) : أي دلائل على قدرة الله عز وجل يهتدون بها فيعرفون الجهات والفصول فبها يهتدي الناس في ظلمات البر والبحر .

وقد منع بعض العلماء من تعلم منازل القمر سداً للذرائع ، والصواب الجواز وهو قول الجمهور كما قال هذا ابن رجب رحمه الله تعالى .

قوله : [وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ومصدق بالسحر)) (٢٥٩) **رواه أحمد وابن حبان في صحيحه] :**

---

(٢٥٨) تقدم .

والحديث لا بأس به ، فله شاهد في مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وإلا فإن في إسناده ضعفاً ، وقد صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي .

وهذا الحديث كره السلف تأويله ، كما كرهوا تأويل نظائره للزجر والترهيب ، فيقولون يُمَر كما جاء ولا يؤول ، مع اعتقاد أن ما ذكر لا ينقل عن الملة ، فمد من الخمر لا يخرج بإدمان الخمر عن الملة ، وقاطع الرحم كذلك ، والمصدق بالسحر ، كذلك ، إن كان يعتقد أنهم لا يعلمون الغيب فهذا الحديث يمر كما جاء مع التنبيه على أن ذلك لا ينقل عن الملة لئلا يعتقد العامة اعتقاد الخوارج .

والتنجيم من السحر ولذا قال ﷺ في حديث سابق : ((**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**))[٢٦٠] فالتنجيم من السحر ؛ لأنه قد خفي ولطف سببه فكان كالسحر .

وورد عند ابن عبد البر في جامعه والحديث حسن أن النبي ﷺ قال : ((**أخوف ما أخاف على أمتي حيف الأئمة وتكذيب بالقدر وتصديق بالنجوم**))[٢٦١] .

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [سورة الواقعة ٨٢/٥٦].

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهن : الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)) وقال: ((النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب))[٢٦٢]**. رواه مسلم.**

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ((قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر

(٢٥٩) تقدم .

(٢٦٠) تقدم .

(٢٦١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر – (٢ / ٤٩٦) رقم ٩٤٠.ونحوه عند البزار (٢ / ١٤٥) رقم ٥٠٧ .

(٢٦٢) مسلم (٢ / ٦٤٤) رقم ٩٣٤.

بي مؤمن بالكوكب)) (٢٦٣). **ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: " لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات:** {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [سورة الواقعة ٥٦/٧٥] **إلى قوله:** {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [سورة الواقعة ٥٦/٨٢] " (٢٦٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: (لقد صدق نوء كذا وكذا).

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله: (أتدرون ماذا قال ربكم؟).

العاشرة: وعيد النائحة.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الاستسقاء بالأنواء أي نسبة نزول المطر إلى الأنواء أي النجوم من ناء إذا نهض ؛ لأنه إذا سقط نجم في المغرب ناء أي ظهر ونهض نجم في المشرق فسميت بالأنواء .

الاستسقاء بالنجوم أي نسبة السقيا يعني نسبة نزول المطر إلى النجوم لجريان العادة بذلك مع اعتقاد أن المُنزِلَ للمطر هو الله ﷻ لكنه يعتقد أنها سبب كأن يقول : مطرنا بسُهيل ، فهذه العبارة فيها محذوران :

المحذور الأول : أن في ذلك نسبة للنعمة إلى غير مسديها المتفضل بها ، ولا شك أن إضافة النعمة إلى غير المنعم بها كفر للنعمة وهو من الشرك في الألفاظ .

كقوله : لولا فلان كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، والواجب أن يقول : مطرنا بفضل الله ورحمته .

المحذور الثاني : أنه جعل ما ليس سبباً سبباً ، فليس طلوع هذا النجم أو ذاك سبباً في نزول المطر .

---

(٢٦٣) البخاري (١ / ٢٩٠) رقم ٨١٠ وفي مواضع أخرى . مسلم (١ / ٨٣) رقم ٧١ .

(٢٦٤) مسلم (١ / ٨٤) رقم ٧٣ . ولم يخرجه البخاري .

وفي حديث أن النبي ﷺ قال :((**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**))[٢٦٥] أي شاكر للنعمة وكافر بها .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ في مسلم : ((**ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين**))[٢٦٦] .

إذن : قول الناس عند نزول المطر : " مطرنا بسهيل " هذا من الشرك الأصغر .

لكن لو كان في غير مقام الشكر ، وإنما كان ذلك بعد سؤال عن وقت المطر ؟ فقال : " مطرنا بسهيل " أي في وقت طلوعه ، فجعل النجم ظرفاً فهذا لا بأس به ولا حرج ، ولكن إن كان قوله : مطرنا بسهيل في مقام الشكر فإن هذا من إضافة النعم إلى غير المنعم بها سبحانه وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله : [**وقول الله** عز وجل : {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [سورة الواقعة ٨٢/٥٦]] :

{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ} : الذي هو نزول المطر .

{أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}: فتنسبون السقيا إلى نوء كذا وكذا ، هذا هو أحد التفسيرين وهو الموافق للترجمة .

والتفسير الثاني – وكلا التفسيرين صحيح – :

{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ} : الذي هو نزول القرآن .

{أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}: أنكم تكذبون به وتنكرونه وتجحدون أنه مترل من الله سبحانه وتعالى .

قوله : [وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((أربع في أُمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعنُ في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة ، وقال : النائحةُ إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب))[٢٦٧] رواه مسلم] :

(**الجاهلية**) : هي ما كان قبل بعثة النبي ﷺ ، نسبة إلى الجهل .

ولا تكون بعد بعثة النبي ﷺ جاهلية مطلقة بل جاهلية مقيدة ، قد تكون في بعض البلدان ، لكن لابد أن يكون في هذه الأمة من يبين الحق ويظهره قال ﷺ : ((**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**))[٢٦٨] .

ويستثنى من ذلك ما يكون قبل قيام الساعة .

---

(٢٦٥) مسلم (١ / ٨٤) رقم ٧٣ .

(٢٦٦) مسلم (١ / ٨٤) رقم ٧٢ .

(٢٦٧) تقدم .

(٢٦٨) تقدم .

(**الفخر بالأحساب**) : الأحساب جمع حَسَب ، وهو ما يعده الإنسان لنفسه ولآبائه من المناقب من كرم أو فروسية أو فصاحة أو غير ذلك ، والفخر بالأحساب : هو التعاظم بهذه المناقب على غيره فيعدها على سبيل المباهاة .

(**والطعن في الأنساب**) : هو أن يقدح في أنساب الناس وأن يعيبها ، والأصل – كما قال الإمام مالك رحمه الله – أن الناس مؤتمنون على أنساهم ، فمن ادعى نسباً اؤتمن عليه ولا يطعن في هذا النسب ولا يشكك فيما يقول كمن ينتسب إلى الأشراف ، لكنه إن كان يترتب على ذلك حكم شرعي كالإرث فلابد من إثباته .

(**والاستسقاء بالنجوم**) : أي نسبة السقيا إلى النجوم لا طلب إنزال المطر من النجوم ؛ لأن هذا كفر أكبر والنبي ﷺ قال : ((**أربع في أمتي**)) فهم من أمته فلو كانوا يسألون النجوم السقيا لم يكونوا من أمته ؛ لأن هذا كفر أكبر .

(**والنياحة**) : وهي رفع الصوت بالمصيبة بالندب على الميت وهذا فيه تسخط على الأقدار ومنافاة للصبر الواجب الذي أمر به .

(**السربال**) : القميص .

(**القطران**) : النحاس المذاب .

(**درع من جرب**) : هو ما يغطى به الثوب كالملحفة ، والجرب الداء المعروف .

قوله : [ولهما عن زيد بن خالد ﷺ قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم ؟)) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))[٢٦٩]] :

(**إثر سماء**) : يعني إثر مطر.

(**مؤمن**) : أي شاكر .

---

(٢٦٩) تقدم .

(**كافر**) : أي بالنعمة كما تقدم في حديث ابن عباس رضي الله عنه .

قوله : [ولهما من حديث ابن عباس معناه] :

في رواية مسلم : ((**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**))[٢٧٠] وفي مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : ((**ما أنعمت على عبادي بنعمة إلا كان فريق منهم بها كافرين**))[٢٧١] .

قوله : [وفيه قال بعضهم : (لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآية : {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [سورة الواقعة ٥٦/٧٥] إلى قوله : {تُكَذِّبُونَ} [سورة المؤمنون ٢٣/١٠٥] **]** .

باب قول الله تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [سورة البقرة ٢/١٦٥]**الآية.**

وقوله: :{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [سورة التوبة ٩/٢٤]**الآية.**

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[٢٧٢] أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[٢٧٣] ، وفي رواية: ((لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ..))[٢٧٤] إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا))[٢٧٥] رواه بن جرير،

---

(٢٧٠) تقدم .

(٢٧١) تقدم .

(٢٧٢) البخاري (١ / ١٤) رقم ١٥ . مسلم (١ / ٦٧) رقم ٤٤ .

(٢٧٣) البخاري (١ / ١٤) رقم ١٦ وفي مواضع أخرى . مسلم (١ / ٦٦) رقم ٤٣ .

(٢٧٤) البخاري (٥ / ٢٢٤٦) رقم ٥٦٩٤ .

(٢٧٥) الزهد لابن المبارك (١ / ١٢٠) رقم ٣٥٣ موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما . وفي حلية الأولياء (١ / ٣١٢) مرفوعا عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال ابن عباس في قوله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} **[سورة البقرة ٢/١٦٦]قال:** ((**المودة**)) [٢٧٦].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

باب قول الله ﷻ : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [سورة البقرة ٢/١٦٥]

{أَندَاداً}: أي نظراء في المحبة والتعظيم ، أي محبة العبودية ، وإن كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بنظراء لله سبحانه وتعالى في الربوبية ، فلا رب سواه ، لكنهم يتخذونهم أنداداً من دون الله ﷻ في العبادة .

{يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}: أي يحب هؤلاء المشركون أندادهم كحب الله سبحانه وتعالى .

فعندهم محبة مشتركة يحبون الله ويحبون آلهتهم ، كما قال ﷻ عن الكفار : {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ = ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة الشعراء ٢٦/٩٧-٩٨] .

---

(٢٧٦) تفسير الطبري (٢ / ٧٤) .

هذا هو قول أكثر المفسرين ، وهو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن قيم الجوزية .

والقول الثاني للمفسرين : أنهم يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله ﷻ .

والوجه الأول **أصح** ، وذلك لما تقدم من قوله ﷻ عن هؤلاء المشركين : {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ = ٩٧ إذ نسويكم برب العالمين} [سورة الشعراء ٢٦/٩٧-٩٧] .

ثم قال : {وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ}: لأن محبتهم خالصة لله بخلاف محبة المشركين فهي مشتركة .

ومحبة الله ﷻ هي أصل الإسلام ، فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص ، فبقدر ما يكون في قلبك من محبة الله يكمل إيمانك ، وبقدر ما يكون النقص في المحبة يكون النقص في الدين ، فهي أصل الدين .

والمراد بالمحبة هنا والتي هي أصل الدين محبة العبودية ، وهي المحبة التي تثمر الذل والخضوع وكمال الطاعة للمحبوب المعبود ﷻ .

ولذا فإن من أسماء الحب التعبد ، ومن أسمائه التتيم ، يقال : تيم الله ، أي عبد الله ، ويقال : تيّمه الحب إذا عبّده وذلّله ووطّأه .

وهذه المحبة التي هي محبة العبودية من صرفها إلى غير الله ﷻ فهو مشرك كافر بالله .

قال المؤلف رحمه الله : [**وقوله** : {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ = ٢٤} [سورة التوبة ٩/٢٤]] :

فإن آثرتم هذه المحبوبات على محبة الله ﷻ أي آثرتم محبة الآباء أو الأبناء أو الأزواج أو العشيرة أو التجارة التي تخشون كسادها — أي عدم نفاقها — أو المساكن التي ترضونها أو الأموال التي اكتسبتموها إن آثرتم هذه المحبوبات على محبة الله ورسوله ، ومحبة الأعمال الصالحة التي منها الجهاد في سبيل الله فأنتم فاسقون ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمر من عنده ، أي بعقاب من عنده .

{فَتَرَبَّصُواْ}: أي انتظروا .

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}: أي بعقاب من عنده {وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

وفي قوله : {أَحَبَّ} ما يدل على أن حبها مع عدم تقديم هذه المحبة على محبة الله ليس فيه محذور ، فإن المحذور في كونها أحب إليه من الله ورسوله ﷺ وجهاد في سبيله .

والمحبة الطبيعية ، ومحبة الإجلال ، ومحبة الشفقة ، ومحبة الألفة ، هذه الأنواع التي قد جبل عليها العبد لا محذور فيها في الأصل ، فإن أعانت على ما يحبه كانت من العبادات ، وإن صدته عما يحبه الله وتوسل بها إلى ما لا يحب كانت من المحرمات .

مثال ذلك : إن كانت محبة المرأة تعينه على طاعة الله من حفظ الفرج وغض البصر وتحصيل النسل فإن ذلك يؤجر عليه العبد ، فهو من العبادات .

وإن صدت عما يحبه الله، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيله، وما أوجبه الله من واجبات إن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله كانت من المحرمات .

إذن : هذه المحبة الطبيعية التي هي كمحبة الجائع للطعام، أو العطشان للماء البارد ، هذه المحبة لا محذور فيها في الأصل ، فإن أعانت على ما يحبه الله فهي محبوبة إلى الله وإن صدت فهي مبغضة إلى الله .

وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ: ((**كان يحب العسل والحلوى**)) (٢٧٧) هذه محبة طبيعية.

محبة الإجلال : كمحبة الولد لوالده .

ومحبة الشفقة : كمحبة الوالد لولده .

ومحبة الإلفة : كالمحبة بين الزوجين ، والمحبة بين الصديقين ، أو من يشتركون في صناعة أو تجارة .

وقد ثبت في الصحيحين **أن** النبي ﷺ سأله عمرو بن العاص ﷺ فقال : من أحب الناس إليك؟ قال : ((**عائشة**)) ، قال : فمن الرجال ؟ قال : ((**أبوها**)) قال : ثم من ؟ قال : ((**عمر**)) قال : ثم من ؟ فذكر ﷺ رجالاً) (٢٧٨).

قوله : [عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) (٢٧٩) أخرجاه] :

---

(٢٧٧) البخاري (٥ / ٢٠١٧) رقم ٤٩٦٧. مسلم (٢ / ١١٠٠) رقم ١٤٧٤ .

(٢٧٨) البخاري (٣ / ١٣٣٩) رقم ٣٤٦٢ وفي مواضع أخرى . مسلم (٤ / ١٨٥٦) رقم ٢٣٨٤ .

(٢٧٩) تقدم .

(**لا يؤمن أحدكم**) : أي الإيمان الكامل الواجب ، وعلى ذلك فإن من آثر هذه المحبوبات على محبة الله ومحبة النبي ﷺ فإنه عاص آثم ناقص الإيمان .

(**من ولده ووالده والناس أجمعين**) : ومن ذلك نفسه ، ولذا قال عمر رضي الله عنه – كما في الصحيحين : " لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي ، فقال ﷺ : ((**والذي نفسي بيده ، حتى** – أي لا يكمل إيمانك حتى - **أكون أحب إليك من نفسك ، فقال : لأنت الآن يا رسول الله أحب إليَّ من نفسي**))[٢٨٠] .

إذن : لا يكمل إيمان العبد حتى يكون النبي ﷺ أحب إليه من ولده ووالده ونفسه والناس أجمعين .

قوله : [ولهما عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[٢٨١]] :

(**عنه**) : أي عن أنس رضي الله عنه .

(**حلاوة الإيمان**) : أي له لذة وبهجة وسرور في القلب وهذا يكون لمن كانت فيه هذه الخصال الثلاثة : أن يكون الله ورسوله أحب ... إلخ .

أن يكون الله أحب إليه مما سواهما : فتقدم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وتقدم اتباع الكتاب والسنة على محبوباتك وشهواتك وملذاتك .

(**وأن يحب المرء لا يحبه إلاَ لله**) : هذا فرع عن محبة الله ، فمحبة النبي ﷺ ، ومحبة من يحبه الله من المؤمنين ، فرع عن محبة الله سبحانه وتعالى .

(**وأن يكره أن يعود في الكفر**) : أيضاً يتفرع عن ذلك محبة الأعمال الصالحة ، وبغض الأعمال السيئة ، وأبغضها الكفر ، ولذا قال : (**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**) .

قوله : [وفي رواية ((لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ..))[٢٨٢] إلى آخره] :

---

(٢٨٠) تقدم .

(٢٨١) تقدم .

(٢٨٢) تقدم .

وهذه الرواية في البخاري .

قوله : [وعن ابن عباس قال : ((**من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صار عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ذلك لا يجدي على أهله شيئاً**))[٢٨٣] **رواه ابن جرير]** :

(**ولاية الله**) : بفتح الواو ، وهي المحبة والنصرة ، وأما الوِلاية بالكسر : فهي الإمارة ، أو القيام على اليتيم ونحوه .

وفي الصحيحين أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال : ((**ما أعددت لها ؟**)) فقال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال ﷺ : ((**المرء مع من أحب**)) .

قال أنس رضي الله عنه : فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا به فأنا أحب الله ورسوله ﷺ ،وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأرجو أن أكون معهم [٢٨٤].

(**رواه ابن جرير**) : هذا الأثر رواه ابن المبارك وفيه ليث بن أبي سليم ، وفيه ضعف .

وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال : ((**من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**))[٢٨٥]

قوله : [وقال ابن عباس في قوله : {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [سورة البقرة ١٦٦/٢] **قال :** ((**المودة**))[٢٨٦] **]** :

كما روى هذا عبد بن حميد [٢٨٧]وغيره .

(**الأسباب**) : جمع سبب ، وهو الحبل ، أي انقطعت بهم الأسباب التي توصلهم إلى النجاة ، كانوا يعتقدون أن الشفاعة تنجيهم من العذاب فتقطعت بهم تلك الأسباب التي منها الشفاعة ومنها محبة غير الله ، قال عز وجل : {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ} [سورة الزخرف ٦٧/٤٣] .

---

(٢٨٣) تقدم .

(٢٨٤) البخاري (٥ / ٢٢٨٣) رقم (٥٨١٩)وهذا لفظه، و مسلم (٢٠٣٤/٤) رقم ٢٦٤٠

(٢٨٥) ابو داود (٢ / ٦٣٢) رقم (٤٦٨١) .

(٢٨٦) تقدم .

(٢٨٧) شعب الإيمان (١ / ٢٢١) رقم ٢٠٧ . حلية الأولياء (٥ / ١٠٦) .

باب قول الله تعالى : {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران ١٧٥/٣].

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ} [سورة التوبة ١٨/٩] الآية ، وقوله : **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}** [سورة العنكبوت ١٠/٢٩] **الآية.**

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: ((إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)) [٢٨٨].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)) [٢٨٩] **رواه ابن حبان في صحيحه.**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

---

(٢٨٨) صحيح ابن حبان (١ / ٥١٠) رقم ٢٧٦ . وفي سنن الترمذي (٤ / ٦٠٩) : " من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس " .

باب قول الله تعالى : {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران ١٧٥/٣]

قال المؤلف رحمه الله : **[** {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ} [سورة التوبة ١٨/٩] وقوله : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [سورة العنكبوت ١٠/٢٩] **]** :

هذا الباب من التوحيد والخوف – كما قال الإمام أحمد رحمه الله – : عمل القلب .

وتتعبد لله ﷻ وتتأله له بالخوف منه وهو الذي يزجرك عن معاصيه .

والخوف من غير الله على ثلاثة أنواع :

١- النوع الأول : خوف السر وهو خوف القلوب سمي خوف السر ؛ لأنه خوف القلوب ، كأن يخاف أن يسلبه صاحب القبر ما عنده من نعمة أو أن يفسد عليه زرعه أو أن يفسد عليه حرثه ، فيذبح له وينذر من دون الله ﷻ كما يقع هذا من عباد الأضرحة يقول لهم سدنة تلك الأضرحة : إن لم تنذروا أو تذبحوا لأهل هذه الأضرحة من الأموات فإنكم تصابون في أولادكم أو تصابون في زروعكم أو تصابون في تجارتكم ، فهذا شرك أكبر ، قال الله ﷻ عن نبيه إبراهيم عليه السلام : {وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً} [سورة الأنعام ٨٠/٦] هذا الخوف شرك أكبر ، وهو شرك القلوب إذا صحبه اعتقاد أن صاحب هذا الضريح ينفع أو يضر إما استقلالاً أو أن الله ﷻ أعطاه ذلك كرامة له بولايته وصلاحه ومترلته عند الله ﷻ .

٢- والنوع الثاني : أن يترك شيئاً من فرائض الإسلام كالجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من الناس مع اعتقاده أهم لا ينفعون ولا يضرون وهذا شرك أصغر ليس بكفر بل هو معصية .

٣- والنوع الثالث : وهو الخوف الطبيعي كأن يخاف من عدو أو من لص أو من سبع أو من حية أو نحو ذلك ، لكن هذا الخوف قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً ، إن كان مع وجود أسبابه فإن هذا الخوف ليس بمذموم، بأن يأتي إلى مكان فيه لصوص فيحتاط ويخاف ويفعل الأسباب التي تقيه شر هؤلاء اللصوص، وإذا دخل مترله أقفل المترل وحصنه، فإن هذا ليس بمذموم كما قال الله ﷻ عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام : {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ} [سورة القصص ٢١/٢٨].

وأما إن لم يكن هناك سبب ، أو كان هناك سبب ضعيف ، فهو وهم وليس هناك ظن راجح ولا يقين وإنما مجرد أوهام ، فإن هذا مذموم وهذا من الجبن ، كأن يكون في مترل بعيد عن اللصوص أو السباع وهو مع ذلك خائف قلق مترعج فهذا مذموم وهو يدل على ضعف إيمانه بالقضاء والقدر .

[قوله ﷻ : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [سورة العنكبوت ٢٩/١٠] **]**:

يقول : آمنا بالله بلسانه لكن إذا أوذي في الله وامتحن جعل فتنة الناس أي جعل عذاب الناس وامتحان الناس وتخويفهم وتهديدهم كعذاب الله ففر منه بالكفر بالله ﷻ كما يفر من عذاب الله ﷻ بعبادته وطاعته.

قوله : [عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً : ((أن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره))[٢٩٠]] :

اليقين الإيمان بالله ، كما قال ابن مسعود ﷺ فيما رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح[٢٩١]، فعقائد الإيمان تستقر في القلب كما يستقر الماء في موضعه .

(**أن ترضي الناس بسخط الله**) : هذا يدل على ضعف اليقين ، إذا كان العبد يرضي الناس بسخط الله ﷻ فيقدم ما يرضيهم على ما يرضي الله ﷻ ويسخط الله ﷻ ليرضي الناس فهذا ضعيف اليقين .

(**وأن تحمدهم على رزق الله**) : فتضيف النعمة إليهم في الألفاظ لكونهم أسباباً وهذا شرك أصغر كما تقدم .

(**وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**) : إذا سألتهم فلم يعطوك و لم يكن إعطاؤهم لك واجباً عليهم وإنما هو تفضل ، ثم تذمهم وكأن الرزق بأيديهم وليس بيد الله ﷻ هذا أيضاً يدل على ضعف اليقين والإيمان .

(**إن رزق الله لا يجره حرص حريص**) : مهما حرصت ومهما سعيت في الأسباب فإن رزق الله لا يجره هذا الحرص ، هذا مجرد سبب من الأسباب ، والله ﷻ إن شاء حصل المسبَّب بسببه ، وإن شاء لم يحصل ، إن شاء الله قدر الرزق بهذا السبب الذي سعيت به، وإن شاء لم يقدره ﷻ .

(**ولا يرده كراهية كاره**) : لو اجتمع الناس على أن يزيلوك عن منصب أو عن وظيفة أو يحرموك من رزق أراد الله أن يرزقك إياه ، فإنهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً وفي الحديث : **((واعلم أن الأمة لو**

---

(٢٩٠) تقدم .

(٢٩١) المعجم الكبير (٩ / ١٠٤) رقم ٨٥٤٤ ولفظه : " اليقين الإيمان " .

اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)) [٢٩٢] .

والحديث – أعني حديث أبي سعيد – فيه عطية العوفي ومحمد بن مروان وهما ضعيفان ، فالحديث إسناده ضعيف ، لكن معناه صحيح .

قوله : [وعن عائشة – رضي الله عنها – : أن رسول الله ﷺ قال : ((من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس...)) [٢٩٣] **رواه ابن حبان في صحيحه]:**

(**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس**) : فيوضع له القبول في الأرض ، فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .

(**ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**) : وهذا من باب المعاقبة بنقيض القصد ، فلم يحصل له هذا المقصود ، بل انقلب الأمر عليه فكان له سخط الناس .

والحديث رواه ابن حبان في صحيحه ، ونحوه في الترمذي ، وهو حديث صحيح .

باب قول الله تعالى : {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران ١٧٣/٣].

وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنفال ٢/٨]**الآية وقوله** {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأنفال ٦٤/٨] **وقوله** {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق ٣/٦٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (({حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران ١٧٣/٣] **قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له:** {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران ١٧٣/٣])) [٢٩٤] **رواه البخاري والنسائي.**

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

---

(٢٩٢) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢٩٣) رقم ٢٦٦٩ . سنن الترمذي (٤ / ٦٦٧) رقم ٢٥١٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢٩٣) تقدم .

(٢٩٤) البخاري (٤ / ١٦٦٢) رقم ٤٢٨٧ . سنن النسائي الكبرى (٦ / ١٥٤) رقم ١٠٤٣٩ .

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الشدائد.

باب قول الله تعالى : {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة المائدة ٥/٢٣]

هذا الباب في التوكل على الله ﷻ وهو أصل جميع مقامات الإيمان والإحسان كما قال ابن القيم رحمه الله ، والتوكل على الله ﷻ من أعظم فرائض الدين وأجلها ولا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين كما قال ﷻ :

{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [سورة التوبة ٩/١٢٩] .

والتوكل تفعُّل من الوكالة – بفتح الواو أو كسرها – وهو إظهار العجز والاعتماد على الغير، فتقول توكلتُ على فلان عندما تُظهر عجزك وتعتمد عليه هذا هو معنى التوكل .

والتوكل في الشرع هو : تفويض الأمر إلى الله ﷻ في جلب ما ينفع ودفع ما يضر مع الثقة التامة به ﷻ .

والتوكل على غير الله لا يكون إلا شركاً ، إما أكبر أو أصغر ، فإذا توكل على الأموات والطواغيت في جلب ما ينفع ودفع ما يضر مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ من الرزق والحفظ والشفاعة كالذي يعتمد على أصحاب الأضرحة في جلب ما ينفع ودفع ما يضر فهو شرك أكبر .

وأما الشرك الأصغر : فهو التفات القلب إلى الأسباب مع نسيان المُسبِب ﷻ ، فإذا توكل على وظيفته أو على دكانه أو على أمير في دفع ما يضر أو جلب ما ينفع فإن هذا كله من الشرك الأصغر .

فصاحب الوظيفة مثلاً الذي يلتفت إليها وكأنها إذا انقطعت انقطع عنه الرزق فتجده يحابي ويسكت عما يجب عليه من الحق وفي قلبه أن ذلك لكونه قد يزول عنه هذا السبب من أسباب الرزق ، فهذا التفات إلى غير المُسَبب ﷻ وقد قال ﷺ : ((**من تعلق شيئاً وكل إليه**))[٢٩٥] .

(٢٩٥) تقدم تخريجه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه شرك والله يقول : {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [سورة الحـــج ٣١/٢٢] " [٢٩٦].

إذن التعلق بالأسباب والالتفات إليها ونسيان المسبِب مع إيمانه أن المسبِب هو الله لكن يغفل ويلتفت ويتعلق بالأسباب فهذا شرك أصغر .

والعبد إذا علم أن الأمر كله بيد الله وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه هو النافع الضار المعطي المانع فإنه لا يعتمد إلا عليه ﷻ ويثق به ﷻ غاية الثقة مع بذله جهده في الأسباب النافعة ولابد من بذل الجهد في الأسباب النافعة ؛ لأن ترك الأسباب عجز .

والتوكل على الله من أعظم أسباب الحصول على المطلوب فإن من توكل على الله ﷻ فإن الله ﷻ يجازيه بحصول مقصوده قال ﷻ : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق ٣/٦٥] وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال : ((**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا**)) [٢٩٧] .

ومن هنا يُعلَم أنه لا يجوز أن تقول : (توكلت على الله ثم عليك) ولا : (توكلت على الله وعليك) لأن لفظ التوكل: اعتماد على الغير مع إظهار العجز ، وهو بمعنى الحسب ، والحسب لا يكون إلا لله ولذا قال ﷻ : {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} [سورة التوبة ٥٩/٩] فخص الحسب به وحده فالحسب لا يكون إلا لله ﷻ وهو التوكل ، وهذا ما قرره غير واحد من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن إبراهيم رحم الله الجميع .

فإن قيل ما هو النوع الجائز ؟

فالجواب أن النوع الجائز : هو الوكالة وهي أن تنيب الإنسان فيما يقدر عليه ، لكن لا تتوكل إلا على الله فأنت وإن وكلته بعملك ؛ لأنه سبب فلا تتوكل عليه ولا تلتفت بقلبك إليه وتنسى الله ﷻ .

قال المؤلف رحمه الله : **[** {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة المائدة ٢٣/٥] **]** :

([٢٩٦]) مجموع الفتاوى (٢٥٧/١٠)

(٢٩٧) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٣٠) رقم ٢٠٥ سنن الترمذي (٤ / ٥٧٣) رقم ٢٣٤٤ وقال : " حديث حسن صحيح " . سنن ابن ماجه (٢ / ١٣٩٤) رقم ٤١٦٤ ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذه الآية تدل هذا على أن التوكل شرط في الإيمان ، فلا يصح الإيمان إلا بالتوكل على الله ﷻ فمن لا توكل له لا إيمان له .

وهو أيضاً شرط في الإسلام ولذا قال ﷻ في قصة موسى ﷺ : {إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [سورة يونس ١٠/٨٤] ومفهوم هاتين الآيتين أن من لا توكل له لا إيمان له ولا إسلام له ،وإن كان التوكل ضعيفاً فهذا يدل على ضعف الإيمان .

قوله : [وقوله : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [سورة الأنفال ٨/٢] **]** :

تقديم المعمول يفيد الحصر ، أي إنهم يحصرون توكلهم على الله ﷻ وحده فلا يتوكلون إلا عليه ﷻ .

قوله : [وقوله : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأنفال ٨/٦٤] **]** :

والواو هنا عاطفة على ضمير المخاطَب.

{حَسْبُكَ اللَّهُ}: أي يكفيك الله ﷻ .

{وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} : أي والله حسب من اتبعك من المؤمنين فهو يكفيك أيها النبي ويكفي اتباعك فلا تحتاجون مع الله ﷻ إلى غيره .

ولا يصح أن تكون الواو عاطفة على لفظ الجلالة " الله " ﷻ فيكون المعنى يأيها النبي حسبك الله وحسبك المؤمنون فهذا لا يصح ، وهو غلط محض كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى فإن المؤمنين ليسوا بحسب له ﷺ ولا لغيره ، ويدل على ذلك قوله ﷻ : {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأنفال ٨/٦٢] .

قوله : [وقوله : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق ٦٥/٣] **]** :

أي كافيه ، فجعل ﷻ جزاء المتوكلين كفايته لهم في تحصيل المطلوب الديني ، كطلب العلم والأعمال الصالحة ، وكذلك المطلوب الدنيوي من الرزق والنصر والحفظ ، فإذا توكلت على الله ﷻ فإنه يكفيك ولو كادتك السماوات والأرض ومن فيهن فإن الله ﷻ القادر على كل شيء يجعل لك مخرجاً .

قوله : [وعن ابن عباس قال : {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران ٣/١٧٣] **((قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له :** {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران ١٧٣/٣]))[٢٩٨] **رواه البخاري والنسائي والنسائي]** :

(**نعم الوكيل**) : أي نعم المتوكل عليه ﷻ لكفايته ﷻ من توكل عليه ، وقد قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار فكانت النار برداً وسلاماً عليه ، وقالها النبي ﷺ وأصحابه حين قال الكفار بعد أحد : لو رجعنا إلى محمد وأصحابه فاستأصلنا بقيتهم .

فلما أجمعوا أمرهم على ذلك ألقى الله ﷻ في قلوبهم الرعب وخرج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد فكفاه الله ﷻ وكفا أصحابه .

بـــــاب قول الله تعالى : {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [سورة الأعراف ٩٩/٧] **وقوله: {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ}** [سورة الحجر ٥٦/١٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر، فقال: ((الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله))[٢٩٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله))[٣٠٠] **رواه عبد الرزاق.**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

باب : قول الله تعالى : {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [سورة الأعراف ٩٩/٧]

هذا الباب أورده المؤلف رحمه الله تعالى لينبه على وجوب الجمع بين الخوف والرجاء ؛ ولبيان أن الأمن من مكر الله واليأس من رحمته ينافيان كمال التوحيد الواجب .

---

(٢٩٨) تقدم .

(٢٩٩) تفسير ابن أبي حاتم (١٨ / ٢٦٥) رقم ٥٢٤٢ .

(٣٠٠) المعجم الكبير (٩ / ١٥٦) رقم ٨٧٨٣. مصنف عبد الرزاق (١٠ / ٤٥٩) رقم ١٩٧٠١ .

ومكر الله ﷻ : هو استدراجه للعبد بأن يستدرج العبد فيأخذه بعقوبته على حين غرة هذا هو مكر الله ﷻ .

وما هو سبب الأمن من مكر الله ﷻ ؟

سبب ذلك إما الجهل بالله ﷻ وإما الانهماك في المعاصي ، فإن العبد إذا انهمك في المعاصي وأصر عليها وأعرض عن دين الله ﷻ فإنه لا يزال على ذلك حتى يتمكن من قلبه الأمن من مكر الله ﷻ فيغلبه عليه الرجاء ويغفل عما أعده الله ﷻ من العقوبات العاجلة والآجلة .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقوله** : {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} [سورة الحجر ٥٦/١٥] **]** :

القنوط هو أشد اليأس ، والضالون هم المخطئون التائهون عن الحق .

والقنوط من رحمة الله ﷻ له سببان :

١- الأول : الجهل بما لله ﷻ من واسع الرحمة والفضل .

٢- الثاني : انهماك العبد في المعاصي وإصراره عليها ، وكلما حدث نفسه بالتوبة غلبته نفسه وعاد إلى معاصيه ، حتى ييأس من توبته وييأس من رحمة ربه فيقول : " إن مثلي لا يغفر له " فأنا عندي كذا وكذا من الذنوب ونفسي تغلبني ولا يمكن أن أتوب إلى الله ﷻ ولا صبر لي عن الذنب" فيقنط من رحمة الله ﷻ .

قوله : [وعن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر فقال : (الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله)] :

(**روح الله**) : الروح في الأصل نسيم الهواء فإن النفس تتلذذ به وتبتهج وتأنس .

والمراد به هنا : الفرج بعد الشدة ، فإن الإنسان إذا كان في شدة ففرج عنه فإنه يجد أنساً ولذة وبهجة .

فاليأس من روح الله : هو أن ييأس العبد من زوال الشدة عنه من فقر أو مرض أو غيرهما .

وعلى ذلك فاليأس من روح الله أخص من القنوط من رحمة الله ، فاليأس يكون في الشدة ، والقنوط يكون في الرخاء والشدة ، ولذا حكم الله ﷻ على من ييأس من رحمته بأنه كافر فقال ﷻ : {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [سورة يوسف ٨٧/١٢] وحكم على من قنط من رحمته بأنه ضال فقال ﷻ : {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} [سورة الحجر ٥٦/١٥] والكفر أشد من الضلال، والعبد إذا لم يرجُ رحمة الله في وقت الشدة فمتى يرجو رحمته.

والحديث رواه البزار في مسنده ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وهو حسن الإسناد لكنه معلول بالوقف ولذا قال ابن كثير رحمه الله تعالى : والأشبه أنه موقوف ، أي من قول ابن عباس رضي الله عنه .

قوله : [وعن ابن مسعود قال : ((أكبر الكبائر : الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله)) [٣٠١] **رواه عبد الرزاق]** :

فجمع بين القنوط من رحمة الله وبين اليأس من روح الله وهذا العطف من باب عطف الخاص على العام كما تقدم .

(**اليأس من روح الله**) : أي اليأس من فرج الله وقرب غِيَرِهِ ﷻ .

والحديث رواه عبد الرازق وهو صحيح .

(**أكبر الكبائر**) الكبائر نوعان : وهذا في اصطلاح الشارع .

النوع الأول : كبائر تخرج صاحبها من الإسلام كالشرك الأكبر .

والنوع الثاني : كبائر دون ذلك كالأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله .

وأما في اصطلاح العلماء : فالكبائر دون الشرك ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون بذنب ولا يخرجون العبد من الإسلام بفعل كبيرة من كبائر الذنوب ، لكن في ألفاظ الشارع قد يطلق الشرك على الكبائر .

يجب على العبد أن يجمع بين الرجاء والخوف فهما كالجناحين للطائر ، المحبة رأس الطائر ، والخوف والرجاء جناحاه ، كما قال ﷻ : {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [سورة الإسراء ١٧/٥٧] فيجمع العبد بين الرجاء والخوف في أحواله كلها .

فالتائب من الذنب ، يكون بين الرجاء والخوف ، فإذا علم من نفسه التوبة وأن الله يقبل التوبة، رجا أن يغفر الله ذنبه وأن يقبل توبته ، وإذا رأى ما عنده من التقصير في التوبة خاف ألا تقبل توبته .

والسلف على ترجيح الخوف في حال الصحة ، وترجيح الرجاء عند المرض قال ﷺ : ((**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**)) [٣٠٢] . فإذا مرضت مرض الموت فعليك أن تحسن الظن بالله ﷻ وأن تقرأ وتسمع أحاديث وآيات الرجاء ، وأما إذا كنت في حال الصحة فعليك أن تملأ قلبك من الخوف الذي يكون كالسوط الذي يمنعك من المعصية .

---

(٣٠١) تقدم .

(٣٠٢) مسلم (٤ / ٢٢٠٥) رقم ٢٨٧٧ .

والرجاء بلا عمل تمني كالذي يرجو أن تنبت أرضه و لم يبذرها قال ﷻ : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ} [سورة البقرة ٢/٢١٨] .

بـــــاب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [سورة التغابن ٦٤/١١].**قال علقمة: ((هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم))** [٣٠٣].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)) [٣٠٤].

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: ((ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)) [٣٠٥].

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)) [٣٠٦] **وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط))** [٣٠٧] **حسنه الترمذي.**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

---

(٣٠٣) سنن البيهقي الكبرى (٤ / ٦٦) رقم ٦٩٢٥ . قال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٨١) : " رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما " .

(٣٠٤) مسلم (١ / ٨٢) رقم ٦٧.

(٣٠٥) البخاري (١ / ٤٣٥) رقم ١٢٣٢ . ومسلم (١٠٣)

(٣٠٦) سنن الترمذي (٤ / ٦٠١) رقم ٢٣٩٦ . وقال : " حسن غريب " . المستدرك (٤ / ٦٥١) رقم ٨٧٩٩ . مسند أبي يعلى (٧ / ٢٤٧) رقم ٤٢٥٤ .

(٣٠٧) سنن الترمذي (٤ / ٦٠١) رقم ٢٣٩٦ وقال : " حسن غريب " . سنن ابن ماجه (٢ / ١٣٣٨) رقم ٤٠٣١ .

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضي بالبلاء.

باب : من الإيمان الصبر على أقدار الله

الصبر في اللغة : هو الحبس .

وهو على ثلاثة أنواع :

١- صبر على الطاعة .

٢- صبر عن المعصية .

٣- صبر على الأقدار المؤلمة .

قال المؤلف رحمه الله **تعالى :] وقول الله** ﷻ : {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [سورة التغابن ١١/٦٤] **قال علقمة :** ((**هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم**))[٣٠٨] **[** :

قول علقمة يدل عليه السياق في الآية الكريمة وقد رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وإسناده صحيح .

{وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ} : أي يؤمن بالقدر خيره وشره .

{يَهْدِ قَلْبَهُ} : فثمرة الإيمان بالقضاء والقدر هداية القلب وهي طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه به الذي هو أصل سعادة بني آدم ، فسعادة الإنسان هداية قلبه .

{وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ}: أي يؤمن بالقضاء والقدر ، {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [سورة التغابن ١١/٦٤].

قوله :] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال :** ((**اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحـــة على الميت**))[٣٠٩] **[** :

(**كفر**) : نكرة ، والكفر إذا نُكّر فالمراد به الكفر الأصغر ، وإذا عُرِّف أي عرف بالألف واللام ، فالمراد به الكفر الأكبر ومنه قوله ﷺ : ((**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**))[٣١٠] هذا هو الأصل في نصوص الشارع وقد نبّه على هذه القاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم .

---

(٣٠٨) تقدم .

(٣٠٩) تقدم .

(٣١٠) مسلم (١ / ٨٨) رقم ٨٢ .

(**الطعن في النسب**) : تقدم تفسيره .

(**والنياحة على الميت**) : أي ذكر محاسن الميت على وجه التسخط ، وأما ذكر محاسن الميت بلا تسخط فلا حرج فيه ، فإذا ذكر الناس ما عليه الميت من مآثر ومحاسن ولو كان هذا في الجرائد وغيرها فهذا لا حرج فيه ، وإنما يكون نياحة إذا كان على وجه التسخط .

فالواجب على المسلم أن يصبر على أقدار الله ﷻ فيحبس قلبه عن التسخط ويحبس لسانه عن التشكي ويحبس جوارحه عن لطم الخدود وشق الجيوب .

قوله :] ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : ((ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية))(٣١١) : [(**ليس منا**) : أي ليس على هدينا ولا على سنتنا .

(**ودعا بدعوى الجاهلية**) : فيها تفسيران كلاهما صحيح :

التفسير الأول : من دعا إلى التعصب إلى القبائل ، وفاخَر بحسبه ، ومنه من تعصب لشيخ معين و لم يتعصب للحق الذي جاء به النبي ﷺ .

التفسير الثاني : من دعا بالويل والثبور أي قال : وا ثبوراه ... وا ويلاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تدل على التسخط على أقدار الله ولذا قال ﷺ فيما رواه ابن ماجه وهو حديث حسن : ((**لعن الله الضاربةَ وجهها والشاقةَ جيبها والداعيةَ بالويل والثبور**))(٣١٢) .

قوله : [وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له بالعقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة))(٣١٣)]:

حديث حسن رواه الترمذي .

عجل له العقوبة في الدنيا : ولذا قال ﷺ كما في البخاري : ((**من يرد الله به خيراً يصب منه**))(٣١٤) فإذا أراد الله بالعبد خيراً عجل له من الأمراض وفقد الولد وفقد الأهل وغير ذلك من النقص والمصائب ليكفر عنه ذنبه بهذه المصائب التي أصيب بها .

(**وإذا أراد به الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي** ...) أي حتى يوافي بذنبه كاملاً يوم القيامة لم ينقص من هذا الذنب شيء ؛ لأن المصائب تكفر الذنوب كما قال ﷺ فيما رواه الترمذي وغيره : لما قيل له أي

---

(٣١١) تقدم .

(٣١٢) سنن ابن ماجه (١ / ٥٠٥) رقم ١٥٨٥ . صحيح ابن حبان (٧ / ٤٢٧) رقم ٣١٥٦ .

(٣١٣) تقدم .

(٣١٤) البخاري (٥ / ٢١٣٨) رقم ٥٣٢١.

الناس أشد بلاء قال : ((**الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فلا يزل البلاء بالمؤمن حتى يدعه يمشي على الأرض ليس عليه خطيئة**))[٣١٥] فالمصائب تكفر الذنوب ، وهذا الحديث فيه تسلية لأهل المصائب .

قوله :] وقال النبي ﷺ : ((إن عظم الجزاء من عظم البلاء وإن الله تعـــالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط))[٣١٦] حسنه الترمذي] :

كلما عظم البلاء عظم الجزاء عند الله سبحانه وتعالى .

والله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم بالمصائب من نقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي تصيب العباد ليكفر عنهم سيئاتهم وليعظم جزاؤهم وأجرهم عنده عز وجل .

فمن صبر فله الرضا ، ومن سخط فله سخط الله – والعياذ بالله – .

بـــــاب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [سورة الكهف ١٨/١١٠] **الآية.**

عن أبي هريرة مرفوعاً: ((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه))[٣١٧]. رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟)) قالوا: بلى يا رسول الله! قال: ((الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل))[٣١٨]. رواه أحمد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

---

(٣١٥) سنن الترمذي (٤ / ٦٠١) رقم ٢٣٩٨ وقال : " حسن صحيح " . ورواه ابن ماجه وأحمد في مسنده.

(٣١٦) تقدم .

(٣١٧) مسلم (٤ / ٢٢٨٩) رقم ٢٩٨٥ .

(٣١٨) مسند أحمد بن حنبل (٣ / ٣٠) رقم ١١٢٧٠. سنن ابن ماجه (٢ / ١٤٠٦) رقم ٤٢٠٤ . صحيح ابن خزيمة (٢ / ٦٧) رقم ٩٣٧ .

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب، أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

باب : ما جاء في الرياء

الرياء : مشتق من الرؤية ، وهو إرادة مدح الناس وثنائهم بالعمل الصالح ، كالذي يجاهد ليقال : إنه جريء أو يتصدق ليقال : إنه جواد أو يتعلم العلم ليقال : عالم وينال بذلك الجاه والمنزلة عند الناس ، فإن كان في الأقوال فهو تسميع قال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم : ((**من راءى راءى الله به ومن سمَّع سمَّع الله به**))[٣١٩] ويطلق عليه رياءً من باب التجوز .

قال المؤلف رحمه الله **تعالى :] وقول الله** ﷻ : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [سورة الكهف ١٨/١١٠] **الآية [:**

(**يرجو لقاء ربه**) : أي يأمل لقاء الله ، فالرجاء هو الأمل ولقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى التي هي أعظم نعيم الجنة .

قوله :] عن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**))[٣٢٠] **رواه مسلم [** : الحديث حديث قدسي ، رواه مسلم ، وفي رواية لابن ماجه : ((**أنا بريءٌ منه هو للذي أشرك**))[٣٢١]هذا الحديث فيه أن الذي يعمل العمل ولا يكون خالصاً لله ﷻ فإن الله بريء من عمله هذا لا يقبله منه.

وهو مع ذلك آثم مأزور ؛ لأنه أشرك بالله سبحانه وتعالى .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه كما في مستدرك الحاكم بإسناد حسن قال : ((**كنا نعد الرياء على عهد النبي ﷺ من الشرك الأصغر**))[٣٢٢] .

وما تقدم شرحه هو رياء المسلم ، وأما رياء المنافق فهو كفر أكبر ، فالرياء نوعان :

---

(٣١٩) البخاري (٥ / ٢٣٨٣) (٦١٣٤) . مسلم (٤ / ٢٢٨٩) رقم ٢٩٨٦ .

(٣٢٠) تقدم .

(٣٢١) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٣٠١) رقم ٧٩٨٦ . سنن ابن ماجه (٢ / ١٤٠٥) رقم ٤٢٠٢ .

(٣٢٢) المستدرك (٤ / ٣٦٥) رقم ٧٩٣٧ وصححه ووافقه الذهبي . المعجم الكبير (٧ / ٢٨٩) رقم ٧١٦٠ . شعب الإيمان (٥ / ٣٣٧) رقم ٦٨٤٣ .

النوع الأول : رياء المنافق قال ﷻ : {يُرَآؤُونَ النَّاسَ} [سورة النساء ١٤٢/٤] وهو في أصل الدين أي بكلمة التوحيد فهو لم يقل : كلمة التوحيد يرجو بها لقاء الله ، وإنما قالها : للدنيا رغبة أو رهبة .

وكالذي لا يصلي بالكلية إلا رياءً فهو منافق .

وأما النوع الثاني : الرياء فيما دون ذلك وتقدم شرحه .

قوله :] وعن أبي سعيد مرفوعاً : ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)) (٣٢٣) رواه أحمد :]

والحديث رواه أحمد وهو حديث حسن .

وهذا أخوف عند النبي ﷺ على أمته من المسيح الدجال الذي حذر من فتنته جميع الأنبياء وهذا يدل على خطر الرياء .

واعلم أن الرياء إذا كان من أصل العمل ، فإن العمل يبطل ، فمن لم يتنفل إلا رياءً فعمله باطل مردود عليه ؛ لأن الرياء في أصله هذا هو النوع الأول .

والنوع الثاني : أن يكون أصل العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء :

فإن دفعه لم يضره وقد رفع الله ﷻ عن هذه الأمة الحرج ، فإذا قام يتنفل لله ثم دخل رجل إلى المسجد فوقع في نفسه الرياء ثم إنه دفع هذا عن نفسه و لم يسترسل واستحضر خطر الرياء وما يجب على العبد من الإخلاص لله فدافع الرياء فدفعه فهذا لا يضره .

أما إن طرأ عليه فاسترسل معه و لم يدفعه فهذا يضره ويبطل عمله ، إلا أن يكون العمل مما لا يتصل آخره بأوله ، كأن يتصدق بعشرة ريالات مخلصاً لله ثم يخرج مثلها رياءً ، فهذه منفصلة عن تلك فيبطل ما دخل عليه الرياء دون ما قبله .

وإن كان القدر الواجب من العمل لم يدخله الرياء وإنما دخل الرياء في تزيين العمل وتجميله كتطبيق بعض السنن في الصلاة أو الإطالة في الصلاة ، فيبطل هذا القدر الزائد دون أصل العمل وما ربك بظلام للعبيد ﷻ .

---

(٣٢٣) تقدم .

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٦)} [سورة هود ١١/١٥-١٦] **الآيتين.**

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع)) [(٣٢٤)].

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله (تعس وانتكس).

السادسة: قوله: (وإذا شيك فلا انتقش).

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

باب : من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

هذا الباب والذي قبله من الشرك الخفي ؛ لأنه شرك في النيات والمقاصد ، فهو من الشرك الخفي .

قال المؤلف رحمه الله **تعالى :] وقوله ﷻ** : {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٦)} [سورة هود ١١/١٥-١٦] **[** :

---

(٣٢٤) البخاري (٣ / ١٠٥٧) رقم ٢٧٣٠.

من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها : أي بعمله الصالح .

{نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا}: فيجازون على أعمالهم في الدنيا .

وهذه الآية مخصوصة بآية الإسراء : {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ} [سورة الإسراء ١٧/١٨] فقد يعمل العمل الصالح يريد به الدنيا فلا يعجل له ثوابه فيها وليس له في الآخرة إلا النار – والعياذ بالله – .

{وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} نسأل الله العافية وهذه الآية يدخل فيها أربعة أنواع :

النوع الأول : من عمل صالحاً وعنده ناقض من نواقض الإسلام ، كالذي يتصدق ويصوم ويعمل أعمالاً صالحة لكنه مشرك بالله ﷻ يعبد معه غيره ، فهذا لا يجازى على أعماله الصالحة في الآخرة ؛ لأن عنده ناقضاً من نواقض الإسلام .

النوع الثاني : من يعمل العمل يريد به الحمد والثناء فهو داخل في الباب الذي قبله .

النوع الثالث : من يعمل العمل الصالح يريد به الدرهم والدينار فهذا يدخل في هذا الباب ، كالذي يتعلم العلم أو يجاهد يريد بذلك الدرهم والدينار فهو أيضاً داخل في هذا الباب ، قال ﷺ : ((**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**))[٣٢٥] رواه أبو داود وغيره .

فالذي يطلب العلم الشرعي للوظيفة فقط ، يتعلم القرآن ويتعلم السنة ويتفقه في الدين وهو يريد الدرهم والدينار فقط فإنه داخل في هذه الآية .

فعليه أن يخلص لله ﷻ وأن يتعلم العلم لله ، فإذا نال شيئاً من الدنيا فهذا من فضل الله ، فالرَزْق الذي يأخذه المسلم على أعماله الصالحة هذا رزق من بيت مال المسلمين فلا يضره ، لكن لا يكون هو قصده بل قصده بعمله الصالح رضا الله والدار الآخرة : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً = ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} [سورة الطلاق ٦٥/٢-٣] فإذا اتقيت الله فتعلمت العلم لله ﷻ – وطلب العلم لله من تقوى الله – فإن الله يرزقك من حيث لا تحتسب ولا يضرك هذا ؛ لأنك تعلمت العلم مخلصاً لله ﷻ فإن نلت شيئاً من الدنيا فلا يضرك .

---

(٣٢٥) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٣٣٨) رقم ٨٤٣٨ سنن أبي داود (٢ / ٣٤٦) رقم ٣٦٦٤ . سنن ابن ماجه (١ / ٩٢) رقم ٢٥٢ .. صحيح ابن حبان (١ / ٢٧٩) رقم ٧٨ .

أما النوع الرابع : وهذا يخفى على كثير من الناس ، فهو أن يعمل العمل الصالح يريد بذلك ثواب الدنيا من الله ، ولا يريد ثواب الآخرة ، بخلاف ما قبله الذي يريد منه ثواب الدنيا من الناس ، فهذا لا يعمل العمل الصالح خوفاً من النار ورغبة في الجنة ، وإنما يعمل العمل الصالح يبتغي بذلك ثواب الدنيا وهذا له أمثلة كثيرة .

من ذلك : الرجل يزكي ولا يقع في قلبه إلا نماء المال والمباركة فيه ، لا يقصد من الزكاة ثواب الآخرة .

ومن ذلك الرجل يصل رحمه ولا يريد إلا أن ينسأ له في أثره ، وأن يبارك له في عمره ، وآخر لا يصوم إلا للصحة ، فهذا كله داخل في هذه الآية . فإن كان يريد ثواب الدنيا والآخرة فلا يضره فإن الله ﷻ عنده ثواب الدنيا والآخرة ، فالذي يصوم مثلاً يريد ثواب الله في الآخرة ويريد أيضاً فوائد الصيام في الدنيا من صحة البدن وغير ذلك فلا يضره ، وكذلك من يصل رحمه يريد ثواب الله في الآخرة ويريد أن ينسأ له في أثره وأن يبسط له في رزقه .

ويدل على ذلك : أن الشارع ذكر ثواب الدنيا على كثير من الأعمال الصالحة ولو كانت أرادة ذلك تنافي الإخلاص ما ذكره على جهة الترغيب بالعمل كقوله ﷺ : ((**من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**))[٣٢٦] هذا ترغيب بثواب الدنيا فلو كان قصد ذلك غير جائز ما ذكره ﷺ ، وقال ﷻ : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً = ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق ٣/٦٥] لو كان الله ﷻ لا يرضى لنا أن نريد شيئاً من ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة ما ذكر ذلك على جهة الترغيب بتقواه.

قوله :] وقال رسول الله ﷺ : ((تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع))[٣٢٧] [: والحديث رواه البخاري في صحيحه .

(**تعس**) : أي هلك .

(**الخميصة**) : الكساء الذي له أعلام أي له خطوط .

(**الخميلة**) : أي القطيفة ، ذات خُمل أي أهداب ، وقيل ثوب له أهداب .

---

(٣٢٦) البخاري (٢ / ٧٢٨) رقم ١٩٦١ وفي مواضع أخرى . مسلم (٤ / ١٩٨٢) رقم ٢٥٥٧ .

(٣٢٧) تقدم .

وسمي عبداً لها لأنه يرضى لها ويسخط لها كما قال ﷻ : {وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} [سورة التوبة ٥٨/٩] .

(**وإذا شيك فلا انتقش**) : هذا دعاء عليه بأن لا ينال مطلوبه وأن يعجز عن دفع المكروه عن نفسه ؛ لأن الإنسان له قصد في نيل المطلوب وله قصد أيضاً في دفع المكروه ، له قصد في جلب المنفعة ، وله قصد في دفع المضرة ، وهذا دعاء عليه بالخيبة فلا ينال مطلوبه ، فقد انقلبت عليه أموره وانتكست ، فتراه يسلك الأسباب الموصلة إلى الخير الدنيوي ثم إن الأمور تنقلب عليه فلا ينال مطلوبه .

هذا دعاء عليه أيضاً بأن يعجز عن رد المكروه عن نفسه حتى إنه ليعجز عن إخراج الشوكة عن بدنه .

(**طوبى**) : أي العيش الرغيد الطيب ومنه الجنة .

(**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه**) : ولا يظن كثير من الناس أن هذا المذكور في هذا الحديث عنده ما أخبر به ﷺ من العيش الطيب ويظن هؤلاء أن العيش الطيب عند ذاك الذي يسكن في القصور ويتلذذ بالمعايش والمناكح والملابس .

(**عنان**) : خطام .

(**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**) : لا غرض له في الجاه والمنزلة والمكانة بل غرضه وقصده رضا الله سبحانه وتعالى فأي مكان وضع فيه رضي لا يقصد المنزلة والجاه .

(**وإن كان في الساقة**) : أي جعل في مؤخرة الجيش يتبع الجيش ويلقط ما يسقط من الجيش، لم يمتنع من ذلك ما دام أنه يرضي الله سبحانه وتعالى .

(**إن استأذن لم يؤذن له**) : لأنه لا جاه له ، فإذا أتى إلى الأمراء وإلى وجهاء الناس فاستأذنهم فإنهم لا يأذنون له لأنه لا جاه له .

(**وإن شفع لم يشفع**) : أي إن توسط لأحد من الناس فإنه وساطته لا تقبل .

قال ﷺ فيما رواه مسلم : ((**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**))[٣٢٨] أي يدفع فيمنع من الدخول على السلاطين والأمراء لكنه لو أقسم على الله لأبره .

وهذا الفضل لمثله لا ينافي فضل غيره ، فقد يكون الإنسان في مقدمة الجيش ويكون من ذوي الجاه والمنزلة ،وإذا شفع قبلت شفاعته ، وإذا استأذن أذن له لكنه يشكر الله على هذا ، وينفع الخلق بهذا فلا ينافي ما ذكر في هذا الحديث والعشرة المبشرون بالجنة كانوا من هذا النوع إذا

(٣٢٨) مسلم (٤ / ٢٠٢٤) رقم ٢٦٢٢ .

شفعوا شفعوا ، وإذا استأذنوا أذن لهم .

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس: ((يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!)) [٣٢٩]

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة النور ٦٣/٢٤] **أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.** [٣٣٠]

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ} [سورة التوبة ٣١/٩] **الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟) فقلت: بلى. قال فتلك عبادتهم))** [٣٣١] **رواه أحمد، والترمذي وحسنه.**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثرعبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

باب : من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

---

(٣٢٩) مسندأحمد (٣١٢١) .

(٣٣٠)أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٧) .

(٣٣١) تفسير الطبري (٦ / ٣٥٣) . مسند أحمد (٢٥٧/٤) سنن الترمذي (٥ / ٢٧٨) ٣٠٩٥ وقال : " حديث غريب " .

(أرباباً) : أي آلهة ، وهذا الباب في شرك الطاعة .

وهو الطاعة في تحليل الحلال وفي تحريم الحرام مع اعتقاد أن هذا يخالف دين الله ﷻ فمن أطاع أحداً من العلماء أو الأُمراء في تحليل ما حرم الله ﷻ أو تحريم ما أحله الله فاتبعه في هذا التبديل وهو يعلم أن هذا مخالف لدين الرسول ﷺ فهو مشرك كافر قال ﷻ : {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [سورة الأنعام ١٢١/٦] أي إن أطعتموهم في استباحة الميتة إنكم لمشركون .

ومثل ذلك لو أحل الخمر فاتبعه في تحليل الخمر أو أحل الزنا فاتبعه في تحليل الزنا ، وهو يعلم أنه مخالف لدين الرسول ﷺ فهذا كفر أكبر .

ومثل ذلك أيضاً : لو حرم نكاح الثانية أو الثالثة أو الرابعة فاتبعه في تحريم هذا مع اعتقاد أن الله قد حرمه ، يعتقد أن الله حرم هذا ومع ذلك يتبعه في تبديل الشرع وتغيير الدين فهذا كفر أكبر يخرج صاحبه من الإسلام وهو عبادة ؛ لأن هذه الطاعة نوع من أنواع العبادة فصرفها إلى غير الله شرك أكبر .

وأما إن كان يحل ما أحله الله ويحرم ما حرمه الله ، فتحليله للحلال ثابت وتحريمه للحرام ثابت، لكنه يتبعهم في الفعل من باب الشهوة والهوى فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب ولا يخرج بذلك من الإسلام.

إذا أمر الأمير بأمر فيه معصية الله ،فأطاعه وهو يعلم أن هذا حرام وأن هذا لا يجوز ولا يقول: " إن هذا حلال " بل يقول : " هذا ظلم " أو " هذا لا يجوز " لكنه يتبعه في معصية الله ، فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب ولا يكفر بذلك .

إذن عندنا نوعان :

النوع الأول : أن يتبع هذا المحلل لما حرم الله أو المحرم لما أحل الله يتبعه في التحليل أو التحريم، كأن يفتي بعض علماء السوء بأن الربا حلال فيقول : إن الربا حلال وهو يعلم أن الله ﷻ قد حرمه هذا كفر أكبر يخرجه من الإسلام .

والنوع الثاني : إذا كان يعتقد أن هذا حرام قد حرمه الله ﷻ أو أن هذا حلال وأن الله قد أحله ، لكن يتبعهم بالفعل فهذه معصية وله حكم أمثاله من أهل الذنوب .

وأما إن أحل ما حرم الله أو حرم ما أحله الله جهلاً بدين الله ﷻ أو اجتهاداً فإنه لا يكفر بذلك إن كان مثله يجهل ، كالذي ينشأ مثلاً في البادية ويسأل فيقال له : إن الزنا في مثل هذه الصورة أو مثل هذه الحال حلال أو يباح له الخمر ونحو ذلك و مثله يجهل فإنه لا يكفر بذلك .

إذن اتباع العلماء والأمراء في باب التحليل والتحريم إنما يكون كفراً فيمن بدل الشرع فاعتقد تحليل الحرام المجمع عليه أو تحريم الحلال المجمع عليه ، وأما إن كان يوافقهم بالفعل من باب الهوى فإنه لا يكفر بذلك بل له أحكام أمثاله من أهل الذنوب .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقال ابن عباس : ((يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر))]** :

روى هذا الأثر الإمام أحمد رحمه الله تعالى كما أورد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى وساق سند الإمام أحمد رحمه الله تعالى وهو سند صحيح .

قوله : [وقال أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة النـــور ٦٣/٢٤] **أتدري ما الفتنة ، الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك]** :

(**سفيان**) : هو سفيان الثوري وهو إمام له مذهب قد اندثر .

(**الفتنة**) : أي المذكورة في قوله : {أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} [سورة النـــور ٦٣/٢٤] .

وعلى ذلك من استبانت له السُنة فلا يجوز له أن يتركها لقول لقائل ما قال ﷻ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [سورة الحجرات ١/٤٩] فمن استبانت له السُنة في مسألة من المسائل في أصول الدين أو في فروعه فلا يجوز له أن يرد ذلك وأن يترك ما جاء به النبي ﷺ .

وهذا يشترك فيه العامي والعالم في المسائل الظاهرة في دين الله ﷻ .

أما المسائل غير الظاهرة التي هي محل اجتهاد فإن العامي فرضه التقليد فيها قال ﷻ : {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [سورة النحل ٤٣/١٦] .

وعلى ذلك فأقاويل العلماء ومن ذلك المذاهب الأربعة المتبوعة ، يستعان بها على تصور المسائل وعلى فهم الكتاب والسنة فقد أصلوا في تلك الكتب الأصول وفرعوا عليها الفروع ، فعلينا أن نستفيد من تلك الكتب وألا نهملها ، وأن نتصور المسائل منها ، وأن نستعين بفهمهم على فهم الكتاب والسنة ، لكن لا يجوز أن تكون هذه الكتب مقدمة على الكتاب والسنة ولا أن تكون هي المرجع الذي نرجع إليه عند الخلاف ، بل نرجع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال ﷻ: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [سورة النساء ٥٩/٤] أي أحسن عاقبة .

فالواجب علينا أن نرجع في ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ﷺ وأما هذه الكتب المصنفة التي ألفها العلماء في الفقه فإنا نستعين بها على تصور المسائل وعلى فهم الكتاب والسنة ، ولكن يكون رجوعنا إلى كتاب الله وإلى سنة النبي ﷺ ونختار من أقاويلهم ما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فلا يكون عندنا غلو وإفراط في هذه الكتب ولا جفاء وتفريط فيها فلا ننتفع بها ولا نستفيد منها ولا نستعين بها ، هذا غلط وهذا خطأ كبير ، وهذا يجعل المشتغل بالعلم دون الرجوع إلى هذه المصنفات لا يحسن تصور المسائل الفقهية ، ولا يدركها إدراكاً جيداً . فالمسلك الصحيح والوسط أن نستعين بهذه الكتب وأن نشتغل بها .

ولذا فإن العلماء ومنهم مصنف هذا الكتاب الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة النجدية كانوا على مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى يتفقهون في مصنفات هذا المذهب ولكن إذا استبانت لهم السُنة في مسألة من المسائل فإنهم يرجعون إلى ما دل عليه الكتاب والسنة فلا مانع من أن تتفقه في مذهب أحمد أو مذهب مالك أو مذهب الشافعي أو مذهب أبي حنيفة لا مانع من ذلك لكن عليك أن ترجع إلى ما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

قوله : [وعن عدي بن حاتم : " أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ} [سورة التوبة ٣١/٩] **فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، قال :** ((**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**)) **فقلت : بلى ، قال :** ((**فتلك عبادتهم**)) [٣٣٢] **رواه أحمد والترمذي وحسنه]**

{أَحْبَارَهُمْ}: أي علماءهم ، والحبر هو العالم المحكم لعلمه يعني الراسخ في العلم .

{رُهْبَانَهُمْ} : أي عبادهم .

{أَرْبَاباً}: أي آلهة ؛ وذلك لأن الربوبية تستلزم الألوهية كما قال ﷻ : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} [سورة البقرة ٢١/٢] .

(**يحرمون**) : أي هؤلاء الأحبار والرهبان .

(**فتحرمونه**) : إذن، اتبعوهم في تحليل ما حرم الله ﷻ أو تحريم ما أحله الله ﷻ .

الحديث في الترمذي قال غريب أي ضعيف لكن الحديث حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لوروده عن عدي بن حاتم من طرق وله أيضاً شواهد فعلى ذلك الحديث حسن .

فيه مسائل :

---

(٣٣٢) تقدم .

٥- تغيير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

فعبادة الرهبان ، أصبحت تسمى الوَلاية فالذي يعبد هذه الأضرحة يسمى ولياً وينال هذا العابد من ولاية الله ما يكون بقدر ما يكون له من عبادة هذه الأضرحة عندهم والعياذ بالله .

وأصبح المقلد للعلماء ، هو الفقيه العالم وهذا أيضاً ضلال ؛ لأن العلم معرفة الحق بدليله

فالعلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو

ومن قبل عُبد الرهبان والعباد ، من دون الله ﷻ ثم تغير الحال إلى أن عُبد الفجار والفساق والعياذ بالله ، فتجد أنهم يذكرون في طبقاتهم الرجل وأنه كان يأتي الفواحش وكان يمشي عارياً ثم إنهم مع ذلك يعتقدون أنه ولي ويتخذون قبره مشهداً وضريحاً ويعبدونه من دون الله أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

و لم يبق التقليد لأحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة و أمثالهم من العلماء بل أصبح التقليد للمقلدة ، فتجد مثلاً الشافعية لا يطلعون على نصوص الشافعي ، ولا يعرفون مذهبه ، وإنما يقلدون بعض اتباع الشافعي ممن حرر في مذهب الشافعي ما هو عنده المشهور في مذهبه ، وكذلك أيضاً الحنابلة وغيرهم وأصبحت هذه الكتب هي المرجع كما قال بعضهم : " احفظ الزاد واحكم بين العباد " وهذا من الألفاظ المنكرة بل الذي يحكم بين العباد من دَرَس الزاد واستدل له بالأدلة ، وعرف ما يوافق الكتاب والسنة منه ، فأخذ به ، وما لا يوافق الكتاب والسنة فلم يأخذ به . والواجب إحسان الظن بأهل العلم وعدم إساءة الظن بهم ؛ لأنهم إنما أرادوا اتباع ما جاء في الكتاب والسنة لكنهم أخطؤوا ولا يتبعون في خطئهم قال ﷻ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} [سورة النساء ٤/٥٩] فطاعة الله استقلالية ، وطاعة رسوله استقلالية ، ولذا قال ﷺ : ((**فإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه**))[٣٣٣] و لم يأتِ بالفعل " أطيعوا " في أولي الأمر فدل على أن طاعتهم ليست استقلالية بل تبعية ؛ وذلك لأن الأمراء ينفذون شرع الله فطاعتهم تبع لذلك والعلماء يبلغون ما أنزل الله ، فطاعتهم تبع لذلك وأولو الأمر هم الأمراء والعلماء وقد ورد عن السلف في تفسير أولي الأمر قولان :

القول الأول : أنهم الأمراء .

---

(٣٣٣) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ١٣٠) رقم ١٧٢١٣ . سنن أبي داود (٢ / ٦١٠) رقم ٤٦٠٤ . دون قوله " فإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله " . وأوله في سنن الترمذي (٥ / ٣٨) رقم ٢٦٦٤ . والمستدرك (١ / ١٩١) رقم ٣٧١ .

القول الثاني : أنهم العلماء .

وهما روايتان عن الإمام أحمد ، والتحقيق – كما قال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم – : أن الآية تعم النوعين ، فأولو الأمر هم الأمراء والعلماء ، وهؤلاء الأمراء والعلماء إنما طاعتهم تبعية ، فالعلماء يبلغون الشرع والأمراء ينفذونه فإن أمر ولي الأمر بما لا يخالف الشرع فتجب طاعته لقوله ﷺ : ((**على المرء المسلم السمع والطاعة في ما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية**)) [٣٣٤] و"على " تفيد الوجوب فلم يستثنِ ﷺ إلا أن يؤمر بمعصية فإذا لم يؤمر بمعصية فعليه السمع والطاعة ، والحديث متفق عليه .

وكذلك المسائل الاجتهادية يطاع فيها ولي الأمر ؛ لأن الأمر لا يصلح إلا بذلك .

مثاله : إن كنت ترى أن الهلال ،إذا رؤي في بلد فلا يلزم البلاد الأخرى الصيام ، وكان الحاكم يرى أنه إذا رؤي في بلد فيلزم البلاد الأخرى الصيام ، فإنك تطيعه في ذلك ؛ لأن أمر الناس لا يصلح إلا بهذا .

وطاعة ولي الأمر في غير معصية واجبة وهي من طاعة الله ورسوله ، كما يقع هذا في بعض التنظيمات وفي بعض الأمور التي فيها مصالح للناس فالطاعة واجبة كما تقدم بيانه .

بـــاب قول الله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً = ٦٠} [سورة النساء ٤/٦٠]**الآيات**.

وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [سورة البقرة ٢/١١] وقوله : {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} [سورة الأعراف ٧/٥٦] **الآية. وقوله**: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [سورة المائدة ٥/٥٠] **الآية**.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)) [٣٣٥] **قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.**

---

(٣٣٤) البخاري (٦ / ٢٦١٢) رقم ٦٧٢٥ . مسلم (٣ / ١٤٦٩) رقم ١٨٣٩ .

(٣٣٥) أخرجه الأصبهاني في " الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة " قال : " وأنا أبو بكر بن أبي عاصم نا محمد بن مسلم وارة نا نعيم بن حماد نا عبد الوهاب الثقفي نا بعض مشيختنا هشام أو غيره عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو مرفوعا . و أخرجه الخطيب البغدادي في التاريخ : ٤ / ٣٦٩ ، والبغوي في شرح السنة برقم : ١٠٤ ، وابن أبي عاصم في السنة برقم : ١٥ ، وابن بطة في الإبانة : ١ / ٣٨٧ " .وأخرجه أبو العباس الحسن النسوي في كتابه (الأربعين) (٥١/١) .

وقال الشعبي: ((كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ــ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ــ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود ــ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ــ فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ}[سورة النساء ٤/٦٠] الآية))[٣٣٦] .

وقيل: ((نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله)) [٣٣٧].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ} .

الثالثة: تفسير آية الأعراف {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} .

الرابعة: تفسير: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [سورة المائدة ٥/٥٠] .

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

باب قول الله ﷻ : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً = ٦٠} [سورة النساء ٤/٦٠]

هذا الباب في بيان أن من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله التحاكم إلى الكتاب والسنة في أصول الدين وفروعه ، وأن ترك التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مناف للتوحيد قادح فيه ففيه قدح بالتوحيد ومنافاة له . {أَلَمْ تَرَ}: أي لم ينته علمك يا محمد .

---

(٣٣٦) تفسير الطبري (٤ / ١٥٥) .

(٣٣٧) تفسير البغوي (١ / ٢٤٢) .

{إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}: وهو القرآن ، وقوله " يزعمون " يدل على أنهم كاذبون في دعواهم الإيمان .

{وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}: من الكتب السابقة .

{يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ}: أي والحال أنهم قد أمروا أن يكفروا به في قوله ﷻ : {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة ٢/٢٥٦]

{وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً} فهذه الآية فيها أن من تحاكم إلى الطاغوت فقد كفر ، إن كان مختاراً لقوله {يُرِيدُونَ} أما من كان مكرهاً غير راضٍ فإنه لا يكفر .

فإذا كان في بعض البلاد التي يحكم فيها بالقوانين الوضعية ،فأُكره على التحاكم إلى هذه القوانين ، فإنه لا يكفر بذلك ، كأن ترفع عليه شكوى ويجبر على الرجوع إلى المحاكم الدستورية القانونية المخالفة للشريعة الحنيفية فإنه فلا يضره ذلك .

كذلك أيضاً : إذا تحاكم إلى القوانين لعلمه ، أن الحكم في هذه المسألة يوافق الشرع المترل ، ويقول : " أنا لي حق ولا أحصل على حقي إلا بالرجوع إلى هذه المحاكم وأنا صاحب حق " فهذا أيضاً لا حرج فيه ؛ لأنه إنما تحاكم في الحقيقة إلى الشرع ، فتحاكم إلى الشرع أولاً ، وعرف أن له حقاً ، وعرف أن هذا الحق لا يحصل عليه إلا بالتحاكم إلى هذه المحاكم غير الشرعية ، فرفع أمره إليها فهذا أيضاً لا يكفر .

وأما الذي يختار الرجوع ويرضى الحكم بغير ما أنزل الله على رسوله ﷺ فإن هذا كفر أكبر ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " حكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة لا في الأمور الكلية " .

معنى ذلك : أنه لا يأتي حاكم ويقول : " الزاني المحصن لا يرجم " هذا حكم كلي كذلك ، لا يأتي ويقول : " السارق لا تقطع يده " هذا حكم كلي وهذا تشريع عام ، ومثل هذا التشريع كفر أكبر .

وأما الأمور المعينة فهي أن يكون عنده القانون العام والتشريع العام : أن الزاني المحصن يرجم والسارق تقطع يده ، لكنه يخالفه في أمور معينة لرشوة أو هوى أو محاباة فهذا لا يكفر بذلك ، وله حكم أمثاله من أهل الذنوب: ولا يكفره إلا الخوارج فهو غير كافر بإجماع أهل السنة والجماعة .

إذن عندنا تشريع عام فهذا التشريع العام لا يكون إلا لله ﷻ قال ﷻ : {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ} [سورة الأنعام ٦/٥٧] وقال : {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [سورة غافر ٤٠/١٢] وقال : {أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً} [سورة الأنعام ٦/١١٤] .

إذن ليس لأحد أن يضع تشريعاً عاماً يخالف الشرع المطهر فإن في ذلك رغبة عن الشريعة ، وإلزاماً للخلق بغير ما أنزل الله على رسوله وفيه إعراض عن الدين ، ولازم ذلك أنه يرى أن هذا هو العدل ؛ لأن من وضع تشريعاً عاماً ، فإن لازم هذا أن يكون هو العدل ، ولذا تجد أنهم يضعون صورة الميزان الدال على العدل ، ويسمون تلك المحاكم بمحاكم العدل فهم يعتقدون أن ذلك هو العدل ، وإن لم يصرحوا بألسنتهم لكن دلالة الحال تدل على أنهم يرون أن هذا هو العدل ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وما من أمة إلا وهي تأمر بالعدل " عندما تأتي إلى أي بلد من بلد الدنيا وتسألهم عن هذه التشريعات التي شرعوها أهي عدل أم جور ؟ فإنهم يقولون ولابد : هي عدل فإن سألتهم هل تطبقونها أم لا فيقولون : الغالب أننا نطبقها لكن هناك مخالفات إما لرشوة أو لمحاباة أو الهوى ، فهم يرون أن هذه التشريعات عدل ولكن يقع في العمل بها الجور والظلم في بعض الأحوال .

كذلك من يقول إن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذه الأزمان إنما تصلح للأزمنة الحجرية القديمة وهذا كفر أكبر بالإجماع ؛ لأن فيه عدم التزام وعدم الإقرار بوجوب التحاكم إلى هذه الشريعة الإسلامية .

وليعلم : أن ما تقدم ذكره من القول بكفر من تحاكم إلى الطاغوت ، إنما هو من جهة الحكم على العموم ، وأما التكفير المعين فلا يجوز إلا مع توفر الشروط في الشخص وانتفاء الموانع سواءً كان حاكماً أم محكوماً ، ومن ذلك العذر بالإكراه في هذه المسألة كما تقدم ، وكذلك العذر بالجهل ، فلا يكفر المعين حتى تقام عليه الحجة التي يكفر من خالفها .

ومن هنا يعلم خطأ المتعجلين في التكفير في هذا الباب وهذا باب عظيم لا يلجه إلا الراسخون في العلم .

قال المؤلف رحمه الله :**[وقوله** : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [سورة البقرة ٢/١١] وقوله : {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} [سورة الأعراف ٧/٥٦] **]** :

الإفساد في الأرض يكون بالشرك ويكون بالمعاصي والبدع ، وأما إصلاحها فيكون بالتوحيد ويكون بالطاعة وبالسنة .

قوله : [وقوله : {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [سورة المائدة ٥/٥٠] **]** :

هذا استفهام إنكاري فينكر الله عليهم رجوعهم إلى حكم الجاهلية وهي الملة المنسوبة إلى الجهل ، والجهل ضد العلم وكل شريعة سوى هذه الشريعة فهي جهل وهوى .

قوله : [عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)) (٣٣٨) قال النووي حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح] :

هذا الحديث فيه نعيم بن حماد وله مناكير ومن ثم ضعف هذا الحديث ابن رجب رحمه الله تعالى وغيره ، لكن ابن عدي أورد لنعيم أحاديثه التي أنكرت عليه ، وقال سائر أحاديثه مستقيمة و لم يورد هذا الحديث وله شاهد من القرآن وهو قوله ﷻ : {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ} [سورة القصص ٢٨/٥٠] .

ومعنى هذا الحديث : (**لا يؤمن أحدكم**) أي الإيمان الكامل الواجب .

(**حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**) أي أن تكون رغبته وميله إلى ما جاء به النبي ﷺ .

(رَوَيْنَاه) : ويصح : (رُوِيناه) .

قوله : [وقال الشعبي : ((كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد ؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} [سورة النساء ٤/٦٠] **الآية)) (٣٣٩)] :**

هذا الأثر مرسل من مراسيل الشعبي وقد رواه ابن جرير في تفسيره بإسناد صحيح إلى الشعبي وقد روى الطبراني بإسناد صحيح ((أن أبا برزة الأسلمي رضي الله عنه وكان ذلك قبل أن يسلم كان يتحاكم إليه اليهود فتنافر إليه ناس من المسلمين فنزلت : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} [سورة النساء ٤/٦٠] الآية)) (٣٤٠).

قوله : [وقيل : ((نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ : أكذلك ، قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله)) (٣٤١)] :

هذه القصة لا تصح رواها البغوي وفي سندها الكلبي وهو وضاع ويبعد أن يترافعا إلى عمر وقد علما ما كان عليه رضي الله عنه من الحزم والقوة في أمر الله ﷻ .

---

(٣٣٨) تقدم .

(٣٣٩) تقدم .

(٣٤٠) المعجم الكبير (١١ / ٣٧٣) رقم ١٢٠٤٥ .

(٣٤١) تقدم .

فيه مسائل :

تفسير الإيمان الصادق والكاذب من قوله ﷻ : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} [سورة النساء ٤/٦٠]

كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

وأما الذي يكره ما أنزل الله ويبغض ما أنزل الله فهذا كفر أكبر ؛ لأن الله ﷻ يقول : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [سورة محمد ٤٧/٩] فالذي يكرهه ويبغضه هذا كفر أكبر ، وأما الذي يثقل عليه العمل ويكرهه بطبعه ولا يكره حكم الله ﷻ فإنه لا يكفر ، قال ﷻ : {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ} [سورة البقرة ٢/٢١٦] يعني تكرهه نفوسهم وتتثاقل عند فعله لكنهم يحبونه لما فيه من الثواب والأجر .

بـــاب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [سورة الرعد ١٣/٣٠] **الآية.**

وفي صحيح البخاري قال علي: ((حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟))[٣٤٢].

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض ــ لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات، استنكاراً لذلك ــ فقال: ((ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه)) [٣٤٣] **انتهى.**

((ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر: (الرحمن) أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [سورة الرعد ١٣/٣٠] **))** [٣٤٤].

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

---

(٣٤٢) البخاري (١ / ٥٩) (١٢٧) .

(٣٤٣) مصنف عبد الرزاق (١١ / ٤٢٣) رقم ٢٠٨٩٥ .

(٣٤٤)البخاري (٢ / ٩٧٤) رقم ٢٥٨١. صحيح مسلم (٣ / ١٤١١) رقم ١٧٨٤

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه هلك.

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

هذا الباب فيه بيان أن جحد شيءٍ من الأسماء والصفات كفر ينافي التوحيد .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أن الإيمان بالأسماء والصفات يستلزم توحيد العبادة ، ويعلم به العبد أن هذا المسمى بالأسماء الحسنى والمتصف بالصفات العليا هو المستحق للعبادة دون ما سواه .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقول الله تعالى** : {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [سورة الرعد ٣٠/١٣] **]** :

هذا في قريش كما في البخاري : لما قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : ((**اكتب باسم الله الرحمن الرحيم**))[٣٤٥] فقال سهيل بن عمرو : " لا نعرف الرحمن و لا الرحيم " وكان من أهل الجاهلية من يؤمن بهذا الاسم كما قال بعضهم :

"وما يشأ الرحمن يعقد ويطلقِ"

وهذه الآية في طائفة أخرى من أهل الجاهلية ممن ينكر اسم الرحمن والشاهد هنا أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الإنكار كفراً فقال : {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [سورة الرعد ٣٠/١٣] فمن أنكر شيئاً من الأسماء أو الصفات مع علمه وتبين الهدى له فهو كافر معاند لقوله عز وجل : {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً} [سورة النساء ١١٥/٤] ومن هؤلاء الجهمية الذين كفرهم السلف كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

ولقد تقلد كفرهم خمسون عشر من العلماء في البلدانِ

وهؤلاء خمسمئة عالم قد كفروا الجهمية وحكى ذلك رحمه الله عن اللالكائي والطبراني .

إذن من أنكر شيئاً من الأسماء أو الصفات مع علمه أن هذا قد جاء في الوحيين فهذا قد تبين له الهدى فهو مكذب لله ولرسوله ﷺ فهو كافر .

أما من كان مؤمناً بالله ورسوله ﷺ مؤمناً بما جاء في الوحيين لكنه أخطأ فتأول في بعض الصفات فإنه لا يكفر ؛ لأن الله عز وجل يقول : {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [سورة البقرة ٢٨٦/٢] وإن صار بذلك مبتدعاً فاسقاً أو مبتدعاً ضالاً .

كما يقع هذا من الأشاعرة المتأولة المعطلة المحرفة المبتدعة فهؤلاء ليسوا بكفار لما عندهم من التأويل .

---

(٣٤٥) تقدم .

أما إذا كان التأويل عبثاً غير سائغ كما يقع من الباطنية ، كقولهم : إن الحج قصد شيوخهم إلى غير هذا من التأويلات غير السائغة فهؤلاء كفار .

وليعلم أن التكفير باب عظيم ولا يلجه إلا من رسخت قدمه في العلم فيخشى على العبد من الزلة فيه ، وينبني باب التكفير على أصلين عظيمين :

الأصل الأول : أن يكون هناك برهان عن الله أو عن رسوله ﷺ يدل على أن هذا الفعل أو هذا القول موجب للكفر

الأصل الثاني : أن تنتفي الموانع وتتوفر الشروط فيمن يكفر بعينه ، فلا تقول : إن فلاناً كافر حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع ولذا تجد أهل السنة والجماعة يقولون : من قال : " إن القرآن مخلوق فهو كافر " هذا على سبيل الإطلاق كما قال الإمام أحمد وغيره من السلف ، ومع ذلك فإن الإمام أحمد لم يكفر الخليفة المأمون ، ولا الواثق ، و لم يكفر القضاة ؛ لأن هذا من باب تكفير الأعيان فلابد فيه من أن تتوفر الشروط وتنتفي الموانع .

ومن الموانع : التأويل السائغ ، كأن يتمسك بوجه من اللغة ، أو أن يتمسك بنص عام كما يتمسك هؤلاء المعطلة بنفي التشبيه في قوله ﷻ : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [سورة الشورى ١١/٤٢] فينفون الصفات لاعتقادهم أن إثباتها يقتضي التشبيه ، فهذا يعصم دماءهم وأموالهم لكنهم بهذا مبتدعة من الفرق الضالة .

قوله : [و في صحيح البخاري : قال علي : ((حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟)) (٣٤٦) **] :**

هذا الأثر الذي رواه البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القُصَّاص والوعاظ ، فالواجب على من دخل في هذا الباب أن يحذر من أن يتحدث بحديث لا تبلغه عقول العامة ، وإن كانت عقول الخاصة من أهل العلم تدركه وتحمله على محامله ، لكن العامة قد لا يدركون ذلك ويعرض دينهم للخطر ، فلابد وأن يحتاط المتحدث من خطيب أو واعظ أو محاضر فيما يحدث الناس به فلا يحدثهم بما لا تبلغه عقولهم ، ومن ذلك تفاصيل باب الأسماء والصفات ، فالعامي المطلوب منه أن يكون عنده إيمان مجمل بالأسماء والصفات ، وأما أن يتحدث معه بتفاصيل ذلك ، كأن يشرح له حديث الصورة ، أو يشرح له مسألة النزول ،

(٣٤٦) تقدم .

وتفاصيل ذلك ، ولا يكتفي معه بمجرد ذكر الحديث ، بل يذكر ما يذكره أهل العلم من دقيق العلم في هذا فإنه قد يعرض دين العامي للخطر؛ لأن مثل هذه الأمور قد لا تبلغها عقول العامة .

وعن ابن مسعود ﷺ كما في صحيح مسلم أنه قال : ((**ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**))[٣٤٧] ، ولذا نهى مالك **رحمه الله** عن التحديث بحديث الصورة هذا كله لما يخشى على العامي من الفتنة .

قوله : [وروى عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس : " أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ((ما فرق هؤلاء !؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه ؟))[٣٤٨] انتهى] :

وهذا الإسناد صحيح .

(**انتفض**) : أي اقشعر جلده وذلك لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات .

(**ما فرق هؤلاء**) : أي لم يفزعون ويخافون وتقشعر جلودهم استنكاراً .

(**يجدون رقه عند محكمه**) : أي يجدون ليناً وتخشع قلوبهم وتذرف دموعهم عند الآيات المحكمة .

(**ويهلكون عند متشابهه**) : أي إذا حدثوا بما هو متشابه عندهم وهو تشابه نسبي ضلوا عن الحق فهلكوا ؛ لأن المتشابه على نوعين متشابه مطلق ومتشابه نسبي ، فالمتشابه المطلق : هو الذي لا يعلمه إلا الله ككيفية الصفات وككيفية نعيم أهل الجنة ، فإن كنه ذلك وحقيقته ، لا يعلمه إلا الله فهذا متشابه مطلق .

النوع الثاني : متشابه نسبي ، أي بالنسبة إلى بعض الناس تكون المسألة مشتبهة غير واضحة لكن الراسخين في العلم يعلمونها وهي بينة واضحة لهم فهو ليس متشابهاً في الأصل .

قوله : [ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم : {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [سورة الرعد ٣٠/١٣] **]** .

بـــاب قول الله تعالى : {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ = ٨٣} **[سورة النحل ٨٣/١٦].**

---

(٣٤٧) مسلم (١ / ١٠) رقم ٥ .

(٣٤٨) تقدم .

قال مجاهد ما معناه: ((هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي)) [٣٤٩].

وقال عون بن عبد الله: ((يقولون: لولا فلان لم يكن كذا)) [٣٥٠].

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: ((إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..)) [٣٥١] الحديث، وقد تقدم ــ وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

باب قول الله ﷻ {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} [سورة النحل ٨٣/١٦]

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن الفرض على العبد أن يضيف النعم إلى مسديها سبحانه وتعالى بلسانه ، كما أنه يقر بها في قلبه .

وإضافة النعم إلى غير الله باللسان شرك أصغر ، وهو من الشرك في الألفاظ ، وإن كان يقر بقلبه أن الله هو المنعم ، وهذا كثير على ألسنة الناس ، يقول مثلاً : " لولا أن الطيار ماهر لما سلمنا " ، و " لولا واسطة فلان لما توظفت " إلى غير ذلك ، هذا كله من الشرك الأصغر وهو من الشرك في الألفاظ فهو يقر أن الله هو المنعم ويعترف بهذا لكن بلسانه يضيف النعمة إلى غير الله .

---

(٣٤٩) تفسير الطبري (٧ / ٦٢٩) .

(٣٥٠) تفسير الطبري (٧ / ٦٢٩) .

(٣٥١) تقدم .

{يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} : يعرفون أن الله هو المنعم وحده لكنهم يضيفون النعمة بألسنتهم إلى غيره .

قال المؤلف رحمه الله : **[قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي]** :

وهذا من باب إضافة النعم إلى غير الله وهو من الشرك في الألفاظ وهو من الشرك الأصغر .

قوله : [وقال عون بن عبد الله : لولا فلان لم يكن كذا ، وقال ابن قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا] :

وهذا شرك أكبر ؛ لأن اتخاذ الشفعاء من دون الله شرك أكبر .

قوله : [وقال أبو العباس : " بعد حديث زيد بن خالد " الذي فيه " وأن الله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر " الحديث ، وقد تقدم ، وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم الله سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به] :

أبو العباس أي شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمه الله** تعالى .

قوله : [قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير] :

لما نجوا من البحر ، لم يقولوا : " هذا بفضل الله " وإنما قالوا : " كانت الريح طيبة وساكنة وكان الملاح حاذقاً " ، والملاح : هو قائد السفينة ، وأضافوا النعمة إلى غير الله ﷻ ، وهذا في الألفاظ مع اعتقادهم أن ذلك سبب وأن الله ﷻ هو المنعم على الحقيقة ، وإذا كان ابن آدم يغضب إذا لم يذكر فضله فكيف بالله ﷻ الذي خلق وأوجد وأنعم ﷻ .

بـــــاب قول الله تعالى : {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ٢/٢٢].

قال ابن عباس في الآية: ((الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك)) [٣٥٢] **رواه ابن أبي حاتم.**

(٣٥٢) تفسير ابن أبي حاتم – (١ / ٥٨) رقم ٢٢٧ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) [٣٥٣] **رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.**

وقال ابن مسعود: ((لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقا)) [٣٥٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)) [٣٥٥] **رواه أبو داود بسند صحيح.**

وجاء عن إبراهيم النخعي ((أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان)) [٣٥٦].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً، فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

باب قول الله ﷻ : {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة ٢/٢٢]

هذا الباب في أحد نوعي التنديد وهو التنديد الذي يكون من باب الشرك الأصغر ، وعليه فالاستدلال بهذه الآية من باب الاستدلال بالآية التي جاءت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛ لأن الشرك الأصغر ذريعة إلى الشرك الأكبر وسبب موصل إليه .

(٣٥٣) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٦٩) رقم ٥٣٧٥ . سنن أبي داود (٢ / ٢٤٢) رقم ٣٢٥١ بلفظ " أشرك " . سنن الترمذي (٤ / ١١٠) رقم ١٥٣٥ وقال " حسن " . صحيح ابن حبان (١٠ / ١٩٩) رقم ٤٣٥٨ . المستدرك (١ / ٦٥) رقم ٤٥ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣٥٤) المعجم الكبير (٩ / ١٨٣) رقم ٨٩٠٢ . مصنف عبد الرزاق (٨ / ٤٦٩) رقم ١٥٩٢٩ . مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٧٩) رقم ١٢٢٨١ .

(٣٥٥) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٣٩٤) رقم ٢٣٣٩٥ . سنن أبي داود (٢ / ٧١٣) رقم ٤٩٨٠ .

(٣٥٦) مصنف عبد الرزاق (١١ / ٢٧) رقم ١٩٨١١ أوله .(وآخره في مسند إسحاق بن راهويه (٥ / ٢٥٦) رقم ٢٤٠٩ مرفوعاً .

{فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} أي : في العبادة {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه هو الرب الخالق الرازق ، فكما أنكم تعرفون أن الله هو خالقكم ورازقكم وموجدكم من العدم ، فلا تجعلوا له أنداداً ولا تعبدوا معه غيره كقوله ﷻ : {اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة ٢/٢١] .

قال المؤلف رحمه الله : **[قال ابن عباس في الآية : ((الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك))** [٣٥٧] **رواه ابن أبي حاتم]** وهذا كما تقدم من باب الاستدلال بالآية التي في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر ؛ لأن الشرك الأصغر ذريعة إلى الأكبر .

ومثل ذلك : لو قال رجل لمن يخلو بالنساء إن الله ﷻ يقول : {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى} [سورة الإسراء ١٧/٣٢] فهذا استدلال صحيح ؛ لأن الخلوة بالنساء ذريعة إلى الفاحشة أي لا تقربوا الفاحشة ولا تقربوا ذرائعها .

{فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} [سورة البقرة ٢/٢٢] أي لا تشركوا بالله الشرك الأكبر ، ولا تأتوا الشرك الأصغر الذي هو ذريعة إلى الشرك الأكبر .

ويسمى بالشرك الخفي كما قال ﷺ فيما ورد في مسند أحمد ومعجم الطبراني بإسناد جيد **((اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، قالوا : يا رسول الله وكيف نتقيه قال قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه))** [٣٥٨] .

(**وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي**) هذا حلف بغير الله وهو من الشرك الخفي شرك الألفاظ وسيأتي الكلام عليه في الباب الذي بعده إن شاء الله .

(**وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتى اللصوص**) هذا من باب إضافة النعمة إلى غير مسديها ﷻ وهو من الشرك في الألفاظ .

---

(٣٥٧) تقدم .

(٣٥٨) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٤٠٣) رقم ١٩٦٢٢ . الأدب المفرد (١ / ٢٥٠) ٧١٦ . المعجم الأوسط (٤ / ١٠) رقم ٣٤٧٩ . مسند أبي يعلى (١ / ٦٠) رقم ٥٨ .

(**وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت**) والواو تفيد التشريك فالتسوية في الألفاظ بين الله وبين خلقه شرك أصغر وهو من الشرك في الألفاظ .

(**وقول الرجل لولا الله وفلان**) والجائز أن يقول لولا الله ثم فلان .

(**لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم**) : رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وهذا كله من الشرك في الألفاظ وهو من الشرك الخفي .

قوله : [وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) (٣٥٩) **رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم]** :

والحديث صحيح وفيه أن الحلف بغير الله شرك أصغر ، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال : ((**لا تحلفوا بآبائكم من حلف فليحلف بالله أو ليصمت**)) (٣٦٠) .

وأما ما رواه مسلم من قوله : ((**أفلح وأبيه إن صدق**)) (٣٦١) فهو منسوخ فإن العرب تعظم الآباء ولذا قال الله ﷻ : {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [سورة البقرة ٢/ ٢٠٠] إذا انتهوا من المناسك وقفوا وأخذ كل واحد منهم يذكر مآثر آبائه وكانوا يحلفون بالآباء فنهوا عن ذلك .

ومن ذلك أيضاً الحلف بالأمانة قال ﷺ كما ورد في أبي داود : ((**من حلف بالأمانة فليس منا**)) (٣٦٢) حتى وإن قال : أنا لا أقصد كمن يجري على لسانه الحلف بالنبي ﷺ نقول : هذا من الشرك في الألفاظ وعليك أن تحذر منه .

قوله : [وقال ابن مسعود ﷺ : ((لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً)) (٣٦٣) **]** :

---

(٣٥٩) تقدم .

(٣٦٠) تقدم .

(٣٦١) مسلم (١ / ٤٠) رقم ١١ .

(٣٦٢) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٣٥٢) . سنن أبي داود (٢ / ٢٤٣) رقم ٣٢٥٣. رقم ٢٣٠٣٠ . صحيح ابن حبان (١٠ / ٢٠٥) رقم ٤٣٦٣ .

(٣٦٣) تقدم .

رواه عبدالرزاق بإسناد صحيح ؛ وذلك لأن سيئة الشرك أعظم من سيئة المعصية فالذي يحلف بالنبي وهو صادق أقبح من الذي يحلف بالله وهو كاذب التي هي اليمين الغموس ؛ لأن الشرك الأصغر أقبح من اليمين الغموس .

قوله : [وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)) [٣٦٤] رواه أبو داود بسند صحيح] :

لأن الواو تفيد التسوية والتشريك، وثم تفيد التراخي فمرتبة فلان متراخية عن مرتبة الله سبحانه وتعالى.

قوله : [وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ، قال ويقول : لولا الله ثم فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان] :

لأن ثمَّ تفيد التراخي .

والأثر رواه ابن جرير وغيره .

بـــاب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله)) [٣٦٥]، رواه ابن ماجه بسند حسن.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

الله سبحانه وتعالى معظم في قلوب أهل التوحيد ، ومن تعظيمهم لله سبحانه وتعالى قناعتهم بالحلف به سبحانه وتعالى ، والذي لا يقنع بالحلف بالله سبحانه وتعالى عنده ضعف في التوحيد وسوء أدب مع الله ، فتجد بعض الناس إذا قيل له : والله ما فعلت كذا ، قال : هذا لا يكفي " قل عليّ الطلاق " أو قل " عليّ لعنة الله " إلى غير ذلك فلا يقنع باليمين بالله سبحانه وتعالى .

---

(٣٦٤) تقدم .

(٣٦٥) سنن ابن ماجه (١ / ٦٧٩) رقم ٢١٠١ .

لكن إن كان الرجل معروفاً بالكذب والفجور فإنك إن لم تقنع بيمينه فليس هذا راجعاً إلى اليمين إنما هو راجع إلى ما تعلمه من فجوره وكذبه .

ومما يدخل في هذا الباب القناعة باليمين إذا وجهه إلى الخصم بالدعوى ، فإذا قال : لك القاضي وأنت المدعي ليس لك إلا يمين المدعى عليه لعدم البينة فيجب عليك أن ترضي فهذا هو حكم الله ﷻ .

قال المؤلف رحمه الله : **[عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له فليرض ومن لم يرض فليس من الله))** (٣٦٦) **رواه ابن ماجه بسند حسن]** :

(**ابن ماجه**) : بالهاء وقفاً ووصلاً ، لا يقال : (ابن ماجة) بالتاء ، وماجه اسم أمه ، والحديث إسناده حسن .

وهذا من باب الوعيد ويدل على أن عدم الرضا باليمين محرم .

بـــاب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة، أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ((ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت)) (٣٦٧) **رواه النسائي وصححه.**

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: ((أ جعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده)) (٣٦٨)**.**

ولابن ماجه عن الطفيـــل أخـــي عائشة لأمهـــا قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال: (هل أخبرت بها أحداً؟) قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان

(٣٦٦) تقدم .

(٣٦٧) مسند أحمد بن حنبل (٦ / ٣٧١) رقم ٢٧١٣٨ ، سنن النسائي (٧ / ٦) رقم ٣٧٧٣ . من حديث قتيلة . المستدرك (٤ / ٣٣١) رقم ٧٨١٥ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣٦٨)مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢١٤) رقم ١٨٣٩ ، سنن النسائي الكبرى (٦ / ٢٤٥) رقم ١٠٨٢٥ . . الأدب المفرد (١ / ٢٧٤) رقم ٧٨٣ .

يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده)) [٣٦٩].

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم: (أ جعلتني لله نداً؟) فكيف بمن قال:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك . . . .

والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله: (يمنعني كذا وكذا).

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.

باب قول ما شاء الله وشئت

قول ما شاء الله وشئت ينافي كمال التوحيد الواجب فإن الواو كما تقدم في الدرس السابق تفيد التشريك والتسوية بين المعطوف والمعطوف عليه بخلاف ثم فإنها تفيد التراخي فتكون رتبة المعطوف متراخية عن رتبة المعطوف عليه .

قال المؤلف رحمه الله : **[عن قتيلة : أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال يا محمد أنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة ((فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت))** [٣٧٠] **رواه النسائي وصححه] :**

والظاهر أن في العزو سقطاً ، فقد رواه الحاكم وصححه ، وأما النسائي فإنه لم يصرح بالتصحيح ، وعلى ذلك فيقال رواه النسائي والحاكم وصححه والحديث صحيح وممن صححه من أهل العلم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

(**قُتيلة**) : بنت صيفي صحابية من الأنصار رضي الله عنها .

وفي الحديث أن قول : (ما شاء الله وشئت) شرك أصغر فهو من الشرك في الألفاظ .

---

(٣٦٩) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٧٢) رقم ٢٠٧١٣ . وفي سنن ابن ماجه (١ / ٦٨٥) رقم ٢١١٨ مختصراً .

(٣٧٠) تقدم .

قوله : [وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((أجعلتني لله نداً ما شاء الله وحده)) [٣٧١] **]** :

هذا الحديث رواه أحمد والنسائي وهو حديث حسن وفيه أن قول ما شاء الله وشئت من التنديد والتنديد كما تقدم نوعان تنديد أكبر وتنديد أصغر وهذا من التنديد الأصغر أي من الشرك الأصغر .

قوله : [ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، ومررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال : هل أخبرت بها أحداً ، قلت : نعم ، قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ((أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها – وفي رواية لأحمد : يمنعني الحياء – **فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده))** [٣٧٢] **الحديث حسن]** :

(**رأيت**) : أي في المنام .

(**أنكم لأنتم القوم**) : يعني نعم القوم .

(**لولا أنكم تقولون عزير ابن الله**) : أي لولا هذا الشرك الأكبر .

(**كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**) : وفي رواية لأحمد : ((يمنعني الحياء))[٣٧٣] .

فإن قيل : وهل يمنع الحياء النبي ﷺ عن إنكار المنكر ؟ وهذا من الشرك كما تعلمون ؛ لأن قول : (ما شاء الله وشئت) شرك أصغر ؟

فالجواب : أن النبي ﷺ لم يكن قد أمر بالإنكار فكان يستحي من الله ﷻ أن ينكر حيث لم يؤمر ، فلما ذكرت له هذه الرؤيا وافقت ما في نفسه ﷺ فنهى عن ذلك ، فهي رؤيا حق ، والرؤيا جزء من النبوة أي رؤيا النبي ﷺ أو رؤيا من يقره الوحي ، وأما الرؤيا التي تكون بعد وفاة النبي ﷺ ولم تقر منه ﷺ فليست بوحي .

---

(٣٧١) تقدم .

(٣٧٢) تقدم .

(٣٧٣) تقدم .

فيه مسائل :

١– معرفة اليهود بالشرك الأصغر :

ومع ذلك فإن من العلماء المنتسبين إلى الأمة من يجهل الشرك الأكبر ، فيجيز التوسل بالأموات والاستغاثة بهم ويجيز اتخاذهم شفعاء من دون الله ﷻ ، فاليهود كانوا يعلمون أن هذا من الشرك الأصغر وإن كانوا لا يعملون ؛ لأنهم أمة مغضوب عليها والعياذ بالله فهم يعرفون الحق ولا يعملون به .

٢– فهم الإنسان إذا كان له هوى :

الإنسان الذي له هوى في الشيء تجد عنده فهماً له ؛ لأنه يريد أن يعارض ويجادل بذلك هواه.

٣– **قوله** : (**أجعلتني لله نداً**) **فكيف بمن قال : " يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك " والبيتين بعده :**

ماذا قال الرجل ؟ قال : " ما شاء الله وشئت " هذا شرك وهو شرك كما تقدم في الألفاظ فالنبي ﷺ قال : (**أجعلتني لله ندا**) أنكر عليه ﷺ إنكاراً غليظاً فكيف لو سمع النبي ﷺ البوصيري ومن ينشد قصائده ماذا يقول له ﷺ وقد قال هذه المقالة الغليظة فيمن قال : " ما شاء الله وشئت " فكيف لو سمع ما قاله البوصيري :

يا أكرمَ الخلق مالي مَن ألوذ ... سواك عند حلولِ الحادث

إن لم تكن آخذاً يومَ المعادِ ... عفواً وإلا فقل يا زلةَ

فإن من جودك الدنيا ... ومن علومك علمَ اللوحِ

فجعل الدنيا من جود النبي ﷺ ومن علومه علم اللوح والقلم فماذا ترك لرب العالمين .

[٤– أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله : " يمنعني كذا وكذا "] :

قول ما شاء الله وشئت ليس من الشرك الأكبر لقوله (يمنعني كذا وكذا) ولو كان من الشرك الأكبر لنبه عليه ﷺ وبيّنه من أول بعثته ﷺ .

بـــاب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ} [سورة الجاثية ٤٥/٢٤] **الآية.**

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار)) [٣٧٤] **وفي رواية: ((لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر))** [٣٧٥].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: (فإن الله هو الدهر).

الرابعة: أنه قد يكون سابّاً ولو لم يقصده بقلبه.

باب من سب الدهر فقد آذى الله

الدهر هو الوقت والزمان وسبه أي ذمه ولعنه ، فسب الدهر بمعنى ذم الزمان وذم الأيام والليالي ولعنها .

وكان هذا من فعل أهل الجاهلية وقد تبعهم على هذا كثير من الناس في شعرهم وفي نثرهم كقول ابن المعتز :

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً .....وأنت والد سوء تأكل الولدا

وهو كثير لا حصر له وهو جاري على ألسنة كثير من الناس يلعن اليوم الذي رأى فيه فلاناً ، أو يسب اليوم الذي نكح فيه فلانة ، أو اليوم الذي اشتغل فيه بالتجارة الفلانية ، إلى غير ذلك فهذا كله جارٍ على ألسنة الناس وهذا ينافي كمال التوحيد الواجب .

والدهر – كما هو معلوم – مصرَّف مدبَّر ليس بيده أمر بل الأمر بيد خالقه ﷻ الذي يصرف الليالي والأيام ، وهو الذي جعلها ظرفاً لما فيها من خير أو شر ، فمن سب الدهر فإن ذلك يرجع إلى الله ﷻ ؛ لأنه هو المتصرف بالدهر وهو خالقه فالدهر ليس إلا ظرفاً كالإناء الذي يوضع فيه الماء أو الخمر فمن سب الدهر فقد سب الله ﷻ .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقول الله ﷻ** : {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ} [سورة الجاثية ٤٥/٢٤] **]** :

يقول المشركون ما هي إلا حياتنا الدنيا ليس هناك بعث ولا نشور .

---

(٣٧٤) البخاري (٤ / ١٨٢٥) رقم ٤٥٤٩ . ومسلم (٢٢٤٦).

(٣٧٥) مسلم (٤ / ١٧٦٢) رقم ٢٢٤٦.

{نَمُوتُ وَنَحْيَا} تموت طائفة وتحيا طائفة أخرى ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ} أي ما يهلكنا إلا مرور الأيام والليالي وهذا فيه إنكار للقدر .

قوله : [وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((**قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار**))[٣٧٦] **والحديث متفق عليه] :**

(**يؤذيني ابن آدم**) : الله سبحانه وتعالى يتأذى كما قال عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [سورة الأحزاب ٥٧/٣٣] فما يكرهه الله سبحانه وتعالى من الأقوال والأفعال يؤذيه ولا يضره قال عز وجل : {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى} [سورة آل عمران ١١١/٣] وعليه فلا يلزم من الأذى الضرر ، ولذا قال عز وجل : {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً} [سورة آل عمران ١٧٦/٣] وقال في الحديث القدسي كما في صحيح مسلم : ((**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**))[٣٧٧] فالله عز وجل لا يمكن أن يلحق به ضرر لكنه يتأذى من المقالات التي فيها تنقص له سبحانه وتعالى ووصف له بالمعايب والنقائص .

(**وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار**) : ففسر قوله : " وأنا الدهر " بقوله : " أقلب الليل والنهار " فمعنى قوله وأنا الدهر أي أصرف الدهر وفي الصحيحين ((**بيدي الأمر**))[٣٧٨] .

وغلط ابن حزم رحمه الله تعالى حيث جعل الدهر من أسماء الله تعالى فجعل الدهر من أسماء الله سبحانه وتعالى لقوله : " أنا الدهر " ولا يصح من وجهين :

الوجه الأول : أن الله أنكر على المشركين قولهم : **{ وما يهلكنا إلا الدهر }** ولو كان الدهر من أسماء الله لم ينكر قولهم هذا .

الوجه الثاني : أن الدهر اسم جامد وأسماء الله سبحانه وتعالى أسماء حسنى قد بلغت في الحسن الغاية فليست جامدة بل مشتقه، وهذا القول قد تفرد به ابن حزم رحمه الله تعالى .

والصواب أن الدهر ليس من أسماء الله الحسنى .

قوله : [و في راوية : (لا تسبوا الدهر ، فإن الدهر هو الله)] :

هذه الرواية في صحيح مسلم وتقدم تفسيره .

فيه مسائل :

---

(٣٧٦) تقدم .

(٣٧٧) مسلم (٤ / ١٩٩٤) رقم ٢٥٧٧ .

(٣٧٨) تقدم .

١- تسميته أذى لله :

لأنه قد سب من ليس بيده الأمر فرجع هذا إلى الذي بيده الأمر وهو الله ﷻ .

٢- أنه قد يكون سابًّا ولو لم يقصده بقلبه :

فالذي يسب الأيام والليالي لا يقع في قلبه أن يسب الله ﷻ ، لكنه لازم قوله ، كالذي يسب أب الرجل فيسب الرجل أباه فهو لا يقصد أن يسب أباه لكنه تسبب في ذلك .

بـــــاب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله)) قال سفيان : " مثل شاهان شاه" (٣٧٩).

وفي رواية: ((أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه)) (٣٨٠)**. قوله (أخنع) يعني أوضع.**

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

ونحوه : أي من الأسماء التي تختص بالله ﷻ وحده ، وتسمية غير الله ﷻ بها ذريعة إلى أن يعتقد لهذا المسمى ما يعتقد لله ﷻ من المعاني التي يشتمل عليها هذا الاسم ،وهو من الكفر الأكبر.

وأما مجرد التسمية فلا يجوز ، فالأسماء التي يختص بها الله ﷻ على الإطلاق لا يسمى بها غير الله ﷻ ومن ذلك " قاضي القضاة " وقاضي القضاة هو الله ﷻ الذي يقضي بين القضاة بحكمه ﷻ ، فإن كان على سبيل التقييد كقولهم : " قاضي قضاة البلاد الشامية " أو المصرية أو النجدية فلا بأس بذلك .

وقولهم " رئيس القضاة " و " رئيس القضاء الأعلى " جائز ؛ لأن معناه الذي ينظم أمور القضاة ويدير شؤونهم وهذا لا يختص بالله ﷻ .

---

(٣٧٩) البخاري (٥ / ٢٢٩٢) رقم ٥٨٥٣ . مسلم (٣ / ١٦٨٨) رقم ٢١٤٣ .

(٣٨٠) مسلم (٣ / ١٦٨٨) رقم ٢١٤٣ .

قال المؤلف رحمه الله : **[في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى مَلِك الأملاك لا مالك إلا الله))** (٣٨١) **]** :

(**أخنع**) : أذل وأوضع ، وهذا من باب المعاقبة بنقيض القصد والذي حمل هذا الرجل أن يتسمى بهذه الأسماء التي تختص بالله ﷻ التعاظم والكبر ، فعوقب بنقيض قصده ، فأذله الله ﷻ وجعله وضيعاً وكان هذا الاسم أخنع اسم وأوضع اسم ، " فملك الأملاك " على الإطلاق هذا ليس إلا لله ﷻ فإن قيَّد فلا بأس كملك البلاد المصرية ، وأما إذا قال ملك الأملاك أو حاكم الحكام فلا يجوز ؛ لأن هذا مختص بالله ﷻ .

(**لا مالك إلا الله**) : أي لا مالك على الحقيقة إلا الله ﷻ وما المُلْك الذي بأيدينا إلا منحة منه وعارية والمالك على الحقيقة هو الله ﷻ .

قوله : [قال سفيان : مثل شاهان شاه] :

هذه كلمة فارسية وهذا كما قال ابن القيم : " هذا محض القياس فلا يختص الحكم بالعرب" ، فالعجم أيضاً إذا أتوا بألفاظ بمعنى ملك الأملاك أو قاضي القضاة أو حاكم الحكام فلا تجوز لما تقدم لكنها داخلة في الحكم .

قوله : [و في رواية : ((أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه)) (٣٨٢) **قوله أخنع يعني: أوضع]** :

الغيظ هو أشد الغضب ، فالله ﷻ يغضب أشد الغضب على من يتسمى بهذا الاسم ، وهو أخبث اسم لما فيه من مضاهاة الله ﷻ فيما يستحق . والحديث رواه الإمام أحمد .

وفي المسند بإسناد صحيح ((**اشتد غضب الله على رجل زعم أنه ملك الأملاك**)) (٣٨٣) : فهذه الأسماء لا تكون إلا لله ﷻ ؛ لأن معناها يختص به ﷻ فهو حاكم الحكام وقاضي القضاة وملك الأملاك .

فيه مسائل :

١- التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه :

لأن القلب لو قصد هذا المعنى المختص بالله ﷻ لكان صاحبه كافراً وإنما الكلام فيمن لم يقصد المعنى فيكون من الألفاظ المنهي عنها سد للذريعة .

---

(٣٨١) تقدم .

(٣٨٢) تقدم .

(٣٨٣) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٤٩٢) رقم ١٠٣٨٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . المستدرك (٤ / ٣٠٦) رقم ٧٧٢٤ وصححه ووافقه الذهبي . المعجم الكبير (١١ / ٣٩٦) رقم ١٢١١٣ . مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٣٧٣) رقم ٣٦٧٩٣ .

بـــاب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله هو الحكم، وإليه الحكم)) فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: ((ما أحسن هذا فمالك من الولد؟)) قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: (فمن أكبرهم؟) قلت: شريح، قال: ((فأنت أبو شريح)) [٣٨٤]**، رواه أبو داود وغيره.**

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

من تعظيم الله ﷻ أن تحترم أسماءه ﷻ ومن ذلك ألا ترمى الأوراق التي فيها شيء من أسماء الله الحسنى في الطرق أو أماكن القاذورات .

ومن احترام أسمائه ﷻ أيضاً ألا يتسمى بالاسم المختص به ، وأسماء الله على نوعين :

النوع الأول : أسماء تختص بالله فلا تطلق إلا على الله ﷻ كرب العالمين والرحمن والرزاق والخالق .

النوع الثاني : أسماء لا تختص بالله ، بل تطلق على الله ، وتطلق على غيره ، وكل له من المعاني ما يليق به ، فالرب له ما يليق به والعبد له ما يليق به ، كالعزيز فهو يطلق على الله ﷻ وله من العزة ما يليق به فهو رب العالمين ، والعبد ، وله من العزة ما يليق به ، ومثل الحكيم والكريم فهي غير مختصة بالله ﷻ .

فهذه الأسماء التي لا تختص بالله ﷻ من باب الأدب ، أن تغير ، كالحَكَم والحكيم والعزيز والكريم ، وإن كان التسمي بها جائزاً .

وإذا لوحظت الصفة – عند التسمية – فسمي مع ملاحظة الصفة ، فمن أهل العلم من يمنع من هذا ويحمل عليه حديث الباب ، كالذي يُسمى بالكريم لكرمه ، أو الحكيم لحكمه ، والحكم لحكمه .

والصحيح جواز التسمية به ، لكنه خلاف الأولى ، ولذا فيستحب تغييره ، وأما إذا لم تلاحظ الصفة وكان علماً مجرداً فهو جائز .

---

(٣٨٤) سنن أبي داود (٢ / ٧٠٦) رقم ٤٩٥٥ . سنن النسائي (٨ / ٢٢٦) رقم ٥٣٨٧ . صحيح ابن حبان (٢ / ٢٥٧) رقم ٥٠٤ . المستدرك (١ / ٧٥) رقم ٦٢ . الأدب المفرد (١ / ٢٨٢) رقم ٨١١ .

ويدل على الجواز : ما أورده الحافظ ابن حجر في كتابه في الصحابة من تسمية كثير من أصحاب النبي ﷺ بذلك ، كحكيم بن حزام ، والحكم بن سعيد بن العاص ، وغيرهما ، وقد وصف الله ﷻ عباده في القرآن بالحليم والعزيز والحي وغيرهما مما لا يختص بالله سبحانه وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله : **[عن أبي شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي ﷺ : ((إن الله هو الحَكم وإليه الحُكم)) فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال : ((ما أحسن هذا فمالك من الولد ؟)) قلت : شريح ومسلم وعبدالله ، قال : ((فمن أكبرهم ؟)) قلت : شريح ، قال : ((فأنت أبو شريح))]**[٣٨٥] :

رواه أبودود وغيره وهو حديث حسن، وقال فيه ابن مفلح صاحب الفروع : إسناده صحيح.

(**أبو شريح**) : هو هانئ بن يزيد الكندي وقد أسلم عام الفتح .

(**إن الله هو الحَكم**) : أي هو الذي يرد إليه الحُكْم : {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ} [سورة الرعد ٤١/١٣] .

(**فرضي كلا الفريقين**) : لحسن حكمه وعدله .

(**قلت : شريح ومسلم وعبدالله**) : الواو لا تفيد الترتيب ، ولذا قال له النبي ﷺ : (**فمن أكبرهم ؟**) ولو كانت تفيد الترتيب لعلم أن أكبرهم شريحاً (**قال : فأنت أبو شريح**) : وهذا فيه ذكر البديل المناسب فإذا كانت المسألة التي تنهى عنها لها بديل مناسب يصلح ، فأرشد إليه وهذه قاعدة ينبغي للداعية أن يتنبه إليها ، فإذا نهى الناس عن شيء أرشدهم إلى البدائل المباحة إن وجدت ، وإن لم يكن لها بديل بشرهم بأن من اتقى الله سبحانه وتعالى جعل لهم مخرجاً .

وهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ غير اسم " أبي الحكم " إلى " أبي شريح " وهل هذا على الوجوب أو الاستحباب ؟

الذي يترجح لي : أن هذا على الاستحباب من باب الأدب ، ولذا فإن النبي ﷺ لم يغير اسم حكيم بن حزام ولا الحكم بن سعيد بن العاص ، وإن قلنا إنه على الوجوب هنا فإنه ينبغي أن يكون هذا لملاحظة الصفة كما تقدم ولكن هذا فيه نظر ؛ لأن النبي ﷺ قال : (**إن الله هو الحَكم و إليه الحُكم**) قبل أن يقول له : (**إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين**) الذي يدل على ملاحظة الصفة . ويدل على الجواز قول الله ﷻ : {فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا} [سورة النساء

(٣٨٥) تقدم .

٣٥/٤] وقول الله ﷻ : {وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} [سورة البقرة ١٨٨/٢] والحكام جمع حاكم وعرف بأل وهو بمعنى الحكم فالذي يترجح أن هذا من باب الأدب المستحب .

فيه مسألة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

هذا من باب الأولى، فالأولى أن يختار أكبر الأبناء للكنية، لكن لو تكنى بالذي دونه فلا بأس.

بـــاب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالي: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}[سورة التوبة ٦٥/٩] **الآية.**

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض – : أنه قال رجل في غزوة تبوك: " ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء ــ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القرّاء ــ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه – وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب – فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون))[٣٨٦] ما يتلفت إليه وما يزيده عليه ".

فيه مسائل:

الأولى: وهي العظيمة: أن من هزل بهذا فهو كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل.

(٣٨٦) تفسير الطبري (٦ / ٤٠٨) .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

هذا الباب في ذكر ناقض من نواقض التوحيد ، وهو الاستهزاء بالله أو الرسول أو القرآن ، وقد أجمع أهل العلم من الصحابة فما بعدهم من أئمة الهدى كما حكى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره : أن من استهزأ بالدين فإنه يكفر ، ولو كان مازحاً هازلاً ، ويُرجع في معرفة الهزل إلى العُرف ، فكل ما عده الناس هزلاً في عرفهم فهو هزل من الأقوال والأفعال ، كغمز العين وتحريك اللسان ونحو ذلك ، فإن كان استهزاؤه لجهله أن هذه المسألة من الدين كالذي يستهزئ باللحى لظنه أنها ليست من الدين فإنه لا يكفر حتى يُعرَّف ، كذلك إذا كان استهزاؤه لا يرجع إلى الدين وإنما يرجع إلى الشخص المستهزأ به أي إلى الفاعل لا إلى الفعل كطريقة فلان بالأذان أو بلحية فلان ونحو ذلك فلا يكفر لكن هذا من السخرية المحرمة وهي من كبائر الذنوب .

قال المؤلف رحمه الله : **[وقول الله تعالى** : {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [سورة التوبة ٦٥/٩] **]** :

فهؤلاء القوم كفرهم الله ﷻ بالاستهزاء فقال : {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [سورة التوبة ٦٦/٩] وقد قالوا : " إنهم كانوا يخوضون ويلعبون " فدل هذا على أن الخوض واللعب في هذا الباب ليس بعذر ، وعلى ذلك فإذا استهزأ لاعباً أو مازحاً فإنه يكفر ، وهذا يدل أيضاً على أن الكفر يكون بالقول ، كما أنه يكون بالاعتقاد والفعل والشك ، فإذا اعتقد أن الله لن يبعث من في القبور فهذا كفر بالاعتقاد ؛ لأنه اعتقد في قلبه ذلك ، وإن استهزأ بالدين فهذا كفر بالقول ، وإن ترك الصلاة أو وطئ المصحف فهذا كفر بالفعل ، وإن شك في البعث فهو كفر بالشك ، وعلى ذلك فالكلمة قد تكون كفراً ، فلا يشترط الاعتقاد ، فلا يقال لمن استهزأ بالدين هل تعتقد أم لا ؟، ولا يقال لمن سب الله والرسول هل تعتقد أم لا ، فالكفر يكون بالقول فالكلمة إذن قد تكون كفراً ومن ذلك الاستهزاء بالدين .

هؤلاء المستهزئون بالله ورسوله ﷺ لو كانوا يظنون أنهم ينجيهم أن يقولوا لم نعتقد لقالوا ذلك وإنما قالوا :

{إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [سورة التوبة ٦٥/٩] وكذبوا الشهود ، فدل على أنه لا ينظر إلى الاعتقاد في مثل هذه المسائل بل يكفر بالكلمة في هذه المسألة .

فكل ما دل الكتاب والسنة على أنه كفر أكبر فهو كفر أكبر سواءً كان اعتقاداً أو قولاً أو فعلاً أو شكاً.

فإن قيل : إن هذه الآية في المنافقين ، كما يدل على ذلك السياق القرآني ، فالجواب : إن المنافق محكوم له بالإيمان الظاهر ، ولذا فإنه يرث ويورث ، ولذا قال ﷻ : {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [سورة التوبة ٩/٦٦] فالله ﷻ لم يكفرهم هنا بالنفاق ، والآيات الأخرى قد دلت على أن المنافق كافر ، لكن هؤلاء الأشخاص المعينين الذين حصل منهم الاستهزاء ، وإن كان عندهم نفاق في الباطن تكفرهم به الأدلة الأخرى لكننا نحكم لهم بالإيمان الظاهر ، فالمنافق تجري عليه أحكام أهل الإسلام ويحكم عليهم في الدنيا بالإيمان الظاهر ، وهذا المنافق الذي لم يظهر لنا نفاقه ، أما من ظهر نفاقه كعبدالله بن أُبي فقد قال الله ﷻ : {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [سورة التوبة ٩/٨٤] .

كقوله ﷻ : {قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [سورة التوبة ٩/٦٦] أي كفرتم بالاستهزاء بالدين فدل هذا على أن المستهزئ بالدين كافر كفراً يخرجه من الإسلام وهذا بإجماع العلماء .

قوله : [عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ، دخل حديث بعضهم في بعض] :

هذه الآثار رواها ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره ، وأثر ابن عمر إسناده حسن ، وأما أثر محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة فهي مراسيل ، لكن هذه المراسيل قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها فيقوى بعضها بعضاً .

قوله : [أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء] :

القراء عند السلف هم العلماء الذين جمعوا بين تلاوة القرآن والعلم بتأويله والعمل به .

قوله : [أرغب بطوناً] :

أي : أوسع بطوناً .

قوله : [ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء فقال : عوف بن مالك : كذبت] :

وهؤلاء قد جمعوا بين الكذب والاستهزاء ، فالصحابة أزهد الناس وأشجع الناس ﵃ والذي يقرأ سيرهم يعرف ذلك ، ومثله ما يقع عند الناس من الطعن في العلماء ، والذي يجالس العلماء يجد عندهم من الزهد في الدنيا ومن القوة في الحق ما يخالف ما يقوله الناس عنه .

وقد قال ﷺ : ((**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**))[٣٨٧] فهذه الأمة يسوسها العلماء كما أن بني إسرائيل يسوسهم الأنبياء فلا تزال تجد في علماء هذه الأمة العدالة والزهد والصلاح وقول الحق ولله الحمد.

(٣٨٧) سنن البيهقي الكبرى (١٠ / ٢٠٩) رقم ٢٠٧٠٠ . مسند الشاميين (١ / ٣٤٤) رقم ٥٩٩ .

قوله : [ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ ، وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق] :

" عناء الطريق " : يعني مشقة الطريق ، فهذا الحديث الذي فيه خوض ولعب في الدين وأهله يقطعون به تعب الطريق ومشقته .

قوله : [قال ابن عمر : " كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله ﷺ : {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ} [سورة التوبة ٩/٦٥] **ما يلتفت إليه وما يزيده عليه "] :**

بِنِسعة : على وزن حكمة وهو الزمام أي الحبل الذي تربط به الناقة .

فيه مسائل :

١- أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان :

وإن كان يدعي الصُحبة ؛ لأن هؤلاء كانوا يدعون الصُحبة وذلك السفر كان إلى غزوة تبوك التي تخلف عنها بعض خيار المسلمين فيما ذكره الله في سورة التوبة وهؤلاء قد ذهبوا إلى غزوة تبوك في شدة الحر ومع ذلك لم يقبل منهم النبي ﷺ العذر .

٢- الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله :

فما حصل من عوف بن مالك رضي الله عنه ليس بنميمة ، بل نصيحة لله ولرسوله فإذا علم المسلم بمنكر ، فإنه ينقله إلى ولاة الأمر للإصلاح ، كبعض المقالات التي فيها الاستهزاء بالدين وأهله ، أو فيها تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله إلى غير ذلك من المقالات السيئة ، فالواجب نقل ذلك إلى ولاة الأمر ليقوموا بواجبهم تجاه هؤلاء المعتدين .

٣- الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله :

قال جل جلاله : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [سورة التوبة ٩/٧٣] مع ما كان عليه ﷺ من العفو ومن اللين ، كما قال جل جلاله : {وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [سورة آل عمران ٣/١٥٩] فإنه ﷺ كان ذا غلظة وشدة مع هؤلاء المنافقين .

باب ما جاء في قول الله تعالى : {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [سورة فصلت ٤١/٥٠]**الآية.**

قال مجاهد: ((هذا بعملي وأنا محقوق به)) [٣٨٨] **. وقال ابن عباس: ((يريد من عندي))** [٣٨٩]**.**

وقوله: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي } **[سورة القصص ٢٨/٧٨] قال قتادة: ((على علم مني بوجوه المكاسب))** [٣٩٠]**. وقال آخرون: ((على علم من الله أني له أهل))** [٣٩١] **. وهذا معنى قول مجاهد: ((أوتيته على شرف))** [٣٩٢]**.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر ــ شك إسحاق ــ فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما

---

(٣٨٨) تفسير الطبري (١١ / ١٢٤) . وذكره البخاري ، قال في فتح الباري (٨ / ٥٦٠) : " وصله الطبري من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد بهذا ولكن لفظه بعملي بتقديم الميم على اللام وهو الأشبه "

(٣٨٩) ابن جرير التفسير (٢٥ / ٣) .

(٣٩٠) عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٦ / ٤٤٠) .

(٣٩١) ابن ابي حاتم كما في الدر المنثور (٦ / ٤٤٠) .

(٣٩٢) رواه ابن جرير في التفسير (٢٤ / ١٢) .

قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: كنت أعمى فردّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)) [٣٩٣] **أخرجاه.**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: { لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي }.

الثالثة: ما معنى قوله:{ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي }.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

باب ما جاء في قول الله ﷻ : {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [سورة فصلت ٤١/٥٠]

هذا الباب : فيه أن من كفران النعم ، ظن الإنسان أن ما هو منه من النعم هو مستحق له ناله بجهده أو عقله أو أسرته ، فيلتفت إلى هذه الأسباب وينسى المتفضل بالنعم سبحانه وتعالى .

{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ}: أي الإنسان .

{رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} : وهذا من كفران النعم كما تقدم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به] :

أي : " وأنا مستحق له " فيقول هذا بعملي وبجهدي وبعرق جبيني وبذكائي ، وهذا من كفران النعم .

قوله : [وقال ابن عباس يريد من عندي] :

أي لما أنا عليه من الصفات استحق هذه النعم .

---

(٣٩٣) البخاري (٣ / ١٢٧٦) رقم ٣٢٧٧. مسلم (٤ / ٢٢٧٥) رقم ٢٩٦٤ .

قوله: [وقوله : {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} [سورة القصص ٢٨/٧٨] **قال قتادة : ((على علم مني بوجوه المكاسب))** [٣٩٤] **]** أي فأنا خبير بوجوه المكاسب وبطرق جمع المال .

قوله : [وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل] :

أي يعلم الله ﷻ أني لهذا أهل .

قوله : [وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرفٍ] :

هذه التفاسير اختلافها اختلاف تنوع ، وليس باختلاف تضاد فكلها تشملها الآية .

قوله : [وعن أبي هريرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذِرني الناس به))[٣٩٥]**] :**

(**فأتى الأبرص**) : أي تصوّر له .

قوله : [قال فمسحه فذهب عنه قذره فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً ، قال فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر – شك إسحاق – فأعطي ناقة عُشَراء] :

أي حاملاً لعشرة أشهر .

قوله : [وقال : بارك الله لك فيها ، قال فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل فأعطي بقرة حاملاً قال : بارك الله لك فيها] :

أعطي بقرةً ؛ لأنه قدمها في الطلب على الإبل فروعي ذلك .

قوله : [قال : فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره] :

---

(٣٩٤) تقدم .

(٣٩٥) تقدم .

فهذا الأعمى قد سأل الله بصراً يبصر به الناس كقول موسى عليه السلام : {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي = ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي = ٢٨} [سورة طــه ٢٠/٢٧-٢٨] أي بقدر ما يحصل به المقصود بخلاف من سبقه فإنهم سألوا أن يكون الشعر حسناً وأن يكون الجلد حسناً .

قوله : [قال فأي المال أحب إليك ؟ قال الغنم فأعطي شاةً والداً ، فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم] :

فبارك الله لهم فيما أعطاهم .

قوله : [قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته] :

أي في صورة رجل أبرص ليذكره بحاله السابقة ويذكر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه .

قوله : [فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري] :

الحبال أي الأسباب فليس هناك سبب يوصلني إلى بلدي .

قوله : [فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسالك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقل إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر] :

وهذا كما تقدم من كفران النعم .

قوله : [فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، قال : وأتى الأقرع في صورته فقال له : مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل مارد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، قال وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسلك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري] :

وهذا من حسن الأدب مع المحتاج ، فإن المحتاج إذا ذكرت له أنك كنت فقيراً محتاجاً ، فإنه يهون عليه ما هو فيه من حاجة ، ويكون عنده رجاء بتغير حاله ولا يكون عنده تعلق بهذا الغني الذي كان فقيراً ثم إن الله أغناه وكل الخلق فقراء والله أغناهم .

قوله : [فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك "[٣٩٦] أخرجاه] .

باب قول الله تعالى : {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [سورة الأعراف ١٩٠/٧]الآية.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: ((لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ــ يخوفهما ــ سمّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى : {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [سورة الأعراف ١٩٠/٧]))[٣٩٧] رواه ابن أبي حاتم.
وله بسند صحيح عن قتادة قال: ((شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته))[٣٩٨]. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} [سورة الأعراف ١٨٩/٧]قال: ((أشفقا ألا يكون إنساناً))[٣٩٩] وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبّد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة.

باب قوله ﷻ : {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [سورة الأعراف ١٩٠/٧]

(٣٩٦) تقدم .
(٣٩٧) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٣١٠) رقم ٩٤٢١ .
(٣٩٨) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٣١١) رقم ٩٤٢٦ .
(٣٩٩) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٣٠٧) رقم ٩٤١٥ .

هذا الباب : فيه النهي عن التعبيد لغير الله بالأسماء أي بمجرد التسمية ، وأن ذلك من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب ، كتسمية الرجل بعبد النبي أو بعبد علي أو بعبد الحجر أو بعبد الشجر ونحو ذلك ، فهذه التسمية التي لا يقصد معناها هي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب .

وأما إن كان المعنى مقصوداً ، أي قصد أنه عبد لهذا المعبَّد له فهذا شرك أكبر .

قال ﷻ : {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] وهي نفس آدم عليه السلام : {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] وهي حواء {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] أي جامعها {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] سهلاً {فَمَرَّتْ بِهِ} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] أي تجاوزته لم يثقلها عن القيام بشؤونها {فَلَمَّا أَثْقَلَت} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] كبر الولد في بطنها وثقلت {دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] أي بشراً سوياً في الخلقة لا عيب فيه ، وهذا هو هم المرأة الحامل ، وكذلك الأب أن يخرج الولد سوياً ليس فيه تشويه، ذكراً كان أو أنثى {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ = ٦٣ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [سورة الأعراف ٦٣/٧-١٩٠] أي في الولد {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة الأعراف ١٩٠/٧] .

هذه الآية فيها قولان للمفسرين :

القول الأول : وهو مذهب جمهور المفسرين ، وقول ابن عباس رضي الله عنه كما في تفسير ابن جرير أن هذه الآية في آدم وزوجه {دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] أي دعا آدم وزوجه الله ﷻ {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ = ١٨٩ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً} [سورة الأعراف ١٨٩/٧-١٩٠] أي بشراً سوياً {جَعَلاَ} [سورة الأعراف ١٩٠/٧] أي آدم وحواء {لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [سورة الأعراف ١٩٠/٧] أي لله شركاء فيما آتاهما بأن سميا الولد بعبد الحارث .

وهذا القول هو اختيار ابن جرير والشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في تيسير العزيز الحميد .

والقول الثاني : وهو قول الحسن البصري واختاره ابن كثير في تفسيره والقرطبي وابن قيم الجوزية وابن سعدي أن قوله ﷻ :{دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] فيه انتقال إلى النوع الإنساني أي دعا الله زوجان من ذرية آدم عليه السلام ، فيكون هذا انتقال من المعين إلى النوع كقوله ﷻ : {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ} [سورة الملك ٥/٦٧] فانتقل من المعين وهي النجوم التي تزين السماء ، إلى ما هو من جنسها ؛ لأن النجوم التي تزين السماء ليست هي ما يرجم به .

وفي آية الباب على هذا التفسير : هو الذي خلقكم أيها البشر من آدم وحواء ، فلما تغشى الرجل المرأة فحملت حملاً خفيفاً ، **وهذا القول هو الراجح** ؛ لأن آدم عليه السلام نبي متره عن الشرك ، ولذا فإن أهل القول الأول ، تأولو ذلك بأنه شرك في الطاعة أي أطاعوا الشيطان في تسمية الابن بعبد الحارث ، لكن القول الثاني هو الظاهر وذلك لقوله عز وجل : {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة الأعراف ١٩٠/٧] وهذا ضمير جمع ، وقبله ضمير تثنية في آدم وحواء .

ولأنه عليه السلام نبي والنبي إذا ذكرت معصيته في القرآن ذكرت توبته وهذا هو المعتاد في القرآن .

ومن الشرك في الولد أيضاً نسبة السلامة إلى القابلة أو الطبيب فيقول مثلاً : لولا الطبيب لخرج الولد مشوهاً لكن الطبيب كان يتابع الحمل .

ومن ذلك أن يربيا الولد على عبادة غير الله كعبادة الأضرحة ولذا قال ﷺ : **((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))** [٤٠٠] .

قال المؤلف رحمه الله : **[قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك]** :

ثبت عند البخاري في الأدب المفرد أن رجلاً يقال له عبد حجر فقال له ﷺ : (**بل أنت عبد الله**)) [٤٠١] .

قوله : [حاشا عبدالمطلب] :

فإن أهل العلم لم يجمعوا على النهي عنه وإنما أجمعوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد الرسول وعبد علي وعبد الحسين وعبد حجر إلا عبدالمطلب ففيه خلاف ، فمن أهل العلم من أجاز ، ومنهم من منع . وعمدة من أجاز قوله ﷺ : **((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب))** [٤٠٢] والحديث متفق عليه .

والراجح المنع وأما قوله ﷺ : (**أنا ابن عبدالمطلب** ...) فهو حديث من باب الإخبار ، وليس من باب الإنشاء ، فلم يسم بعبدالمطلب وإنما أخبر أنه ابن عبدالمطلب ونظير هذا قوله ﷺ كما عند أهل السنن : **((يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بالبيت))** [٤٠٣]الحديث ، فهو من باب الخبر .

---

(٤٠٠) البخاري (١ / ٤٥٦) رقم ١٢٩٣ وفي مواضع أخرى مسلم (٢٦٦٠) .

(٤٠١) الأدب المفرد (١ / ٢٨٢) رقم ٨١١ . مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٢٦٢) رقم ٢٥٩٠١ .

(٤٠٢) البخاري (٣ / ١٠٥١) رقم ٢٧٠٩ . مسلم (٣ / ١٤٠٠) رقم ١٧٧٦ .

قوله : [وعن ابن عباس في معنى الآية قال : ((لما تغشاها آدم حملت فآتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيّل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمياه عبدالحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فآتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله : {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [سورة الأعراف ٧/١٩٠])) [(٤٠٤)] **رواه ابن أبي حاتم)]** :

(**إِيَّل**) : ويصح أَيِّل .

(**يخوفهما**) : أي يخوف آدم وحواء .

هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه الأشبه أنه مأخوذ من بني إسرائيل أي من الإسرائيليات كما قرر هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى تعالى والحديث في الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعاً نحوه وفيه أنه قال ((**أنا الذي أخرجتكما من الجنة**)) [(٤٠٥)] وهذا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة ، ورواية عمر بن إبراهيم عن قتادة ضعيفة كما قرر هذا الإمام أحمد وابن عدي ، فعلى ذلك الحديث ضعيف .

ثم إن في طريقه الحسن والحسن تقدم أنه يختار التفسير الثاني كما صح ذلك عنه في تفسير ابن جرير وغيره ، فكيف يروي هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ ويخالفه هذا يدل على نكارته .

ثم إن فيه أنه قال : ((**أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة**)) [(٤٠٦)] والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فكيف بالنبي آدم ﷺ ولذا **فالراجح** أن هذه القصة منكرة وهو مذهب طائفة من أهل العلم كما تقدم .

قوله : [وله بسند صحيح عن قتادة قال : ((شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته)) [(٤٠٧)] **]** :

لأن الأنبياء منزهون عن الشرك فهو شرك في الطاعة أي أطاعاه في التسمية .

---

(٤٠٣) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٨٠) رقم ١٦٧٨٢ . سنن أبي داود (١ / ٥٨٢) (١٨٩٤) . سنن الترمذي (٣ / ٢٢٠) (٨٦٨) . سنن النسائي (١ / ٢٨٤) (٥٨٥) ، ٢٩٢٤ . سنن ابن ماجه (١ / ٣٩٨) (١٢٥٤) . صحيح ابن حبان (٤ / ٤٢١) رقم ١٥٥٣ . المستدرك (١ / ٦١٧) رقم ١٦٤٣ وصححه .

(٤٠٤) تقدم .

(٤٠٥)تقدم

(٤٠٦) تقدم .

(٤٠٧) تقدم .

قوله : [وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] **قال : ((أشفقا أن لا يكون إنساناً))** (٤٠٨) **وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما]:**

لكن المعروف عن الحسن ما تقدم كما رواه ابن جرير وغيره .

فيه مسائل :

١- أن هبة الله ﷻ للرجل البنت السوية من النعم .

قال : {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} [سورة الأعراف ١٨٩/٧] بشراً سوياً ذكراً كان أم أنثى فإذا كان المولود أنثى سالمة من العيوب فإن ذلك من النعم .

بـــــاب قول الله تعالى : {وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ} [سورة الأعراف ١٨٠/٧]

الآية: ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما " { يلحدون في أسماءه}: ((يشركون)) " (٤٠٩)**. وعنه: ((سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز))** (٤١٠)**. وعن الأعمش: ((يدخلون فيها ما ليس منها))** (٤١١).

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

باب قول الله ﷻ : {وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ} [سورة الأعراف ١٨٠/٧]

---

(٤٠٨) تقدم .

(٤٠٩) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٩٢) رقم ٩٣٥٢ عن قتادة من قوله.

(٤١٠) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٩٢) .

(٤١١) تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٩٢) رقم ٩٣٥٣ .

{لِلَّهِ} اللام هنا : للاستحقاق أي الأسماء الحسنى كلها مستحقة له سبحانه وتعالى .

{الْحُسْنَى}: صيغة التفضيل " فُعْلَى " مؤنث ، والحسنى هي البالغة في الحسن الغاية .

والأسماء الحسنى لا حصر لها ، أما قوله ﷺ في الصحيحين : ((**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**)) [٤١٢] فمعناه : أن هذه الأسماء التسعة والتسعين تختص بأن من أحصاها ، فأثبت ألفاظها وفهم معانيها وعمل بمقتضاها ، دخل الجنة ، وهذا مثل قول الرجل : " عندي مـــئة ريال أعددها للصدقة " ، فلا يفهم من كلامه أنه ليس عنده إلا هذا المبلغ ، وقد جاء في مسند أحمد في دعاء ذهاب الهم قال ﷺ : ((**من أصابه هم أو حزن فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**)) [٤١٣] وما أستأثر الله به في علم الغيب عنده لا نحصيه ولا نحصره .

{فَادْعُوهُ بِهَا} [سورة الأعراف ٧/١٨٠] : دعاء عبادة ودعاء مسألة ، فأما دعاء العبادة : فهو بأن تتعبد الله عز وجل بمعاني هذه الأسماء ، فتتعبد الله عز وجل بمقتضى أنه يسمع كل شيء ، فتراقبه بلسانك ، وتتعبده باسم البصير ، أي بمقتضى اسم البصير فلا يرى منك سبحانه وتعالى ما نهاك عنه .

وأما دعاء المسألة : فهو أن تتوسل إليه بأسمائه الحسنى بين يدي دعائك فتقول مثلاً : يا غفور اغفر لي يا رحمان ارحمني ونحو ذلك .

وقال ﷺ لما سمع رجلاً يقول : ((**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، قال : لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب**)) [٤١٤] حديث صحيح ، رواه أحمد وأبو داود الترمذي .

وأما الإلحاد في أسمائه : فهو الميل عن الواجب فيها إلى ما لا يجوز ، فيميل عن ما أوجبه الله عز وجل فيها من الإيمان بها ، واعتقاد ما تضمنته من صفات الجمال والجلال ، وأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع والبصير إلى ما لا يجوز من النفي والتمثيل .

---

(٤١٢) البخاري (٢ / ٩٨١) رقم ٢٥٨٥ وفي مواضع أخرى . مسلم (٤ / ٢٠٦٢) رقم ٢٦٧٧ .

(٤١٣) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٣٩١) رقم ٣٧١٢ . صحيح ابن حبان (٣ / ٢٥٣) رقم ٩٧٢ .

(٤١٤) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٣٤٩) رقم ٢٣٠٠٢ . سنن أبي داود (١ / ٤٦٩) رقم ١٤٩٤ . سنن الترمذي (٥ / ٥١٥) رقم ٣٤٧٥ وقال : " حسن غريب " .

فإذا جحد أسماء الله فهو إلحاد ، وإذا أنكر بعضها فكذلك ، وإذا سمى آلهته بشيء من أسماء الله فهو إلحاد أيضاً ، وإذا سمى الله بما لم يسمِّ به نفسه فكذلك ، فكل هذا من الإلحاد في أسمائه ﷻ .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : **{يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ} [سورة الأعراف ١٨٠/٧]** ((يشركون))] :

أي من باب الشرك في الأسماء ، كما يكون الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية ، يكون الشرك في الأسماء ، فإذا سَمَّى معبوداته بشيء من أسماء الله ﷻ فهذا شرك في الأسماء ولذا قال رحمه الله تعالى :

قوله : [وعنه : سمُّوا اللات من الإله ، والعزى من العزيز] :

أي : سمى المشركون اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان .

قوله : [وعن الأعمش : (يدخلون فيها ما ليس منها)] :

فإذا سمى الله بما لم يسمِّ به نفسه فهذا من الإلحاد في أسمائه الحسنى ﷻ ومن ذلك تسمية النصارى له بالأب ، وتسمية الفلاسفة له بالعلة الفاعلة ، وليس كل هذا الباب كفراً أكبر .

فتسمية الله بالصانع مثلاً وليس من الأسماء الحسنى هذا من الإلحاد فيها وليس من الإلحاد الذي ينقل عن الملة .

فيه مسائل :

١- ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

من قوله و {ذَرُواْ} أي اتركوهم واتركوا نهجهم وطرائقهم المخالفة لما جاء به الرسل .

بـــاب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام)) [٤١٥].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

(٤١٥) البخاري (١ / ٢٨٧) رقم ٨٠٠ . وهو في مسلم دون قوله " ولا تقولوا " . صحيح مسلم (١ / ٣٠١) رقم ٤٠٢ .

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

باب لا يقال : السلام على الله

هذا من الأدب الواجب مع الله ﷻ فإن الله هو الغني الحميد والعباد إليه فقراء {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [سورة فاطر ١٥/٣٥] ،والسلام اسم من الأسماء الحسنى ، ومعناه : السالم من العيوب والنقائص ، أي المتصف بالسلامة التامة من النقائص والمعائب ، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنه هو المسلّم لغيره، فهو سالم في نفسه مُسلّم لغيره، فالعبد، إنما يسلم من العيب بفضل وتسليم الله له ، فإن الله هو السلام ، وهو الغني وغيره فقير يُدعا له ، فلم يكن من الأدب مع الله ﷻ أن تدعو له بالسلامة وهو المتصف بالسلامة التامة من كل عيب ونقص ، وهو المسلّم لغيره ، وهو الغني وغيره إليه فقير فلكمال الله ﷻ وغناه لا يدعا له بالسلامة ؛ وإنما تسأل السلامة منه ﷻ .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى تعالى : [في الصحيح عن ابن مسعود ﵁ قال : ((كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي ﷺ : (لا تقولوا : السلام على الله ، فإن الله هو السلام)) [٤١٦]] :

والحديث متفق عليه ، والنهي في الحديث للتحريم كما تقدم .

فيه مسائل :

١- تعليمهم التحية التي تصلح لله .

فأنت إذا قلت لأحد : " السلام عليك " فإن قولك : " السلام عليك " يشتمل معنيين هما :

١- أن تكون بركة اسم الله عليك .

٢- أسأل الله لك السلامة من الآفات والشرور .

(٤١٦) تقدم .

بـــــاب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له)) [٤١٧].ولمسلم: ((وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)) [٤١٨].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: (ليعزم المسألة).

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

باب قول اللهم اغفر لي إن شئت

تقدم أن الدعاء هو العبادة ، والواجب أن يكون العبد في دعائه لله ﷻ ملحاً جازماً ، عنده رغبة في حصول ما دعا به ، ورهبة ، قد شعر بفقره إلى الله ﷻ وحاجته إليه ، من فواته ، والتعليق بالمشيئة يشعر بخلاف ذلك لذلك منع منه ، فإنه إن قال : " اللهم اغفر لي إن شئت " ، فكأنه يقول : " إن شئت اغفر لي وإن شئت أن لا تغفر لي " فهذا يشعر أنه ليس عنده كمال افتقار إلى الله ﷻ .

كذلك يوهم أن الله ﷻ قد يفعل ما سأله هذا السائل مكرهاً ، فكأنه يقول : " أنا لا أحرجك " كما تأتي إلى بعض الناس وتخشى أن يفعل الأمر مكرهاً من باب المجاملة فتقول له : " افعل هذا إن شئت " والله ﷻ لا مُكرِه له .

وكذلك ، إنما هذا يقال للشخص الذي لا يكون غنياً فتعظم عليه بعض الأمور من العطايا أو نحوها والله ﷻ لا يعظم عليه شيء أعطاه ، فلو اجتمع أولنا وآخرنا وإنسنا وجننا ثم سألنا الله ﷻ فأعطى كل واحد منا مسألته ما نقص ذلك من ملكه شيئاً .

(٤١٧) البخاري (٥ / ٢٣٣٤) رقم ٥٩٨٠ . مسلم (٢٦٧٩) .

(٤١٨) رقم ٢٦٧٩ .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له)) ولمسلم : ((وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)) [(٤١٩)]] :

والحديث متفق عليه ، و (يعزم) : أي يجزم .

فإن كان المطلوب مما لا تتحقق مصلحته ، ولا تدري أيها السائل هل منفعته أعظم من مضرته أو مضرته أعظم من مصلحته ، فتعلق الأمر بالمشيئة ليختار الله لك الأصلح هذا لا بأس به بمعنى أنك لا تتحقق أن هذا الأمر هو الأصلح لك فإن لك أن تعلقه بالمشيئة ومنه قوله ﷺ : ((اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي)) [(٤٢٠)] **. وكذلك في حديث الاستخارة** [٤٢١] **.**

وقوله ﷺ : ((طهور إن شاء الله)) [(٤٢٢)] **هذا تعليق وتقدم أنَّا لا نستثني إلا ما لا تتحقق مصلحته وهذا مصلحته متحققة فما الجواب عنه ؟**

الجواب : أن هذا من باب الخبر لا من باب الإنشاء ، يعني : " يكون هذا طهوراً إن شاء الله" هذا خبر وليس إنشاء .

ومن أهل العلم – وهو وجه جيد فيما يظهر لي – من يقول : إن الذي يُمنع منه ما يكون خطاباً ، فإن قلت : " اللهم اغفر لي إن شئت " تخاطب الله ﷻ فلا تعلّق الأمر بالمشيئة ، وأما إن لم يكن على جهة الخطاب كما لو قلت : " يغفر الله لفلان إن شاء الله "، " يرحم الله فلان إن شاء الله " ، " الله يبارك فيك إن شاء الله " ونحو ذلك فيكون هذا التعليق من باب التبرك فهذا لا بأس به ، وقوله : " طهور إن شاء الله " هنا يخاطب المريض فيقول : " أسأل الله أن يكون هذا طهوراً لك " .

بــــــاب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي)) [(٤٢٣)] **.**

---

(٤١٩) تقدم .

(٤٢٠) البخاري (٥ / ٢١٤٦) رقم ٥٣٤٧ . مسلم (٤ / ٢٠٦٤) رقم ٢٦٨٠ .

(٤٢١) البخاري رقم (١١٠٩) (٣٩١/١) .

(٤٢٢) البخاري (٣ / ١٣٢٤) رقم ٣٤٢٠ وفي مواضع أخرى .

(٤٢٣) البخاري (٢ / ٩٠١) رقم ٢٤١٤ . مسلم (٤ / ١٧٦٤) رقم ٢٢٤٩ .

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

باب لا يقل عبدي وأمتي

هذا الباب من الأدب المستحب لا الواجب ، فهو من باب ترك ما فيه إيهام ولو من وجه بعيد في جناب الربوبية ، فلا تقول لمملوكك عندما تناديه : " يا عبدي " ولا تقول لمملوكتك عندما تناديها : " يا أمتي " ؛ لأن هذا فيه شيء من الإيهام ، ولو كان هذا من وجه بعيد ، فكان من الأدب المستحب ترك ذلك .

ويدل على أن هذا للاستحباب قوله ﷻ : {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ} [سورة النـــور ٣٢/٢٤] وأيضاً قول يوسف ﷺ : {اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} [سورة يوسف ٤٢/١٢] فدل على أن قول " يا عبدي " و " يا أمتي " وقول العبد لسيده " يا ربي " ، " يا ربتي " جائز لكنه خلاف الأولى .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضيء ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي))[٤٢٤]] :

والحديث متفق عليه ، والنهي فيه للكراهية فيقول يا غلامي وهذا غلامي ويا فتاتي وهذه فتاتي ونحو ذلك من الألفاظ .

فيه مسائل :

١- التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

---

(٤٢٤) تقدم .

أي ترك الألفاظ التي توهم ولو من وجه بعيد فلم يخطر بقلبه أن الربوبية لغير الله .

بـــــاب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه))[٤٢٥]. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: (حتى ترون أنكم قد كافأتموه).

بـــاب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يسأل بوجه الله إلا الجنة))[٤٢٦]. رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [باب لا يرد من سأل بالله] - ثم قال **رحمه الله تعالى** - [باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة]

الباب الأول للمسؤول ، والباب الثاني للسائل .

---

(٤٢٥) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٦٨) رقم ٥٣٦٥ . سنن أبي داود (١ / ٥٢٤) رقم ١٦٧٢.. صحيح ابن حبان (٨ / ١٩٩) رقم ٣٤٠٨ . النسائي (٥ / ٨٢) .

(٤٢٦) سنن أبي داود (١ / ٥٢٤) رقم ١٦٧١ . شعب الإيمان (٣ / ٢٧٦) رقم ٣٥٣٧ . سنن البيهقي الكبرى (٤ / ١٩٩) رقم ٧٦٧٨ .

أما المسئول : فإنه يجب عليه أن يجيب من سأله بالله احتراماً لله وتعظيماً له فهذا من كمال توحيده .

وكذلك أداءً لحق أخيه المسلم الذي توسل إليه بأقوى الأسباب ، فقد توسل إليه سائله بأقوى الأسباب ، فإذا قال لك أحد : " أسألك بالله " كذا فيجب عليك أن تجيبه احتراماً لهذا المتوسل به ، وتعظيماً له ﷻ ،وأداءً لحق أخيك الذي توسل إليك لتجيبه بأقوى الأسباب ، إلا أن يكون في ذلك ضرر عليك أو يكون فيه إعانة له على الإثم .

مثال الأول : إذا سألك أن تفشي سراً ، فلا يجوز لك أن تجيبه وإن سألك بالله ؛ لأن فيه ضرراً ، كذلك لو كان فيه حرج عليك ؛ لأن الله ﷻ يقول : {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [سورة الحـــج ٧٨/٢٢] .

ومثال الثاني : وهو فيما إذا كان فيه إعانة له على الإثم ، كأن يسألك مالاً وهو غني ، فإن أعطيته فقد أعنته على الإثم ؛ لأنه ليس له أن يسأل وهو غني .

إذن هذا الباب ، يخاطَب به المسئول ، ليجيب سائله الذي سأله بالله ﷻ

والمؤمن الموحد يعظم ربه فيجيب من سأله به ﷻ وقد قال ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي والنسائي : ((ألا أخبركم بشر الناس ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الذي يسأل بالله فلا يعطي سائله)) (٤٢٧) .

وأما الباب الثاني : فإنه خطاب للسائل ، وأن عليه أن يعظم أسماء الله وصفاته فلا يسأل بها ما هو من حطام الدنيا فلا تأتي إلى شخص فتقول : " أعطني مالاً أسألك بوجه الله " أو " أسألك بالحي القيوم " أو " أسألك بيد الله " ، " أسألك بعين الله " ، " ببصر الله " فلا تتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى بشيء من حطام الدنيا .

وقد روى الطبراني وغيره والحديث حسن أن النبي ﷺ قال : ((ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله)) (٤٢٨) .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : ((من سأل بالله فأعطوه ، ومن استعاذ بالله فأعيذوه)) (٤٢٩) ... بسند صحيح] :

---

(٤٢٧) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢٣٧) رقم ٢١١٦ . سنن الترمذي (٤ / ١٨٢) رقم ١٦٥٢ وقال : " حسن غريب " . سنن النسائي (٥ / ٨٣) رقم ٢٥٦٩ .

(٤٢٨) المعجم الكبير (٢٢ / ٣٧٧) رقم ٩٤٣ .

(٤٢٩) تقدم .

وأيضاً من استعاذ بالله فإنه يعاذ ولذا لما قالت الجونية للنبي ﷺ وقد دخل بها قالت : أعوذ أو عُذت بالله منك فقال ﷺ : ((لقد استعذتِ بمَعَاذ الحقي بأهلكِ)) [٤٣٠] **رواه البخاري في صحيحه .**

(ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له) **: أي كافئوه على فضله ؛ وذلك لأن القلب يحصل له نوع تذلل وتخضع لصاحب المعروف ، فالإحسان نوع رق للقلب ، فيشرع لك أن تتخلص من هذا الرق بالإحسان إلى من أحسن إليك، بأن ترد إليه معروفه وتحسن إليه ؛ لأن الذي لا يشكر الناس لا يشكر الله ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ، فالإنسان عادةً ينكسر قلبه لمن له عليه معروف ، فعليه أن يتخلص من رق القلب ، ليسلم قلبه لمولاه ﷻ ويكون هذا القلب قلباً سليماً ، قد خلص من الذل والخضوع لغير الله .**

فإن لم تقدر على رد معروفه ، فادع له فإذا قلت : " جزاك الله خيراً " فقد رددت إليه معروفه، وإذا دعوت له بالغيب فقد رددت له معروفه ؛ لأن هذا أفضل مما أعطاك من الدراهم مثلاً ، فإذا رفعت يديك في الثلث الأخير من الليل أو في آخر ساعة من الجمعة أو في وقت آخر من أوقات الإجابة أو في غيرها تدعو الله ﷻ لصاحبك الذي أحسن إليك فهو خير من معروفه ، ولذا قال ﷺ فيما رواه الترمذي : ((من صنع له معروف فقال لصاحبه : جزاك الله خيراً – أو قال – فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء)) [٤٣١] .

((حتى تروا أنكم قد كافأتموه)) [٤٣٢] **: رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .**

ضبطت (حتى تُروا) **: أي حتى تظنوا ، وضبطت** (حتى تَروا) **: أي حتى تعلموا .**

وإجابة الدعوة لا تجب إلا في وليمة العرس ، وأما في غير وليمة العرس فإنها لا تجب كما هو مذهب جماهير العلماء قال ﷺ : ((شر الطعام طعام الوليمة يدعا لها من يأباها ويمنعها من يأتيها)) [٤٣٣] **قال أبو هريرة رضي الله عنه ومن لم يجب فقد عصى أبا القاسم ﷺ والحديث متفق عليه .**

وأما الولائم الأخرى كالعقيقة و النزالة و الدعوة لمجيء غائب ونحو ذلك فلا تجب إجابتها ولذا فإن النبي ﷺ لما دعي إلى طعام قال : ((وهذه – **يعني عائشة** – قال الرجل وكان فارسياً : لا ، فقال النبي ﷺ

---

(٤٣٠) البخاري (٥ / ٢٠١٢) رقم ٤٩٥٦ و رقم ٤٩٥٥ .

(٤٣١) سنن الترمذي (٤ / ٣٨٠) رقم ٢٠٣٥ وقال : " حديث حسن جيد غريب " . صحيح ابن حبان (٨ / ٢٠٢) رقم ٣٤١٣ .

(٤٣٢) تقدم .

(٤٣٣) البخاري (٥ / ١٩٨٥) رقم ٤٨٨٢ . مسلم (٢ / ١٠٥٤) ١٤٣٢ .

: لا ، فلما أذن الداعي لعائشة رضي الله عنها قام النبي ﷺ وعائشة فأجاباه)) (٤٣٤) **والحديث رواه مسلم في صحيحه ، ولو كانت الإجابة واجبة ما قيد النبي ﷺ الإجابة بدعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.**

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

قال المؤلف **رحمه الله** : [عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)) (٤٣٥) رواه أبو داود] :

تقدم شرح هذا .

فيه مسائل :

١- إثبات صفة الوجه .

وأن الوجه صفة من الصفات الذاتية لله ﷻ اللائقة به ﷻ ولا يشبه وجهه أوجه المخلوقين فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

بـــــاب ما جاء في الّلو

وقول الله تعالى : {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا} **[سورة آل عمران ٣/١٥٤]**.

وقوله: {الَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} **[سورة آل عمران ٣/١٦٨] الآية.**

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) (٤٣٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: لو، إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

---

(٤٣٤) مسلم (٣ / ١٦٠٩) رقم ٢٠٣٧ .

(٤٣٥) تقدم .

(٤٣٦) مسلم (٤ / ٢٠٥٢) رقم ٢٦٦٤ .

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

باب ما جاء في اللو

أي في قول الرجل : لو كان كذا لكان كذا كذا ، لا يجوز .

والمؤلف رحمه الله تعالى في تبويبه هذا قد أطلق ، ولم يقيد ، ببيان الحكم فلم يقل : " باب : ما جاء في تحريم اللو " أو " كراهيتها " ؛ وذلك لأن لها أحكاماً مختلفة .

فإذا كانت على سبيل الاعتراض على الشرع ، فهي محرمة ، وكذلك إذا كانت على سبيل الاعتراض على القدر ، فإذا قال مثلاً : " لو أن الله لم يوجب على النساء تغطية الوجوه " هذا اعتراضٌ على الشرع ، أو قال : " لو كان لنا أمر لما أوجبنا كذا وكذا من الشرع " هذا اعتراض على الشرع .

أو كان فيها اعتراضٌ على القدر يقول : " لو لم يهزم المسلمون في أحدٍ لكان خيراً " هذا اعتراض على قدر الله ﷻ وهذا لا يجوز .

وكذلك ، لا يجوز إن لم يكن فيه اعتراض على القدر ، لكنه دال على ضعف الإيمان بالقضاء والقدر ، كأن يشتغل بتجارة فيخسر ويقول : " لو أني ما فعلت كذا وكذا لربحت " فهذا لا يجوز ؛ وذلك لأنه يوقع في القلب الحسرة والحزن، وهذا من عمل الشيطان ، كما أنه ضعف في الإيمان بالقدر ولذا قال ﷻ : {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة المجادلة ١٠/٥٨] فإيقاع الحزن في القلب والتحسر من عمل الشيطان .

وقوله في مصيبة وقعت له : " لو أني فعلت كذا لما كان كذا " هذا لا يجوز .

إذن عندنا اعتراض على الشرع ، وعندنا اعتراض على القدر ، وعندنا ضعف الإيمان بالقدر ، بأن يقول لو أني فعلت كذا وكذا في أمر ماضٍ لكان كذا وكذا .

فإن قالها تمنياً للخير ، أو للتعليم ، فهي من النوع المحمود، فلو قال مثلاً :

" لو أن عندي مالاً لتصدقت به " ، " لو أن عندي علماً لاشتغلت في الدعوة ليلاً ونهاراً " ، كذلك أيضاً إذا كان التمني لقصد التعليم ، تريد تعليم السامع فتأتي بلو كقول النبي ﷺ : ((لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي))[٤٣٧] **يريد أن يعلم أصحابه ﷺ أن التمتع أفضل من القران وقوله**

(٤٣٧) البخاري (٢ / ٥٩٤) رقم ١٥٦٨ وفي مواضع أخرى . مسلم (٢ / ٨٨٣) رقم ١٢١٦ .

ﷺ **لعائشة رضي الله عنها** : ((لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة ولبنيتها على قواعد إبراهيم))[٤٣٨] **هذا أيضاً من تعليم العلم .**

فهذه خمسة أنواع في " لو كان كذا لكان كذا " :

١- الاعتراض على القدر ، ولا يجوز .

٢- الاعتراض على الشرع ، ولا يجوز أيضاً .

٣- أن يقولها حزناً وتحسراً على مصيبة قد مضت .

٤- لتعليم العلم .

٥- لتمني الخير .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [وقوله ﷻ : **{يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا} [سورة آل عمران ٣/١٥٤]**] :

هذا اعتراض على القدر .

قوله : [وقوله : **{الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [سورة آل عمران ٣/١٦٨]**] :

{وَقَعَدُواْ} : أي عن القتال ، فهؤلاء الذين قاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا قد أطاعوا الله ورسوله واتبعوا الشرع ، لكن المنافقين يعترضون على الشرع ، يقولون : " لو أطاعونا ولم يطيعوا الله ورسوله ما قتلوا " فهذا اعتراض على الشرع .

ويقول المتأخرون منهم : " لو أن هذه البلاد تركت ما هي عليه من تطبيق الشريعة الإسلامية " فهذا اعتراض على الشرع .

قوله : [في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : ((احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان))[٤٣٩]] :

والحديث في صحيح مسلم .

(واحرص) : **الحرص هو بذل الوسع في تحصيل ما ينفع في الدين والدنيا .**

---

(٤٣٨) البخاري : (٢ / ٥٧٣) رقم (١٥٠٦) . صحيح مسلم (٢ / ٩٦٨) رقم ١٣٣٣ .

(٤٣٩) تقدم .

(واستعن بالله) : **أي اطلب العون من الله ﷻ ؛ لأنه إن لم يكن لك عون من الله فأنت مخذول ، فإن الخذلان أن يوكل العبد إلى نفسه والتوفيق أن يوكل إلى ربه ﷻ وقد قيل :**

إذا لم يكن عون من الله   فأول ما يجني عليه اجتهاده

فاطلب العون من الله ﷻ ولذا نقول في كل ركعة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة ٥/١] .

(ولا تعجزن) : **أي ولا تكسل ، فليس المراد بالعجز هنا ، العجز الذي لا يستطيع أن يفعل معه العبد ؛ لأن هذا عجز يُعذر به المكلف ، كأن يعجز عن قراءة الفاتحة ، بأن يكون أخرس أو يعجز عن طلب المعايش ؛ لأنه زَمِنٌ أي مقعد فهذا عجزٌ يعذر فيه العبد ، لكن المراد هنا لا تتثاقل ولا تكسل ولا تخلد إلى الراحة :**

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

فإذا كانت الهمم قوية فإن الأجسام تتعب في تحصيل مرادها وهكذا ينبغي أن يكون صاحب الهمة ، فلا يكسل ويذهب يومه بالنوم والراحة واللهو بل ينظم وقته ويعطي نفسه حقها من الراحة على سبيل الاستجمام ،وأما أن يغلب عليه ذلك ويذهب وقته فيما يفوت عليه مصالح دينه ودنياه فهذا مما يغبن فيه العبد .

(وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا) : **هذا هو الشاهد ، لا تقل: " لو أني استيقظت الصباح مبكراً لأدركت هذه الصفقة ولم تفتني " ؛ لأنه ليس فيه إلا التحسر والحزن وهذا جارٍ على ألسنة كثير من الناس .**

فيه مسائل :

١- الإرشاد إلى الكلام الحسن .

وهو قول : " قدر الله وما شاء فعل " .

بـــاب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به)) [٤٤٠] صححه الترمذي.

---

(٤٤٠) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ١٢٣) رقم ٢١١٧٦ نحوه . سنن الترمذي (٤ / ٥٢١) رقم ٢٢٥٢ وقال : " حسن صحيح " . مسند أحمد بن حنبل (٥ / ١٢٣) رقم ٢١١٧٦ نحوه .

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

باب النهي عن سب الريح

الريح مسخرة مأمورة ، قد تحمل للناس الخير ، وقد تحمل لهم الشر فهي مأمورة مسخرة ، فمن سبَّها فقد سب مسخِّرها وآمرَها ، فهو كمن سب الدَهْر ، وقد تقدم لكم الكلام وقد روى أبو داود والترمذي : ((أن رجلاً لعن الريح ، فقال النبي ﷺ : لا تلعنها فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل – **أي للعن** – رجعت اللعنة عليه)) [٤٤١] .

قال المؤلف **رحمه الله** : [عن أبي بن كعب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها ، وخير ما أُمِرتْ به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به)) [٤٤٢] صححه الترمذي] :

وهو صحيح .

بـــاب قول الله تعالى : {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} **[سورة آل عمران ٣/١٥٤]الآية.**

وقوله: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} **[سورة الفتح ٤٨/٦]الآية.**

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى

---

(٤٤١) سنن أبي داود (٢ / ٦٩٥) رقم ٤٩٠٨ . سنن الترمذي (٤ / ٣٥٠) رقم ١٩٧٨ وقال : " حسن غريب " .

(٤٤٢) تقدم .

بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

باب قول الله ﷻ : {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [سورة آل عمران ٣/١٥٤] .

هذا الباب في وجوب إحسان الظن بالله ﷻ ، وقد قال ﷺ قبل موته بثلاث فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه : ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)) [٤٤٣] فالواجب على المسلم أن يحسن الظن بالله ﷻ فإنه أهل ؛ لأن يحسن الظن به ﷻ لكمال رحمته وحكمته وحمده ﷻ .

ثم إن إساءة الظن بالله ﷻ من خصال أهل الجاهلية ، ولذا قال ﷻ : {ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} [سورة آل عمران ٣/١٥٤] .

وسوء الظن بالله ، قد يكون منافياً مناقضاً للتوحيد من أصله ، وقد يكون منافياً لكماله ، فلا يخرج من الإسلام لكن ينافي كمال التوحيد الواجب .

(٤٤٣) مسلم (٤ / ٢٢٠٥) رقم ٢٨٧٧ .

مثال ما يبطل التوحيد : من ظن أن لا قدر ، فقال : الأمور تجري بلا قدر ، وهو قول غلاة القدرية ، وأن الأمر أُنف ، وهؤلاء كفار وقد انقرضوا .

ومثال ما ينافي كمال التوحيد من قال : إن أفعال الله ﷻ لا حكمة فيها كما يقول هذا الأشاعرة .

إذن الواجب على المسلم أن يحسن الظن بالله ﷻ .

قال المؤلف رحمه الله : [وقوله : **{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} [سورة الفتح ٦/٤٨]** قال ابن القيم في الآية الأولى :فُسِّرَ هذا الظن بأنه سبحانه لا يَنْصرُ رسوله ، وأن أمره سيضمحل]:

هذا تكذيب لوعد الله ﷻ : {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ} [سورة غافر ٥١/٤٠] {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} [سورة محمد ٧/٤٧] فإذا ظن أن الله لن ينصر رسوله وأن هذا الدين سيضمحل ، فيذهب ويتلاشى ، هذا سوء ظن بالله ، كيف تظن أن الله لا ينصر رسله ، وأنه سيديل الأمر على أنبيائه ويكونون هم المغلوبين ألم تقرأ قول الله ﷻ : {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ = ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ = ١١} [سورة القمر ٥٤/١٠-١١] والفاء تفيد التعقيب فالله ﷻ ينصر رسله في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

قوله : [وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته] :

وهذا فيه إنكار للقدر ، وإنكار القدر سوء ظن بالله من جهة أنه يظن وقوع شيء في هذا الكون بغير إذن الله ﷻ وقدره قال ﷻ : {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [سورة التكوير ٢٩/٨١] والإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان .

(وحكمته) : **إذا قال : " أنا أؤمن أن الله هو الذي يقدر الأمور لكن القدر بلا حكمةً أي أن أفعال الله ﷻ لا تعلل فليس فيها حكمه كما يقول الأشاعرة ، يعني يفعل الله ﷻ لكن بمشيئة مجردة عن الحِكَم والغايات الحميدة ، وهذا أيضاً سوء ظن بالله ﷻ ؛ لأنه حكيم ﷻ في شرعه حكيم في قدره فله ﷻ كمال الحكمة .**

قوله :[ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمرُ رسوله وأن يظهره الله على الدين كله] :

إذن فسر بثلاثة أشياء : فسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم الله ﷻ أمر رسوله ﷺ ، وفيه تكذيب وعد الله ﷻ ، والله لا يخلف الميعاد .

قوله : [وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظَنَّهُ المنافقون والمشركون في سورة الفتح وإنما كان هذا ظن السوء ؛ لأنه ظن غير ما يليقُ به سبحانه وما يليقُ بحكمته وحمده ووعده الصادق فمن ظن أنه يُديلُ الباطل على الحق إدالة مستقرة] :

أي : يجعل الغلبة لأهل الباطل على الدوام .

قوله:[يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره وأنكر أن يكون قدره لحكمةٍ بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] :

فالذي يظن أن الله ﷻ لن ينصر رسوله وعباده المؤمنين وأن الغلبة ستكون على الدوام للكفار أو أنكر القدر أو أنكر الحكمة التي تقتضي حمده ﷻ فإن هذا قد ظن بالله ظن الجاهلية .

قوله : [وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم] :

هذا كثير عند الناس .

قوله: [ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجَب حكمته وحمده]:

أي أثر حكمة الله ﷻ .

قوله : [فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامةً له] :

تجد بعض الناس يقول : " فلان ما يستاهل " إذا حصلت له مصيبة ، وهذا من سوء الظن بالله ﷻ ، وأشياء كثيرة عند الناس إذا تدبرتها تجدها داخلة في هذا الباب .

بعضهم يقول : " كيف تلك البلاد يكون فيها غنى والبلاد الأخرى فيها فقر " ، وقولهم : " هذا غني مع كسله وهذا فقير مع جهده وذكائه " ونحو ذلك من الاعتراض على القدر .

قوله : [وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك ، هل أنت سالم :

فإن تنج منها تنج من ذي ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً

فيه مسائل :

١- أنه لا يأمن ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

فإذا عرفت ربك وعرفت ما له من الأسماء والصفات والأفعال ذات الحكم التي توجب حمده ﷻ ، والثناء عليه وعلمت أيضاً نفسك وقدرها وما فيها من العيوب فإنك تحسن الظن بالله ﷻ .

وبعض الناس قد يُسيء في باب الدعاء ، يقول : " دعوت ودعوت فلم أرَ يستجب لي " ويكون عنده سوء ظن بالآيات التي فيها الأمر بالدعاء ولو فتش نفسه لوجد عيوباً كثيرة كما قال ﷺ : ((رب أشعث أغبر يرفع يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)) (٤٤٤) .

وقد يكون في منعه هذا الشيء الذي سأل الله حصوله خيراً له ، فالواجب على المسلم أن يحسن ظنه بالله ﷻ .

بـــاب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) (٤٤٥). رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: ((يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)) يا بني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: ((من مات على غير هذا فليس مني)) (٤٤٦) ، وفي رواية لأحمد: ((إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)) (٤٤٧).

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار)) (٤٤٨).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: ((لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم

---

(٤٤٤) مسلم (٢ / ٧٠٣) رقم ١٠١٥ .

(٤٤٥) مسلم (١ / ٣٦) رقم ٨ .

(٤٤٦) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ٣١٧) رقم ٢٢٧٥٧ . سنن أبي داود (٢ / ٦٣٧) رقم ٤٧٠٠ . ورواه الترمذي (٢١٠٠ / ٣٣١٩) .

(٤٤٧)مسند احمد (٣١٧ / ٥) والترمذي (٢١٥٦) (٣٣١٦) .

(٤٤٨) القدر لابن وهب (١ / ٣٢) رقم ١٧.

أن ما اصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار)) [٤٤٩]. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيدبن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

باب ما جاء في منكري القدر

مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله : أن إنكار القدر – كما تقدم في الدرس السابق – سوء ظن بالله ، وأنه من ظن الجاهلية ، فناسب أن يذكر المؤلف بعده الكلام في القدر.

والقدر في اللغة : الإحاطة بالمقدار ، يقال : قَدَرْتُ الشيء أَقْدُرُه قَدْراً وقَدَراً أي أحطت بمقداره .

واصطلاحاً هو : الإيمان بإحاطة علم الله ومشيئته وكتابته وإيجاده لكل شيء .

فيؤمن العبد بأن علم الله محيط بكل شيء وأن ذلك مكتوب بالقلم ، وأن مشيئته ﷻ نافذة ، وأنه فعال لما يريد ، وأنه خالق كل شيء ، وعلى ذلك فالإيمان بالقدر له أربع مراتب :

١- المرتبة الأولى : **عموم العلم** .

٢- المرتبة الثانية : **الكتابة** .

---

(٤٤٩) مسند أحمد بن حنبل (٥ / ١٨٢) رقم ٢١٦٢٩ . سنن أبي داود (٢ / ٦٣٧) رقم ٤٦٩٩ . سنن ابن ماجه (١ / ٢٩) رقم ٧٧ . صحيح ابن حبان (٢ / ٥٠٥) رقم ٧٢٧ . ولم يروه الحاكم في المستدرك ، ولعله أراد ابن حبان في صحيحه

٣- المرتبة الثالثة : **عموم المشيئة .**

٤- المرتبة الرابعة : **عموم الخلق والإيجاد .**

قال بعضهم :

علم كتابة مولانا مشيئته ... كذاك خلق وإيجاد وتكوين

وإنكار القدر ، إن كان إنكاراً للمرتبتين الأوليين ، فهو كفر أكبر ، وعليه غلاة القدرية ، القائلين : " إن الأمر أُنف " أي مستأنف فعندهم أن الله لم يعلم بالشيء قبل وقوعه ، تعالى الله ﷻ عن ذلك ، فهؤلاء كفار وقد كفرهم السلف .

وأما المنكرون للمرتبتين الأخريين ، عموم المشيئة وعموم الخلق والإيجاد والتكوين ، فهم مبتدعة ، وهم القائلون : " إن أفعال العباد مخلوقة لهم " فهؤلاء مبتدعة ضلال .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [وقال ابن عمر : ((والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر))[٤٥٠]] :

فلو كان لأحد من هؤلاء النفاة للقدر ، مثل جبل أحد ذهباً ، فأنفقه في سبيل الله لم يتقبله الله منه ؛ وذلك لأنه كافر :

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} [سورة التوبة ٩/٥٤] فالذي ينكر القدر كافر لا حظ له في الإسلام وعلى ذلك لو أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما قُبِلَ ذلك منه

قوله : [ثم استدل بقول النبي ﷺ : ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره))[٤٥١] رواه مسلم] :

وفي هذا الحديث أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان .

قوله : [وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه : ((يا بُنَيَّ ، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك) ... أحرقه الله بالنار))[٤٥٢]] :

---

(٤٥٠) تقدم .

(٤٥١) تقدم .

(٤٥٢) تقدم .

فالذي يؤمن بالقضاء والقدر ، ويعلم أن الأمر مكتوب فيصبر ، ويحتسب يجد طعم الإيمان، ويكون عنده من الصبر والاحتساب والجلد وقوة القلب وثباته الشيء الكبير قال ﷻ : {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [سورة التغابن ٦٤/١١]

وأما الآخر ، وهو من ضعف إيمانه في القدر ، فتجد عنده من الجزع والتسخط عند المصائب الشيء الكثير ، عندما يخسر في تجارته، قد يصاب ببعض الأمراض الخطيرة المستعصية ، هذا أمر ملاحظ معروف فالمؤمن بالقضاء والقدر – عند المصائب – يثبته الله ﷻ لإيمانه بالقضاء والقدر .

ذكر بعض المستشرقين : أنه قد عجب من بعض أهل الصحراء في المغرب العربي ، لما تلفت أكثر مواشيهم ، بسبب انتقال الرمال قام سيد القبيلة فقال : أيّها الناس هذا أمر مكتوب فتغيرت وجوههم لهذه الكلمة وهانت عليهم المصيبة ، فكأنهم لم يفقدوا شيئاً .

وهذا أمر ملاحظ تجد الإنسان المؤمن عندما تقول له : " هذا أمر مكتوب " وتذكره بالقضاء والقدر تجد أنه ينجلي عنه ما يجده في المصيبة ، وهذا فيه أثر العقيدة في حياة الناس فالعقيدة لها الأثر العظيم في حياة الناس .

قوله : [((إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))(٤٥٣)] :

(أول) : هنا ظرف منصوب ، واسمها ضمير الشأن محذوف والتقدير : " إنه أولَ " أي إنه حين خلق الله القلم قال له : " اكتب " وعلى ذلك ليس فيه دلالة على أن القلم مخلوق قبل العرش بل العرش مخلوق قبل القلم .

قال ابن القيم رحمه الله :

والناس مــــخـــتلفون في ... كتب القضاء به من

هـــل كان قبل العـــرش أو ... قولان عند أبي العلا الهمداني

والحـــق أن العـــرش قبـــل ... قبل الكتابة كـــان ذا

فالعرش مخلوق قبل القلم ولذا قال ﷺ فيما ثبت في صحيح البخاري : ((كان الله و لم يكن شيء قبله

---

(٤٥٣) تقدم .

وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في اللوح كل شيء))(٤٥٤) **فأتى بثم التي تفيد الترتيب وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ** : ((إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء))(٤٥٥) **فعلى ذلك العرش مخلوق قبل القلم ، لكن لا نقول أيضاً إن العرش هو أول المخلوقات ، بل لا يزال الله ﷻ خلاقاً،ما من خلق إلا وقبله خلق آخر .**

أيضاً يصح أن يكون المعنى : إن أولَ ما خلق الله القلم أي من المخلوقات التي لها اتصال بخلق الإنسان ، ولذا قال له : ((اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))(٤٥٦) **وقيام الساعة له ارتباط بالمكلفين فيكون المعنى أول المخلوقات التي لها اتصال بمن خلقهم الله ﷻ للابتلاء والاختبار .**

قوله : [(يا بني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من مات على غير هذا فليس مني))، وفي رواية لأحمد : ((إن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)) ، وفي رواية لابن وهب : ((فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره : أحرقه الله بالنار)) ، وفي المسند والسنن – وغيره عن ابن الديلمي قال – : " أتيت أُبي بن كعب ، فقلت : في نفسي شيء من القدر ..... في صحيحه "(٤٥٧)]:

وهذا فيه أن الذي يشكل عليه شيء من الدين ، يسأل عنه أهل العلم لتزول عنه به الشبهة، مع إيمانه أن لكل شبهة جواباً يكشفها ؛ لأن كلام الله ﷻ لا ينقض بعضه بعضاً قال ﷻ : {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} [سورة النساء ٨٢/٤] .

قوله : [فحدثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي] :

أي حدثني بشيء من الوحي فهم لا يسألون عن أدلة عقلية وإنما يسألون عن الوحي .

قوله : [" فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار " ، قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه "(٤٥٨)] :

---

(٤٥٤) البخاري (٦ / ٢٦٩٩) رقم ٦٩٨٢.

(٤٥٥) مسلم (٤ / ٢٠٤٤) رقم ٢٦٥٣.

(٤٥٦) تقدم .

(٤٥٧) تقدم .

(٤٥٨) تقدم .

ورواه أحمد وأبو داوود و ابن ماجه .

فيه مسائل :

١- ذكر أول ما خلق الله .

أي من هذا الخلق المشاهد المتصل بالإنس والجن .

٢- أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته ، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

لأن المؤمن يعلم صدق ما جاء به الكتاب والسنة فتزول عنه به الشبهة .

بـــــاب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة)) [٤٥٩]. أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤون بخلق الله)) [٤٦٠].

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم)) [٤٦١].

ولهما عنه مرفوعاً: ((من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ)) [٤٦٢].

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)) [٤٦٣].

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله لقوله: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي).

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم، لقوله: (فليخلقوا ذرة أو شعيرة).

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً.

---

(٤٥٩) البخاري (٥ / ٢٢٢٠) رقم ٥٦٠٩ . مسلم (٢١١١) .

(٤٦٠) البخاري (٥ / ٢٢٢١) رقم ٥٦١٠. مسلم (٢١٠٧) .

(٤٦١) مسلم (٣ / ١٦٧٠) رقم ٢١١٠.

(٤٦٢) البخاري (٢ / ٧٧٥) رقم ٢١١٢ . مسلم. .(٢١١٠)٠ .

(٤٦٣) مسلم (٢ / ٦٦٦) رقم ٩٦٩ .

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

باب ما جاء في المصورين

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أن التصوير من ذرائع الشرك كما وقع ذلك من قوم نوح عليه السلام فبعث الله عز وجل نبيه نوحاً ليدعوهم إلى التوحيد ، كما ثبت هذا في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه [٤٦٤] والشريعة الإسلامية قد أتت بسد الذرائع ، ومن ذلك ذرائع الشرك، بل إن أعظم الذرائع هي الذريعة الموصلة إلى الشرك بالله ، فالتصوير ذريعة إلى الشرك ، والمراد جنس التصوير ، لا أفراد التصوير ، أي أن التصوير قد يكون ذريعة إلى الشرك في بعض أفراده ، لكن صور بعض الناس الذين ليسوا من أهل العلم ولا العبادة ولا الملك بل هم من عامة الناس ليس بذريعة إلى الشرك لكن الكل يحرم .

هذه قاعدة سد الذرائع ، فكل فرد يدخل في التحريم ، ونظير هذا التحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الفاحشة فإن علم أن مثله يبعد وقوعه في الفاحشة كخلوة ابن عشرين سنة بمن لها خمسون سنة ،لم تستثن هذه الصورة فالحكم عام في كل أفراده .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله سبحانه وتعالى : ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة)) [٤٦٥] أخرجاه] :

والمعنى لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلق الله عز وجل .

و (الذرة) : هي صغار النمل .

لا يستطيع البشر أن يخلقوا حبة أو شعيرة أو نملة ، هذا الأرز الصناعي لو وضع في الأرض فلا ينبت ، لو أتوا بجميع المواد التي يتكون منها فلا يستطيع البشر أن يخلقوا شعيرة فيها خصيصة الإنبات والنمو

---

(٤٦٤) المراد به ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ..) قال : " ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت)) صحيح البخاري (٤ / ١٨٧٣) رقم ٤٦٣٦ ٠

(٤٦٥) المراد به : حديث ابن عباس رضي الله عنه البخاري (٤ / ١٨٧٣) رقم ٤٦٣٦ .

ولا حبة فيها خصيصة النبات والنمو لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً ولذا تحداهم الله ﷻ هنا فقال (فليخلقوا **) وهذا للتعجيز .**

فإذا كان المصوِّر قد قصد مضاهاة الله في خلقه وقصد التشبه بالله ﷻ في خلقه ، فإن هذا لا أحد أظلم منه ، وهذا كفر أكبر ، فقد يبلغ الكبر في بعض الحضارات أنها تضاهي الله ﷻ وتقول نحن نستطيع أن نصنع هذه المصنوعات هذا كفر أكبر ؛ لأنه شك في ربوبية الله لكل شيء والله هو الخالق وحده ﷻ .

وإذا لم يقصد المصور المضاهاة فهو من كبائر الذنوب كمن صنع تمثالاً لحيوان أو نسج صورته أو نحتها ، لذا لعن النبي ﷺ المصوِّر [٤٦٦] .

لكن إن كان هناك حاجة إلى ذلك فلا بأس ؛ لأن ما حرم تحريم سد الذرائع يجوز عند الحاجة إليه كما قرر هذا شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم .

قوله : [ولهما عن عائشة – رضي الله عنهما – : أن رسول الله ﷺ قال : ((أشَدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله)) [٤٦٧] ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم)) [٤٦٨] ولهما عنه مرفوعاً : ((من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)) [٤٦٩]] :

هذه الأحاديث فيها وعيد من صور فإن كانت الصورة ممتهنه على فراش ونحوه فقد اختلف فيها أهل العلم على قولين : الجمهور على الجواز وذهب طائفة من أهل العلم وهو قول ابن العربي المالكي والنووي والزهري من التابعين إلى أن ذلك لا يجوز وهذا هو الراجح ؛ **وذلك لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما دخل عليها كما في الصحيحين :** (وفي بيتها نمرقة – **أي وسادة** – فيها تصاوير فأبى أن يدخل ﷺ ، فقالت عائشة رضي الله عنها : إنما صنعتها لتقعد عليها وتتوسدها – **فهي مُهانة**– فقال عليه الصلاة والسلام : ((إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : أحيوا ما خلقتم)) [٤٧٠] .

---

(٤٦٦)البخاري (٥ / ٢٢٢٣) رقم ٥٦١٧ . ولفظه : " ولعن – أي النبي صلى الله عليه وسلم – آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور " .

(٤٦٧) تقدم .

(٤٦٨) تقدم .

(٤٦٩) تقدم .

(٤٧٠) البخاري (٣ / ١١٧٨) رقم ٣٠٥٢ وفي مواضع أخرى مسلم (٣ / ١٦٦٦) رقم ٢١٠٧ .

قوله : [ولمسلم عن أبي الهياج قال : " قال لي علي : ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))[٤٧١]] :

فإن طمس الوجه أجزأ ولا بأس ولذا قال ابن عباس رضي الله عنه : ((إنما الصورة الرأس))[٤٧٢] **رواه البيهقي وغيره، وقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ كما في مسند أحمد وسنن أبي داوود والترمذي والنسائي :** ((مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة))[٤٧٣] **فإذا طمس الوجه فلا حرج .**

وفي هذا الحديث أن تصوير ما لا روح فيه جائز وهو مذهب عامة العلماء فلا مانع أن يصور ما لا روح فيه .

وهذا فيه مندوحة للناس في ممارسة المهارات ونحوها فلهم غنية عن رسم الحيوانات إلى رسم الجبال والأنهار والأشجار وغير ذلك .

ولذا ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ((فإن كنت لابد فاعلاً فصور الشجر وما لا روح فيه))[٤٧٤] .

وإذا كان القبر مشرفاً على سائر القبور فلا يجوز ، وأما إذا رد عليه ترابه فلا بأس فإذا حفر القبر ووضع الميت ثم رد إليه التراب نفسه فلا بأس بذلك ؛ لأنه ينخفض مع الأمطار ؛ ولأن عدم رد التراب يحير الماء و يجمعه وينزل على المقابر .

بـــــاب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : {وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ} [سورة المائدة ٨٩/٥] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب))[٤٧٥] أخرجاه.

---

(٤٧١) تقدم .

(٤٧٢) روي موقوفا على ابن عباس كما في البيهقي . روجع صحيح وأيضاً اخرجه لإمام أحمد بن محمد الطحاوي في (شرح معاني الأثار) موقوفاً على أبي هريرة (٤ / ٢٨٧) رقم ٦٤٤٢ .

(٤٧٣) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٣٠٥) رقم ٨٠٣٢ . سنن أبي داود (٢ / ٤٧٢) رقم ٤١٥٨ . سنن الترمذي (٥ / ١١٥) رقم ٢٨٠٦ وقال : " حسن صحيح " . وفي سنن النسائي (٨ / ٢١٦) رقم ٥٣٦٥ نحوه .

(٤٧٤) البخاري (٢ / ٧٧٥) رقم ٢١١٢ . مسلم (٣ / ١٦٧٠) رقم ٢١١٠ .

(٤٧٥) البخاري (٢ / ٧٣٥) رقم ١٩٨١ وفيه " ممحقة للبركة " . مسلم (١٦٠٦) وفيه " ممحقة للربح " .

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه)) (٤٧٦) رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)) (٤٧٧).

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)) (٤٧٨).

قال إبراهيم: ((كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار))(٤٧٩).

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة، أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

باب ما جاء في كثرة الحلف

---

(٤٧٦)المعجم الصغير (٢ / ٨٢) رقم ٨٢١ . المعجم الكبير (٦ / ٢٤٦) رقم ٦١١١ . قال في مجمع الزوائد (٤ / ١٣٧) : " رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الصغير والأوسط : " ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم " . فذكره ورجاله رجال الصحيح " انتهى كلامه .

(٤٧٧) البخاري (٣ / ١٣٣٥) رقم ٣٤٥٠ وفي مواضع أخرى . صحيح مسلم (٤ / ١٩٦٤) رقم ٢٥٣٥ .

(٤٧٨) البخاري (٢ / ٩٣٨) رقم ٢٥٠٩ . مسلم (٤ / ١٩٦٢) رقم ٢٥٣٣ .

(٤٧٩) البخاري (٢ / ٩٣٨) رقم ٢٥٠٩ .

المؤمن الموحد يعظم الله ﷻ ومن كمال توحيده لا يكثر من الحلف. والذي يحلف في أي مسألة دقت أو جلت صغرت أو كبرت يحلف الأيمان بالله وبأسمائه وبصفاته فإن هذا يدل على ضعف توحيده ،وذلك لأن العبد إذا كمل توحيده ،فإنه يصون لسانه من الأيمان إلا عند الحاجة فإذا كان هناك مصلحة من اليمين أوكان هناك حاجة لليمين فإنك تحلف وأما إن لم يكن هناك حاجة فاحفظ يمينك .

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [وقول الله تعالى : **{وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ} [سورة المائدة ٥/٨٩]**]

أي احفظوها فلا تكثروا منها ،واحفظوا أيمانكم إن حلفتم ،فلا تحنثوا إلا لمصلحة براححة .

وكفروا إذا حنثتم فلا تتركوا أيمانكم بلا كفارة .

قوله : [عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب))[٤٨٠] أخرجاه] :

أي الذي يحلف عند بيعه على تجارته ويزينها للمشتري بالأيمان ، فهذه الأيمان تروج السلعة لكنها تمحق الكسب وتذهب بركته .

قوله : [وعن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه))[٤٨١]] :

رواه الطبراني بسند صحيح .

(أشيمط زان) : **أي قد اختلط سواد شعره ببياضه، فقد أنذره المشيب وهو مع ذلك يزني والعياذ بالله فالداعي إلى الزنا عنده ضعيف فهذا لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم .**

(وعائل مستكبر) : **أي فقير فيه كبر وهذا يدل على أن الكبر طبيعة له سجية لعدم وجود الداعي من الجاه والغنى .**

(ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه) : **يقول "والله لقد دخلت علي هذه السلعة بمئة" وإنما دخلت عليه بخمسين "والله ما بقي عندنا من هذه السلعة إلا هذه القطعة فقط" والمستودع ممتلئ منها هذا كله كذب في اليمين لترويج السلعة .**

---

(٤٨٠) تقدم .

(٤٨١) تقدم .

قوله : [وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السِّمَن))(٤٨٢)]

القرن هنا هم أصحابه ﷺ ،فالذين يجتمعون في شيء يسمون قرناً ويُعبر عنه في هذا الزمن "بالجيل" ، والقرن من حيث المدة مئة سنة_ في المشهور .

(ثم الذين يلونهم) : **وهم التابعون .**

(ثم الذين يلونهم) : **وهم اتباع التابعين .**

والقرن الرابع في حديث عمران رضي الله عنه مشكوك فيه وهم تبع الأتباع ، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الجزم بذكر قرنين بعد قرنه ﷺ ولم يذكر قرناً ثالثاً (٤٨٣) فعليه تكون القرون ثلاثة ، إذن خير الناس القرون الثلاثة المفضلة .

(يشهدون ولا يستشهدون) : **أي يشهد من غير أن تطلب منه الشهادة وهذا يدل على أنه لا يبالي بالشهادة ،ولا يعظم أمرها ،وهذا يدل على ضعف دينه .**

لكن إن كان صاحب الحق لا يدري بشهادته وقد يفوته الحق ويضيع عليه فإنه يشهد له من غير طلبٍ منه ؛ لأن صاحب الحق قد يغفل أو ينسى أن هناك من يشهد له باثبات حقه .

وقد قال ﷺ كما في صحيح مسلم : ((خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها))(٤٨٤) **وهذا عند الحاجة .**

(ويخونون ولا يؤتمنون) : **فهم أهل خيانة وقد ظهر أمرهم للناس فلا يأتمنونهم .**

(وينذرون ولا يوفون) : **ينذر لله النذر إذا شفى مريضه أو ربحت تجارته ونحو ذلك ولا يوفي بنذره .**

(ويظهر فيهم السِّمَن) : **أي من حبهم للدنيا وإقبالهم عليها ، وأما إن كان السمن طبيعةً لا رغبةً في الدنيا فلا يدخل في ذلك ، وكان جماعة من أصحاب النبي ﷺ كذلك كعلي ولذا يقال إنه ذو البطين ؛ لأنه كان له بطن رضي الله عنه ، فالمراد بالحديث من يهتمون بالمطاعم والمشارب فلها قيمة كبيرة عندهم فيظهر عليهم السمن بسبب ذلك .**

---

(٤٨٢) تقدم .

(٤٨٣) مسلم .(٤ / ١٩٦٢) رقم (٢٥٣٣) .

(٤٨٤) مسلم (٣ / ١٣٤٤) رقم ١٧١٩ .

قوله : [وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته))[٤٨٥]] :

والحديث متفق عليه .

فذكر بعد قرنه قرنيين ثم بعدهم من ليس عنده مبالاة بالشهادة ولا باليمين ،فأحياناً تسبق الشهادة اليمين وأحياناً تسبق اليمين الشهادة ، يقول" أشهد أن فلاناً قال كذا وكذا والله "فيجمع بين الشهادة واليمين ويقول "والله أشهد أن فلاناً فعل كذا وكذا " فلا يبالي لا بالأيمان ولا بالشهادات .

قوله : [وقال إبراهيم : ((كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار))] :

أي أن السلف كانوا يضربون الصغار على الشهادة والعهد ليتربوا على تعظيم الشهادة والعهد.

(إبراهيم) : **هو النخعي رحمه الله تعالى .**

فيه مسائل :

التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي .

لحديث اشيمط زان .

بـــاب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى : {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} **[سورة النحل ٩١/١٦]الآية.**

عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: ((اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ــ أو خلال ــ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب

(٤٨٥) تقدم .

المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا)) [٤٨٦] رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه، وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

الثالثة: قوله: (اغزوا بسم الله في سبيل الله).

الرابعة: قوله: (قاتلوا من كفر بالله).

الخامسة: قوله: (استعن بالله وقاتلهم).

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

الذمة هي العهد ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن من كمال توحيد العبد أن لا يخفر ذمة الله أو ذمة رسوله فإذا ثبتت ذمة الله وذمة رسوله لأحد من الناس أو لفئة من الناس فإنه يحفظ ذلك ولذا قال ﷺ : ((من قتل معاهداً – **أي كافر له ذمه** – لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة)) [٤٨٧] رواه البخاري .

فالواجب على المسلم أن يحفظ عهد الله وعهد رسوله ﷺ .

وإذا عاهد الناس فلا يقول: "لكم عهد الله "بل يقول: "لكم عهدي" "ولكم ذمتي" ولا يقول: "عهد الله وعهد رسوله" ؛ لأنه قد يخفر عهد الله وعهد رسوله ﷺ .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله ﷻ : {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [سورة النحل ٩١/١٦]] :

---

(٤٨٦) مسلم (٣ / ١٣٥٦) رقم ١٧٣١.

(٤٨٧) البخاري (٣ / ١١٥٥) رقم ٢٩٩٥ .

{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ} : فإذا عاهدتم أحداً من الناس بعهد الله فأوفوا به ولا تنقضوه وهذا كما تقدم من كمال التوحيد .

{وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ}: التي هي الحلف بالله والعهود والمواثيق .

{بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}: أي بعد إبرامها فإذا عاهدتم ووثقتم الأمر بالله ﷻ وأبرمتم العهود والمواثيق فلا تنقضوها .

قوله : [عن بريدة ﷺ قال : (كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، فقال : اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)[٤٨٨]] :

الشاهد قوله ﷺ : ((وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه))[٤٨٩] **رواه مسلم .**

أي : إن قالوا أعطونا الأمان على أنفسنا ونسائنا وأموالنا بذمة الله وذمة رسوله ﷺ .

(فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه) :

(تخفروا) : **أي تنقضوا فإنه قد يكون هناك خفر للذمة ونقض عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم أشد من نقضكم عهد أنفسكم .**

قوله : [(وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ؟)[٤٩٠] رواه مسلم] :

---

(٤٨٨) تقدم .

(٤٨٩) تقدم .

(٤٩٠) تقدم .

أي إذا قالوا:" أنزلنا على حكم القرآن والسنة "،فقل بل أنزلكم على حكمي، أي ما يتبين لي وما يترجح لي من الكتاب والسنة ،لأنه لا يدري هل يصيب فيهم حكم الله أم لا ؟

ولذا لا يسأل في المسائل التي فيها خلاف بين العلماء بعباره "يقال ما حكم الإسلام" "وما حكم الشرع" بل يقال للمجتهد: "ما هو حكم كذا" أو "ما هو رأيك" أو "ما الذي يترجح لك"، وأما إن كانت المسألة من المسائل الظاهرة في الدين فلا مانع من أن يقال:"ما حكم الإسلام في الزانية المحصنة مثلاً ، ويقال : ما حكم الإسلام في الزنا" وهكذا .

وأما المسائل المختلف فلا يقال فيها : ما حكم الإسلام ؟ كقراءة المأموم خلف الإمام هل هي وجبة أم لا ؟ لا يقال :

ما حكم الإسلام في ذلك ، ولذا قال ﷺ : ((إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر))[٤٩١] رواه البخاري في صحيحه .

فيه مسائل :

١- في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟

فإن كان هذا في شأن الصحابة ﷺ فغيرهم من باب أولى .

بـــاب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا اغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك))[٤٩٢] رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته[٤٩٣].

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

(٤٩١) البخاري (٦ / ٢٦٧٦) رقم ٦٩١٩ .

(٤٩٢) مسلم (٤ / ٢٠٢٣) رقم ٢٦٢١ .

(٤٩٣) مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣٢٣) رقم ٨٢٧٥ . سنن أبي داود (٢ / ٦٩٣) رقم ٤٩٠١ .

الرابعة: فيه شاهد لقوله ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة...)) [٤٩٤] **الخ**

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

باب ما جاء في الإقسام على الله

الإقسام على الله أي الحلف عليه ﷻ وهو على نوعين محذور وجائز .

أما النوع المحذور فهو ما كان الحامل عليه العجب بالنفس والإدلاء بالعمل وتحجير رحمة الله الواسعة فهذا القَسَم على الله ﷻ محذور على هذا الوجه ومناف لكمال التوحيد الواجب .

وأما النوع الثاني وهو الجائز فهو الذي يكون الحامل عليه حسن الظن بالله ورجاؤه ﷻ ومنه قول النبي ﷺ : ((رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)) [٤٩٥] **أي يقول: "أقسمت عليك يا ربي لتفعلن كذا وكذا" "أقسمت عليك يا ربي لتنصرننا" "أقسمت عليك يا ربي أن تهلك أعداءنا" ونحو ذلك فإن كان الحامل على ذلك حسن الظن بالله ورجاء الله والتصديق بوعده فإن هذا جائز، ومنه الحديث المتقدم، ومنه قول أنس بن النضر رضي الله عنه : والله لا تكسر ثنية الرُّبيّع " يقسم على الله رجاءً له وحسن ظن به بأن يوقع العفو في قلوب من لهم حق القصاص ولذا قال له النبي ﷺ :** ((يا أنس كتاب الله القصاص)) [٤٩٦] **وهو كان يقسم على الله ألا تكسر ثنية أخته الرُّبيّع رضي الله عنها رجاءً وحسن ظن بمن هو أهل ﷻ لذلك، فهدى الله أصحاب الحق للعفو عن الربيع وأبر الله قسمه والحديث في الصحيح .**

قال المؤلف **رحمه الله** تعالى : [عن جندب بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله ﷻ : من ذا الذي يتألّى عليَّ أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له ، وأحبطت عملك)) [٤٩٧] رواه مسلم] :

(قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان) : **من أنت حتى تقسم على الله ﷻ وتحجر رحمته أتظن أنك بقيامك الليل وصيامك النهار أو بغير ذلك من الأعمال الصالحة تقسم على الله ﷻ وتحجر رحمته .**

(فقال الله ﷻ : من ذا الذي يتألّى عليَّ) : **يتألّى : أي يحلف .**

---

(٤٩٤) البخاري (٥ / ٢٣٧٧) رقم ٦١١٢ . مسلم (٤ / ٢٢٩٠) رقم ٢٩٨٨ .

(٤٩٥) مسلم (٤ / ٢٠٢٤) رقم ٢٦٢٢ .

(٤٩٦) البخاري (٢ / ٩٦١) رقم ٢٥٥٦ وفي مواضع أخرى .

(٤٩٧) تقدم .

وقد ثبت في سنن أبي داوود من حديث أبي هريرة ﷺ قال : ((كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين وكان أحدهما يذنب والآخر يجتهد في العبادة وكان المجتهد يقول للمذنب أقصر – **أي اترك ما أنت عليه من الذنوب وتب إلى الله** – فأتاه يوماً على ذنب ، فقال : والله لا يدخلك الله الجنة ، فقبض الله أرواحهما وجمعهما إليه ، وقال : للمجتهد : أكنت بي عالماً أم على ما في يديّ قادراً – **أي هل كنت تعلم أني لا أغفر لهذا ولا أدخله الجنة أو أنت قادر على ما في يديّ تعطي من تشاء وتمنع من تشاء** – اذهبوا به إلى النار ، وقال : للمذنب أدخلوه الجنة برحمتي))[498] .

قوله : [وفي حديث أبي هريرة ﷺ : ((أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة ﷺ : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته))[499]] :

قوله : (أوبقت آخرته) : **هذا واضح ؛ لأنه دخل النار ، وأما قوله أوبقت دنياه ؛ فلأنه كان مجتهداً في العبادة تاركاً للدنيا فلم يتمتع بدنياه لاشتغاله بعبادةٍ غير مقبولة فذهبت عليه الدنيا والآخرة – نسأل الله العافية –** .

فيه مسائل :

١- فيه شاهد لقوله : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة " إلى آخره .

والحديث متفق عليه : ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً هوي به في النار سبعين خريفاً))[500] .

٢- أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه .

فهذا الرجل قيلت له كلمة هي من أبغض الكلام إليه ؛ لأن المؤمن وإن عصى وإن أذنب فإنه يرجو مغفرة الله ويسأل الله الجنة، فقوله "والله لا يغفر الله لفلان" هي من أبغض الكلام إليه فكانت هذه الكلمة البغيضة إليه سبباً في مغفرة ذنبه ودخوله الجنة .

بـــــاب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجا ع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على

---

(٤٩٨) سنن أبي داود (٢ / ٦٩٣) رقم ٤٩٠١ . صحيح ابن حبان (١٣ / ٢٠) رقم ٥٧١٢ .

(٤٩٩) تقدم .

(٥٠٠) تقدم .

الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((سبحان الله! سبحان الله!)) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه)) [٥٠١] وذكر الحديث. رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: نستشفع بالله عليك.

الثانية: تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: (نستشفع بك على الله).

الرابعة: التنبيه على تفسير (سبحان الله).

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

باب لا يستشفع بالله على خلقه

الله ﷻ هو المشفوع عنده، فلا يصح ولا ينبغي ولا يستقيم أن يكون ﷻ شافعاً لأحد من خلقه عند أحد من خلقه، فإنه بيده الأمر كله فكيف يكون أحد من الخلق هو المشفوع عنده والله ﷻ هو الشافع بل إن من كرامة العبد أن يكون شفيعاً عند الله لعباده فلا يمكن أن يكون الله ﷻ واسطة بين خلقه، بل غاية العبد أن يكون واسطة بين الرب وبين الخلق بعد رضاه وإذنه ، وفي الاستشفاع بالله ﷻ إلى أحد من خلقه تنقص عظيم لجناب الربوبية ولذا جاء الحديث في المنع منه .

فقال المؤلف رحمه الله : [عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : " جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله نُهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله ، فقال النبي ﷺ : ((سبحان الله ! سبحان الله ! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال: ويحك ، أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه)) [٥٠٢] وذكر الحديث ، رواه أبو داود] :

أما (بك على الله) : فهذه سائغة لكن الكلمة العظيمة قوله : (نستشفع بالله عليك) .

---

(٥٠١) سنن أبي داود (٢ / ٦٤٤) رقم ٤٧٢٦ . العرش (١ / ٥٦) رقم ١١. التوحيد لابن خزيمة (جزء ١ / ٢٣٩) رقم ١٤٧. الرد على الجهمية – الدارمي (١ / ٤٩) رقم ٧١ .

(٥٠٢) تقدم .

(**سبحان الله ! سبحان الله !**) : أي تتريهاً لله ﷻ عن النقائص والمعايب التي منها أن يكون ﷻ شفيعاً لا مشفوعاً عنده .

وهذا الحديث من رواية محمد بن إسحاق، وقد عنعن لكن الحديث حسن، قد أورده أئمة السنة في كتب السنة أي كتب الاعتقاد، كالدارمي في الرد على الجهمية ،وابن خزيمة في كتاب التوحيد ،وابن أبي شيبة في كتاب العرش وذكره الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب العلو .

فيه مسائل :

١–أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

فقوله : (**فاستسق لنا ربك**) فيه أن سؤال العبد أن يدعو الله ﷻ بما فيه نفع عام لا حرج فيه، ولا ينافي ما هو الأولى، فإذا سألت أحداً من الخلق أن يدعو الله في أمر ينفع العامة ،كأن تسأل أحداً أن يستسقي للناس أو أن يدعو الله ﷻ بنصرة المجاهدين ونحو ذلك هذا فيه نفع عام فلا كراهية فيه وقد قال عمر ﷺ كما في صحيح البخاري : ((**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**))(٥٠٣) وهذا توسل بالدعاء ؛ لأنه لو كان توسلاً بالذات لتوسل بالنبي ﷺ بعد موته ، والمعنى كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا يعني العباس ﷺ .

كذلك أيضاً إن كان القصد من سؤال الدعاء نفع الداعي نفسه، تقول: "يا فلان ادع الله لي" تريد أن ينتفع هو بأن يكون له نصيب من الدعاء، تقول: "يا فلان إذا كتب الله لك شيئاً من الليل، أو وافقت ساعة إجابة فلا تنسنا من دعائك" تريد أن ينتفع هو وتنال أنت أيضاً هذه الدعوة المباركة فهذا لا بأس به ولا كراهية فيه، وجُعل منه قول النبي ﷺ لعمر ﷺ : ((**يا أخي لا تنسنا من صالح دعائك**))(٥٠٤) والحديث رواه الترمذي وصححه ولكنه من حديث عاصم بن عبيد الله وفيه ضعف، لكن من ذلك قول أم الدرداء في صحيح مسلم لرجل : ((**يا فلان أتريد الحج قال : نعم ، قالت ادع لنا بخير**))(٥٠٥) .

---

(٥٠٣) البخاري (١ / ٣٤٢) رقم ٩٦٤ ، ٣٥٠٧.

(٥٠٤) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٥٩) رقم ٥٢٢٩ ، و (١/ ٢٩) رقم ١٩٥ . سنن أبي داود (١ / ٤٧٠) رقم ١٤٩٨ . سنن الترمذي (٥ / ٥٥٩) رقم ٣٥٦٢ وقال : " حسن صحيح " . مسند الطيالسي (١ / ٤) رقم ١٠ . ورواه البزار في مسنده (جزء ١ / ٢٣١) وقال : " وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن عمر بهذا الإسناد ورواه شعبة و الثوري عن عاصم بن عبيد الله " .

(٥٠٥) مسلم (٤ / ٢٠٩٤) رقم ٢٧٣٣ . مسند أحمد بن حنبل (٥ / ١٩٥) رقم ٢١٧٥٥ .

أما إذا كان قصدك من طلب دعائه لك نفع نفسك،كأن تقول: "يا فلان ادع لي" وأنت تريد نفع نفسك، تذهب إلى رجل صالح وتقول يا فلان ادع الله لي فإن هذا جائز لكن الأولى تركه كما قال شيخ الإسلام ومنه ما تقدم من قول أم الدرداء : ((**ادع لنا بخير**)) (٥٠٦) هذا لا بأس به وهو أمر سائغ .

وإن كان السائل قال ذلك لاعتقاده أن دعاءه لا ينفع وأن الذي ينفع هو دعاء الصالحين فقط فهذا لا يجوز ؛ لأن الله ﷻ يقول : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [سورة غافر ٤٠/٦٠] وقال ﷺ : ((**الدعاء هو العبادة**)) (٥٠٧) كما في الترمذي .

فإذا كان يسأل الناس ويترك هو الدعاء يعني يتكل على دعاء الناس ويدع التعبد لله ﷻ و" إنه من لم يسأل الله يغضب" عليه كما ورد في الحديث الصحيح (٥٠٨) .

بـــــاب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: ((السيد الله تبارك وتعالى)). قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً؛ فقال: ((قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان)) (٥٠٩) رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: ((يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)) (٥١٠). رواه النسائي بسند جيد.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

---

(٥٠٦) تقدم .

(٥٠٧) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٢٦٧) رقم ١٨٣٧٨ . سنن أبي داود (١ / ٤٦٦) رقم ١٤٧٩ . سنن الترمذي (٥ / ٢١١) رقم ٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧ وقال : " حسن صحيح " . سنن ابن ماجه (٢ / ١٢٥٨) رقم ٣٨٢٨ .

(٥٠٨) الحديث اخرجه الامام أحمد في مسنده (٢ / ٤٤٢) . الترمذي في سننه (٥/ ٤٥٦)، و البخاري ،الادب المفرد (١ / ٢٢٩) وغيرهم – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٤ / ٢٥) رقم ١٦٣٥٩ نحوه .سنن أبي داود (٢ / ٦٦٩) رقم ٤٨٠٦ .

(٥١٠) مسند أحمد بن حنبل (٣ / ١٥٣) رقم ١٢٥٧٣ وفي مواضع أخرى . سنن النسائي الكبرى (٦ / ٧٠) رقم ١٠٠٧٧ . صحيح ابن حبان (١٤ / ١٣٣) رقم ٦٢٤٠ .

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: (ولا يستجرينكم الشيطان) مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي).

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

حماية حمى التوحيد أي صيانة حمى التوحيد من الوسائل الموصلة إلى الشرك سواءً كانت قولية أو فعلية ، وفي هذا الباب بعض الوسائل القولية وتقدم ذكر بعض الوسائل الفعلية كشد الرحال إلى القبور وبناء القباب عليها ونحو ذلك

قال المؤلف رحمه الله : **[عن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ قال** : **(انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ؛ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله تبارك وتعالى ..))** [٥١١] **]** :

هذه كلمة حق فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ : (**(أنا سيد الناس يوم القيامة))** [٥١٢] وقال ﷺ في من هو دونه وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه كما ثبت في البخاري : (**(قوموا إلى سيدكم))** [٥١٣] قاله للأنصار ، وقال عمر ﷺ : (**(أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا))** [٥١٤] يعني بلالاً والأثر رواه البخاري في صحيحه ، فهذه كلمة حق فهو ﷺ سيدنا ، لكن قال ﷺ تأدباً مع الله ﷻ : (**(السيد الله تبارك وتعالى))** هذا من باب الأدب مع الله ﷻ وإلا فهو سيدنا ﷺ ، ولذا اختلف أهل العلم في إطلاق لفظ السيد على غير الله هل يجوز أم لا ؟؛ لأن السيد يطلق على الله وهو من الأسماء الحسنى يعني البالغ في السؤدد الغاية والنهاية فإليه غاية السؤدد والشرف .

فقال بعض أهل العلم : لا يجوز أن يطلق السيد على غير الله ﷻ لهذا الحديث ،

وقال بعض أهل العلم بل يجوز واستدلوا بالأدلة سابقة الذكر وهي قول النبي ﷺ : (**(قوموا إلى سيدكم))** وقوله ﷺ : (**(أنا سيد الناس يوم القيامة))** [٥١٥] وهذا هو **الراجح** ، ويحمل الحديث هنا على الأدب

---

(٥١١) تقدم .

(٥١٢) مسلم (٤ / ١٧٨٢) رقم ٢٢٧٨ . البخاري (٤ / ١٧٤٥) رقم ٤٤٣٥ .

(٥١٣) البخاري (٣ / ١١٠٧) رقم ٢٨٧٨.

(٥١٤)البخاري (٣ / ١٣٧١) رقم ٣٥٤٤.

(٥١٥) تقدما .

مع الله ﷻ كما تقدم في حديث : " قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال : ((**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**))[٥١٦] " تقدم أن هذا من باب الأدب على ما في الحديث من ضعف .

لكن إن أريد بالسيد من له السيادة المطلقة كما يطلق على البدوي وغيره ويقولوا عبد السيد يقصدون بالسيد البدوي فهذا شرك ؛ لأن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله ﷻ فلا يطلق السيد على هذه الجهة إلا على الله ﷻ يعني السيد على الإطلاق الذي إليه يرجع السؤدد كله والشرف كله والجاه كله وهو لله ﷻ وحده لا يطلق على أحد غير الله كما يطلق عباد القبور على أرباب تلك الأضرحة يقولون السيد البدوي السيد الحسين السيد عبدالقادر ونحو ذلك يريدون بذلك هذا المعنى المحظور الذي لا يطلق إلا على الله ﷻ .

(**قلنا : وأفضلنا فضلاً**) : أي أفضلنا رتبة ومنزلة .

(**وأعظمنا طولاً**) : أي أعظمنا غنى وكمالاً .

(**فقال : قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم**) : أي قولوا هذا القول الذي ذكرتموه أو بعضه .

(**ولا يستجرينكم الشيطان**) رواه أبو داود بسند جيد : أي لا يجري بكم الشيطان إلى ما لا يجوز ؛ لأن هذا الثناء يوصلهم إلى الثناء المذموم فالإنسان إذا دخل في الثناء الجائز فإنه يدخل به إلى الثناء المحرم ، ولذا قال : (**ولا يستجرنكم الشيطان**) : أي لا تتبعوا خطوات الشيطان .

قوله : [وعن أنس ﷺ : (أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : ((يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ))[٥١٧] رواه النسائي بسند جيد] :

هذا فيه ما في الحديث الذي قبله من سد الوسائل القولية الموصلة إلى الشرك ومنها الإطراء، ولذا لا يكثر العبد من الثناء الذي قد يكون سائغاً أو خلاف الأولى، يعني جائزاً مكروهاً ثم يوصله إلى الثناء المحرم فيقع في الغلو في الصالحين، كما في الأبيات الشعرية التي ينشدها الصوفية في المولد النبوي، فإذا كان النبي ﷺ قد قال ما قال في هذه الكلمة فما هو قوله بقول البوصيري :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ	سواك عند حلول الحادث
إن لم تكن آخذاً يوم المعاد	عــفــواً وإلا فقل يا زلة
فإن من جودك الدنيا	ومن علومك علم اللوح

(٥١٦) تقدم .

(٥١٧) تقدم .

ماذا ترك لرب العالمين فقوله : من جودك الدنيا وضرتها يعني الآخرة والدنيا عنده والجنة من جود النبي ﷺ ، – نسأل الله العافية – من هذا الشرك الصريح قال ﷻ : {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [سورة الأعراف ١٨٨/٧] .

فيه مسائل :

١– ما ينبغي أن يقول من قيل له : " أنت سيدنا " :

فمن قيل له مثل هذه المقالة يقول: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان"، ما نحتاج إلى مثل هذه العبارات فإن كنت تحب أهل العلم أو أهل الصلاح فليظهر ذلك في أفعالك ، وأما مجرد الثناء والكلام الذي لا فائدة منه فإن هذا قد يدخل الناس في الغلو وإنما لتكن فعالاً مقتدياً بأهل العلم محباً لهم ناصراً لهم سامعاً لأقوالهم متبعاً لفتاويهم ، وأما أن يكون قصد الواحد الثناء والإطراء فإن هذا يقود الناس إلى الوقوع بما هو أعظم .

٢– قوله : " لا يستجرينكم الشيطان " مع أنهم لم يقولوا إلا الحق :

أنت سيدنا أنت خيرنا وهو كذلك ﷺ .

٣– " ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي " :

لأن هذا الإطراء الذي هو خلاف الأولى يوقعهم في الإطراء المحرم كما في قول البوصيري .

بـــــــاب ما جاء في قول الله تعالى : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

[سورة الزمر ٦٧/٣٩] الآية

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} **الآية)). وفي رواية لمسلم: ((والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن**

فيقول: أنا الملك، أنا الله)). وفي رواية للبخاري: ((يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع)) (٥١٨) أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: ((يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون)) (٥١٩).

وروي عن ابن عباس، قال: ((ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)) (٥٢٠).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس)) (٥٢١) قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)) (٥٢٢).

وعن ابن مسعود قال: ((بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمئة عام، وبين كل سماء خمسمئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمئة عام، وبين الكرسي والماء خمسمئة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)) (٥٢٣). أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هل تدرون كم بين السماء والأرض؟)) قلنا: الله ورسوله أعلم قال: ((بينهما مسيرة خمسمئة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمئة سنة وكثف كل سماء خمسمئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما

---

(٥١٨) البخاري (٤ / ١٨١٢) رقم ٤٥٣٣ . مسلم (٤ / ٢١٤٧) رقم ٢٧٨٦ .

(٥١٩) مسلم (٤ / ٢١٤٨) رقم ٢٧٨٨.

(٥٢٠) تفسير الطبري (١١ / ٢٣) .

(٥٢١) تفسير الطبري (٣ / ٦) .

(٥٢٢) تفسير الطبري (٣ / ٦) .

(٥٢٣) المعجم الكبير (٩ / ٢٠٢) رقم ٨٩٨٧. قال الذهبي في العلو للعلي الغفار (١ / ٤٦): " وله طرق " .

بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم)) (٥٢٤).

أخرجه أبو داود وغيره.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: {وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [سورة الزمر ٦٧/٣٩].

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم، صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: (كخردلة في كف أحدكم).

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشر: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشر: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشر: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشر: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشر: كم بين السماء والأرض.

---

(٥٢٤) مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢٠٦) رقم ١٧٧٠ . المستدرك (٢ / ٣١٦) رقم ٣١٣٧ وصححه وقال الذهبي : " يحيى واه " . ولفظه في سنن أبي داود (٢ / ٦٤٣) : " هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟ " قالوا لا ندري قال " إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك " حتى عد سبع سموات " ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش [ما] بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك " . وكذا في سنن الترمذي (٥ / ٤٢٤) رقم ٣٣٢٠ وقال : " حسن غريب " . قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣ / ١٩٢) : " رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم فهو مروى من طريقين مشهورين فالقدح فى أحدهما لا يقدح فى الآخر ... " .

الثامنة عشر: كثف كل سماء خمسمئة عام.

التاسعة عشر: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمئة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء في قول الله ﷻ : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [سورة الزمر ٦٧/٣٩]

أحسن رحمه الله تعالى الختام في هذا الباب الذي فيه بيان عظمة المولى ﷻ وكبريائه وجبروته وقدرته ﷻ وأن الأمور كلها بيده وهذا فيه دلالة على ما تقدم من أبواب التوحيد

فما بال هؤلاء المشركين يصرفون لغيره العبادات وينذرون لهم النذور ويذبحون لهم القرابين ويتوسلون بالأموات ويدعوهم من دونه ﷻ وهو المتصف دون غيره بصفات الكمال وصفات الجلال والجمال ﷻ .

{وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [سورة الأنعام ٩١/٦] : أي ما عظموه حق تعظيمه وحق تبجيله .

{وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة الزمر ٦٧/٣٩] .

قال المؤلف رحمه الله **تعالى : [(عن ابن مسعود ﷺ قال : (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد)[٥٢٥]] :**

أي في التوراة .

قوله :[(أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك)[٥٢٦]]:

هذا فيه إثبات الأصابع لله ﷻ .

قوله : [(فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [سورة الزمر ٦٧/٣٩] **وفي رواية لمسلم : (والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزهن ، فيقول : أنا الملك أنا الله) وفي رواية للبخاري : (يجعل السماوات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه ، ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : (**

---

(٥٢٥) تقدم .

(٥٢٦) تقدم .

يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله) (٥٢٧) **]** :

وكلتا يديه يمين ﷻ في البركة والخير كما ثبت في صحيح مسلم .

قوله : [وروى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : ((ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)) (٥٢٨) **]** :

رواه ابن جرير وهو أثر حسن .

(**والخردلة**) : مثل يضرب فيما يستحقر فتقول هذا شيء يسير كأنه خردلة مثل ما يقول الناس في الذرة أي شيء يسير جداً يضرب به المثل في الحقارة وفي القلة .

قوله : [(وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرْسٍ)) (٥٢٩) **]** :

والأثر مرسل ، والترس هو ما يتقى به في القتال من السهم ، هذه السماوات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس .

قوله : [(وقال : قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض) (٥٣٠) **]** :

والكرسي بالنسبة إلى العرش مثل حلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض ، هذا الكرسي العظيم الذي السماوات السبع كأنها دراهم سبعة ألقيت فيه هذا الكرسي بالنسبة إلى عرش الرحمن مثل حلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض وهذا للتقريب وإلا فالأمر أعظم وهذا الحديث له طرق فهو حسن لغيره .

قوله : [وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ((بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمئة عام)) (٥٣١) **]** :

هذا فيه عظم هذا الكون وعظم اتساعه الدال على قدرة الله ﷻ على كل شيء.

---

(٥٢٧) تقدم .

(٥٢٨) تقدم .

(٥٢٩) تقدم .

(٥٣٠) تقدم .

(٥٣١) تقدم .

قوله : [((وبين كل سماء وسماء خمسمئة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمئة عام، وبين الكرسي والماء خمسمئة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)) [٥٣٢] **أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زرٍّ عن عبد الله ، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ، قال الحافظ الذهبي – رحمه الله تعالى – قال : وله طرق)] :**

هذا الأثر عن ابن مسعود ﷺ مما لا يقال بالرأي فله حكم الرفع و قد رواه الطبراني وغيره وإسناده صحيح.

(**بين السماء ...**) : هذا فيه عظم هذا لكون الدال على عظمة خالقه سبحانه ، وفيه دلالة على علو الله سبحانه وأنه لا يخفى عليه شئ من أعمال العباد .

قوله : [وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينهما مسيرة خمسمئة سنة ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمئة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمئة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم)) [٥٣٣] **أخرجه أبو داود وغيره] :**

وهذا الحديث هو الحديث المشهور بحديث الأوعال الذين هم حملة عرش الله ﷻ وهذا الحديث حديث مشهور عند أئمة الإسلام وقد حسنه شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم من أهل العلم وهو حديث حسن وقد أورده الأئمة في كتب السنة أي كتب الاعتقاد كابن خزيمة في كتاب التوحيد والدارمي وغيرهم .

نسأل الله ﷻ أن يعلي درجة الشيخ ويرفع منزلته ويجعل هذه الدعوة قائمة ظاهرة في هذه البلاد وغيرها من بلاد المسلمين إلى يوم القيامة ، وبهذا ننتهي من شرح كتاب التوحيد والحمد لله رب العالمين .

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(٥٣٢) تقدم .

(٥٣٣) تقدم .